

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

كتاب بؤلة الجالس وأمس الجالس

وشكنا الصالحين والمفاجس

للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

(دراسة أدبية تحليلية نقدية)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد الطالب : بابكر عبد الرحمن الشيخ شمعون

إشراف الدكتور : عبد الرحمن عطا المنان محمد

العام الجامعي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَاتَّصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

صدق الله العظيم

سورة البقرة ، الآية ٢٨٦

القصيدة

إلى والديّ اللذين بفضلهما ازدهرت سنيّ عمري ، وقويت
شوكتي واشتدّ عودي .
إلى التي ينساب الوفاء من راحتها حيث غمرتني بالاهتمام
وكريم الرعاية حتى أتممت ما بدأت ... زوجتي
إلى شمس تعلمت منهنّ أن أجمل سني العمر آتية ...
زهراتي (عزة .. عهد .. سمر) شموع عمري اللواتي جمّلن حياتي .
إلى أصدقائي كواكب أفاضل أمانوني كثيراً في تذليل مشقة
التصويب والتصحيح وكانوا لي خير عون .

الباحث

شكر

قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ^(١) الشكر لله من قبل ومن بعد الذي منّ عليّ بجزيل نعمائه وكثير عطائه وفضله إلى أن وصلت إلى هذه المرحلة المتقدّمة في البحث .

والشكر موصول إلى معلّمي وأستاذي الفاضل الدكتور/ عبد الرحمن عطا المنان الذي هداني وأرشدني وما بخل عليّ بفيض علمه ولا بوقته وجهده فكان لي خير معين .

والشكر أيضاً لأسرة مدرسة كرري النموذجية الثانوية بنين الذين هيئوا لي الجو المناسب للبحث .

والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية ومكتبتها العامرة، ولأسرة مكتبة جامعة النيلين .

كما أشكر كل من وقف بجانبني وأعانني ومدّ لي يد العون حتى صار هذا داني الجني .

^(١) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

مقدمة

الحمد لله المتفرّد بالكبرياء والعظمة ، الذي لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، صفت له النيات ، وخلصت له الضمائر ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام سيدنا ونبينا وإمامنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .
ثمّ أمّا بعد :

فإن كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " للإمام ابن عبد البر القرطبي يعدّ من أمهات كتب الأدب واللغة ، وصاحبه الفقيه الحافظ المحدث من موسوعي الثقافة ووافري الاطلاع في عصره .

موضوع البحث :

كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (دراسة أدبية تحليلية نقدية)

أهمية البحث :

- ١/ إبراز أهمية الكتاب لطلاب العلم لما فيه من مادة أدبية غزيرة .
- ٢/ إظهار نواذر وأمثال وحكم العرب ، لتكون زينة لمن حفظها .
- ٣/ وتظهر أهمية الكتاب وفائدته من دراسته لتطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التي وصلت الأندلس حينذاك .
- ٤/ بالكتاب قدر معتبر من شعر الشعراء الأندلسيين ، مثل يحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندي الرمادي ، وأبي القاسم محمد بن نصير ، وابن عبد ربه الأندلسي ، وغيرهم .

٥/ كما حفظ لنا الكتاب مادة مشرقية غزيرة من الاندثار ، مثل شعر منصور الفقيه ، ومحمود الورّاق .

أسباب اختيار موضوع البحث :

هنالك أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الكتاب ، منها :
١/ التعرف على عالم جليل القدر واسع المعرفة والاطلاع على شتى فنون المعرفة .

٢/ يعد الكتاب ثروة أدبية جامعة شملت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، والأمثال والحكم ، والأشعار ، والنوادر .
٣/ عدم تناول الباحثين لهذا الكتاب القيم المفيد .

حدود البحث :

حددت بحثي بين دفتي كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " مستعينا في ذلك ببعض المصادر والمراجع الأدبية والتاريخية .

المنهج المتبع في البحث :

اتبعت في هذا البحث ثلاثة مناهج هي :

١/ المنهج التاريخي ووظفته لسرد حياة الإمام ابن عبد البر القرطبي وسيرته.
٢/ المنهج الوصفي ووظفته لعرض معاني الدين والدنيا في كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " .
٣/ المنهج التحليلي ووظفته لما احتواه الكتاب من الأمثال السائرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة ، والأبيات النادرة . وتحليل ما ورد في الكتاب من أبواب

الدراسات السابقة :

بعد بحث مضمّن في المكتبات ، لم اهتمد إلى دراسة علمية تناولت هذا الكتاب القيم .

صعوبات البحث :

- من الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث :
- ١/ قلة المصادر والمراجع وكتب السيرة المتناولة لكتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس " ومؤلفه .
 - ٢/ صعوبة إرجاع كل بيت من الشعر لقائله وكل مثل لمضربه ؛ لندرة كثير من الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب . وقلة المصادر المتناولة لأمثال العرب .
 - ٣/ مشاكل وصعوبات طباعة وإخراج البحث .

خطة البحث :

اتبعت في هذا البحث خطة شملت مقدمة وأربعة فصول ، ثمّ ختمته بخاتمة وذيلته بفهارس عامة .

الفصل الأول : الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، عصره ، وحياته ، وفكرة كتابه ، يشمل ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : عصر ابن عبد البر القرطبي .
 - المبحث الثاني : حياة ابن عبد البر القرطبي .
 - المبحث الثالث : فكرة كتاب ابن عبد البر القرطبي .
- الفصل الثاني :** دراسة تطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجري . ويشمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : الكتب وألوان الثقافة التي وصلت للأندلس .
- المبحث الثاني : غلبة الثقافة المشرقية في الأندلس .
- المبحث الثالث : طابع الزهد والتصوّف في الأندلس .

المبحث الرابع : وصف الطبيعة في الأندلس .

الفصل الثالث : محتوى كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " . ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأمثال السائرة .

المبحث الثاني : الحكم البالغة .

المبحث الثالث : الحكايات الممتعة .

المبحث الرابع : الأبيات النادرة .

الفصل الرابع : تحليل الأبواب في كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " ويشمل تمهيد ، وخمسة مباحث :
تمهيد :

المبحث الأول : باب آداب المجالسة وحق الجليس الصالح ، باب حمد اللسان وفضل البيان ، باب ذمّ العي وحشو الكلام ، باب في التعلّم واجتناب اللحن وتعلّم الإعراب ، وباب في اختلاف عبارتهم عن البلاغة ، باب من خطب فارتجّ عليه باب حمد الصمت وذمّ المنطق ، باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة ، باب الأدب ، باب ترويح القلوب وتنبيهها ، باب قولهم في وصف العيش وما تتمناه النفس باب اختلاف الهمم في أنواع المال ، باب التجارة ، باب الرزق ، باب الحرص والأمل ، باب الطمع واليأس ، باب ذمّ السؤال ، باب انتظار الفرج ، باب الجدّ والحدّ باب المال حمداً وذمّاً ، باب جامع القول في الغنى والفقر ، باب الدين .

المبحث الثاني : باب الاقتصاد والرفق ، باب السفر والاغتراب ، باب التوديع والفراق ، باب الزيارة والعيادة ، باب الحجاب ، باب المصافحة وتقبيل اليد والفم باب الرسول ، باب الهدية ، باب الجار ، باب الضيف ، باب المعروف ، باب الشكر باب في طلب الحاجات ، باب السلطان والسياسة ، باب الكتاب والكتابة ، باب الظلم والجور ، باب العفو وكظم الغيظ ، باب الغضب ، باب الرجاء والخوف ، باب العافية والبلاء ، باب المرض والطب ، باب الطاعة والمعصية .

المبحث الثالث : باب الغيبة والنميمة ، باب البغي والحسد ، باب السباب والمشاتمة ، باب الظنّ والزكّانة ، باب الكبر والتهيه ، باب التواضع والإنصاف باب الرأي والمشورة ، باب كتمان السرّ وإفشائه ، باب الحرب والشجاعة والجبن ، باب الاعتذار ، باب المواعيد ، باب عيون من المدح ، باب عيون من الذمّ ، باب العقل والحمق ، باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء وألفاظ النوكى والجهلاء ، باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح ، باب المزاح إباحة وكراهة ، باب مدح الصدق والأمانة وذمّ الكذب والخيانة ، باب الحقّ والباطل ، باب الحياء والوقار باب حسن الخلق وسوئه ، باب حمد الحلم وذمّ السفه ، باب مدح الجود والكرم وذمّ البخل واللؤم ، باب المروءة .

المبحث الرابع : باب امتحان أخلاق الرجال ، باب التودد إلى الناس ، باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم ، باب الصديق والعدو ، باب جامع متخيّر في الأخوان ، باب العتاب ، باب الثقلاء والطفيليين ، باب الشماتة ، باب مؤاخاة من ليس على دينك ، باب الوالد والولد ، باب الأقارب والعشيرة ، باب المملوك والمالك ، باب الذكر والثناء ، باب البكاء على ما مضى من الأزمان والتلهّف على صالح الأخوان والحنين إلى الأوطان ، باب مدح مغالبة الهوى وذمّ إتباعه ، باب معنى عشق النساء والهوى فيهنّ ، باب في وصف النساء بالحسن والرقّة ، باب النظر إلى الوجه الحسن باب جامع ذكر النساء وتزويج الأكفاء ، باب اللباس ، باب المراكب من الخيل وغيرها ، باب الطعام والأكل ، باب النوم وتصرف المعاني فيه ، باب الحمّام .

المبحث الخامس : باب في البراغيث والبقّ والبعوض ، باب في السجن ، باب العادة وما لا ينسى ، باب في المنجمين ، باب ثلاثة من الحكم ، باب أربعة ، باب خمسة ، باب نواذر من الرؤيا ، باب من نواذر الأخبار ، باب من نواذر الفلاسفة مختصرة ، باب الرياء ، باب في المشيب ومدحه ، باب في خضاب الشيب ونتفه باب جامع مختصر في الشيب والبكاء على فقد الشباب ، باب الكبر والهرم ، باب الوصايا الموجزة ، باب لمع من الدعاء ، باب ذكر الدنيا ، باب الزهد والقناعة ، باب

من المواعظ الموجزة ، باب العمل ، باب مختصر من التعازي في المصائب والصبر
على النوائب ، باب من كلام المحتضرين .

الخاتمة : وتشمل :

نتائج البحث.

توصيات الباحث .

فهارس عامة : وتشمل :

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث النبوية .

فهرس الأبيات الشعرية .

فهرس الأعلام .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

الفصل الأول

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري
القرطبي. عصره وحياته وفكرة كتابه " بهجة المجالس وأنس
المجالس وشحن الأذهان والهاجس "

ويشمل ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : عصر القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) - (٩٧٨ - ١٠٧١ م) .
- المبحث الثاني : حياة القرطبي .
- المبحث الثالث : فكرة كتاب القرطبي .

البحث الأول

عصر القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) - (٩٧٨ - ١٠٧١ م)

الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية

أولاً: الحياة السياسية :

بعد انهيار البيت الأموي في الشرق أعمل العباسيون السيف في رقاب الأمويين واستطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن مروان أن ينجو من بطش العباسيين ويفرّ مستخفياً إلى المغرب حتى نزل على أخواله (بني نفزة) بالقرب من " سبتة " وهناك أظهر نشاطاً سياسياً ، وكانت الأرض المواتية لطموحه السياسي هي الأندلس التي تضم نواة أموية شامية ، وعندما وطأت أرجله أرض الأندلس ، استقبل استقبالاً حافلاً ، فدانت له البلاد وأصبح أميرها ، ولقب بالداخل لدخوله إيّاها ، ولقبه أبو جعفر المنصور بصقر قریش (١) .

وكان دخوله قرطبة التي جعل فيها سرير ملكه في العاشر من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ومائة للهجرة ، فقطع الخطبة عن بني العباس ، ودعي له على المنابر وبنى المسجد الجامع في قرطبة واختطّ مدينة الرصافة (٢) .

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تأليف عبد الواحد المراكشي ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، الكتاب الثالث ، ط ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٤٠ - ٤١ . وانظر : في الأدب الأندلسي ، تأليف د. جودة الركابي ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٦٦م ص ١٤ - ٢٥ .

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤١ - ٤٢ .

وبدأت منذ ذلك العهد إمارة قرطبة المستقلة ، وتأسست الدولة الأموية وكانت أهداف عبد الرحمن الداخل ^(١) أمير الأندلس هي :
أ/ تنظيم الجيش .

ب/ فتح أبواب الأندلس أمام الأمويين المضطهدين في الشرق .
ج/ إيجاد التقاهم بين عناصر العرب ولا سيما القبائل التي تحارب بعضها بعضاً ، ودعم السلطة الأموية باللجوء إلى توطيد الأمن في جميع أنحاء البلاد ، ممّا حدا بالمهاجرين الأمويين دعم هذه الدولة الناشئة وتعزيزها ^(٢) .

وعند وفاة عبد الرحمن الداخل بعد أربع وثلاثين سنة في الملك كانت الدولة الأموية في الأندلس تتمتع بصفات الدولة القويّة المنظّمة .

وعندما تقلّد عبد الرحمن الثالث ^(٣) زمام الأمر ، كان عمرة ثلاثاً وعشرين سنة ودام حكمه خمسين عاماً ، ولم يعرف التاريخ الإسلامي عهداً زاهراً كعهده لأنّه استطاع أن يخضع العاصين ، ويجمع كلمة المسلمين ، وقهر المناوئين ، ووصل به الأمر إن أعلن نفسه خليفة ، ولقب بأمر المؤمنين الناصر لدين الله ، فنهضت الآداب والعلوم " ونافست قرطبة بغداد " وبنى قصراً سماه قصر الزهراء ، وباه في خمسة وعشرين سنة فزاد قرطبة جمالاً وسحراً ، وهادته الملوك ، وطلبت مهادنته ^(٤)

(١) هو : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، الملقب بصقر قریش ، ولد سنة ١١٣هـ ، وهو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس ، أحد عظماء العالم ، تربى في بيت خلافة ، حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، توفي سنة ١٧٢هـ . الأعلام ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥ .

(٣) هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، من رجال الدولة الأموية في الأندلس ، نشأ يتيماً وبويع بعد وفاة جدّه ، توفي بقرطبة سنة ٣٥٠هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥ - ٢٦ .

وزخرت بيوت الأموال ، وبعد وفاته انتقلت الخلافة إلى ابنه الحكم ^(١) ، وكان كأبيه حازماً ميّالاً للعلوم والآداب ، وبعد وفاته ظهر محمد بن أبي عامر المشرف على ابن الحكم هشام إلى أن أصبح ملكاً على الأندلس ، ولقب نفسه بالحاجب المنصور ودعي له على المنابر ، وبموته وموت ابنه من بعده ينتهي حكم العامريين المستبد ^(٢) .

وتعود السلطة إلى البيت المرواني ويطرأ الفساد وتسود الفوضى ويضطرب الأمن ، ورؤساء الطوائف يبدأون الانفراد بالإمارات التي يحكمونها ، وعرفوا بملوك الطوائف ، وقد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة . وقد قامت بين ملوك الطوائف حروب متصلة ، كان القوي فيها يزيل سلطان الضعيف ، ولم يتوان بعضهم أن يستتجد بملوك الفرنجة فيغتنمون الفرض ويخضعون ملوكها بعد مهاجمتها ، دام أمر الطوائف هذا نحو مائة سنة تقريباً ، استطاع في أواخرها ملوك الإسبان من جمع كلمتهم ، وهاجموا هذه الدويلات واحدة واحدة فقصوا عليها جميعاً .

في هذا الخضم المتباين والنزاعات المتتالية ، عاش وعاصر أبو عمر بن عبد البر القرطبي عدداً من الخلفاء والأمراء ، مثل أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري ^(٣) والمظفر بن الأفطس ^(٤) ، وغيرهما ^(٥) .

(١) هو : الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني ، صاحب الأندلس ، حكم ١٦ عاماً وعاش ٦٣ سنة اشتهر بجمع الكتب إذ بلغت ٤٠٠٠٠٠ مجلد، توفي سنة ٣٦٦، الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، ص ٧٥ .
(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٧ .

(٣) هو : أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر ، من المماليك ، ومن أهل الأدب والشجاعة نشأ بقرطبة ومات بدانية سنة ٤٣٦ . معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٢٢٧٣ - ٢٢٧٤ .

(٤) هو : المظفر تقي الدين بن الملك المنصور بن المظفر تقي الدين ، دامت دولته ٢٥ سنة أصيب بالفالج ، اشتهر بالشجاعة ، توفي سنة ٦٤٢ . الوافي بالوفيات ، ج ٢٥ ، ص ١١٧ .

(٥) في الأدب الأندلسي ، ص ١٧ - ٢٤ .

ثانياً : الحياة الاجتماعية :

يتألف المجتمع الأندلسي من البربر والعرب واليمنية والقيسية ، وكان لاضطراب هذه العناصر البربرية والعربية أثره الواضح ، إلى أن جاء عبد الرحمن الثالث فأخضعهم جميعاً إلى الطريق السوي ، وأزعنوا عندئذٍ لهيبة الملك ، وأيضاً هنالك الإسبان والمولدين . أمّا الإسبانيون الذي لم يسلموا كانوا يسمون بالعجم والأغراب ، وعندما حلّ عهد ملوك الطوائف الصفة الأندلسية هي التي كانت سائدة وكان لقرطبة العاصمة أريقها الذي جذب كثيراً من الأسر العريقة لما في قرطبة من مباحج الحياة المدنية ، ولأنّها دار الخلافة (١) .

العناصر التي تؤلف الشعب الأندلسي رغم اختلافها وتعددتها الظاهر فقد تركت في الأندلس صفات مشتركة استطاعت أن تمنح الأندلسي شخصية خاصة به والطبيعة نفسها فرضت سلطانها في تكوين هذه الشخصية ، والاختلاف العنصري لعب دوره أيضاً في تكوين هذه الشخصية ، فالأندلسي أياً كان رجلاً أم امرأة مهتماً بلباسه وهندامه وطعامه ، محباً للهو والغناء والموسيقى ، يحب العلوم والفلسفة والعدالة ، والذي لا شكّ فيه أنّ الأندلسي قد تميّز بصفات تتحدر من باخوس إله الخمر واللهو ، كما تتحدر من أبو لون إله الفن والشعر ، ولهذا ليس غريباً أن نرى الأندلسي محباً للفنّ شاعراً لاهياً عابثاً ، ثمّ بعد هذا منصرفاً للتفقه في العلوم والتشريع والدين والفلسفة بتأثير الدافع الإسلامي ، وحبّ التأمل وفهم أسرار الحياة .

ونجد أنّ العصر الأندلسي يتصف بصفتين متناقضتين هما التعصّب والاستبداد من ناحية ، والتساهل والحرية من ناحية أخرى (٢) .

التعصّب كان خيراً في سبيل دعم القوة الإسلامية ضدّ أعدائها ، وأيضاً كان شراً على الحرية الفكرية عند المسلمين ، أمّا التساهل يظهر في انغماس الشعراء

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس ، ط ٢ ، دار الثقافة ، بيروت

لبنان ، ص ٢٠ .

(٢) في الأدب الأندلسي ، ص ٥٢ .

والكتّاب في حمأة الدعارة ، فنطقت ألسنتهم بأفحش الكلام ، وامتدّت هذه الحرية للملوك ، فنطقت ألسنتهم بالقبيح وانتشرت الخلاعة وعمّت مجالس اللهو ، وساءت الأخلاق .

وفي عهد عبد الرحمن الداخل ساعد تتحيّ العرب عن الجيش على وجود طبقة الجنود المتطوّعة من بربر وصقليين ، وقامت بنصيبها الأكبر في الفتن ، بل أنّ طبقة الخصان والموالي أصبحت في عهد ضعف الدولة ، تتصرّف في شئون الخلافة والملك ، فضعت الروح الحربية والاجتماعية (١) .

أيضاً الغني وخصب البلاد ساعد على انصراف الناس إلى اللهو والملذّات ونشأت بين العرب أنفسهم طبقات (الزّراع ، والتجّار ، والصنّاع) بالإضافة إلى طبقة الموالي المؤلّفة من الإِسبانيّين وغيرهم ، الذين دخلوا في الإسلام ، وطبقة اليهود والقوط ، وهناك عاملاً اجتماعياً هاماً ساعد على تقويض الأندلس يتمثّل في ضعف الروح الحربية عند الأندلسيين وميلهم للتّرف وتزوّجهم بالقوطيات الإِسبانيّات اللّائي أضعفن روح العروبة في أبنائهنّ ، وأيضاً انتشرت روح الفتوّة التي سادت لدى الإِسبانيّين والغربيّين ، وكان لها قوانين متبّعة وأصول مقرّره إذا خالفها الفارس أخلّ بشرفه ، وقد بقيت الفروسية الأندلسية عصوراً تجذب الأنظار إليها بروعتها ، وظلّت على الأكثر مظهراً من مظاهر المباهج والتسامح (٢) .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٢٢ .

(٢) في الأدب الأندلسي ، ص ٥٤ .

ثالثاً : الحياة الأدبية :

عرفت الحضارة الأندلسية تطورات مختلفة تابعة لتطور تاريخ الأندلس السياسي ^(١) ، ولقد وصلت هذه الحضارة ذروتها في عهد الخلافة الأموية ، وعند انهيارها زوت الحضارة الأندلسية وخبث مظاهرها العمرانية والفكرية ، حتى جاءت دولة الطوائف واستطاعت رغم تطاحناتها أن تعيد بهاء الحضارة الأندلسية ، وسطعت شمس الأدب والفكر ، وعرفت الأندلس هذه الحقبة المضطربة طائفة من أعظم مفكراتها وأدبائها وشعرائها مثل الفيلسوف ابن حزم والمؤرخ ابن حيّان ، والكاتب الأديب ابن عبد البر القرطبي ، والشاعر ابن زيدون وغيرهم .

والملاحظ إنّ ملوك الطوائف أنفسهم كانوا في طليعة الأدباء والشعراء كالعالم عمر بن الأفطس صاحب بطليوس والمعتضد ^(٢) والمعتمد صاحب إشبيلية وغيرهم . ولكن هذه النهضة الفكرية والأدبية الزاهرة سرعان ما زالت عقب تضعضع دول الطوائف واستيلاء المرابطين على الأندلس وهم الذين عرفوا بالقسوة والتعصب فلم تجد دولة الفكر والأدب في ظلهم مرتعاً خصيباً رغم أنّ في عهدهم القصير ظهرت بعض الأسماء مثل الفيلسوف ابن باجة ^(٣) والفتح بن خاقان وابن بسّام ^(٤)

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٩٢ .

(٢) هو : محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي ، صاحب إشبيلية وقرطبة ، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور ، ولد بباجة بالأندلس ، سنة ٤٣١هـ ، وتوفي سنة ٤٨٨هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ١٨١ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبي ، الأندلسي السرقسطي ، الفيلسوف والشاعر المعروف توفي مسموماً في بازنجان بمدينة فاس ، سنة ٥٣٣هـ . وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

(٤) هو : أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ، شاعر معروف ، اشتهر بالظرف والهجاء ، لم يسلم منه أمير ولا وزير ، ولا صغير ولا كبير ، توفي سنة ٣٠٣هـ — بعد نيّف وسبعين سنة . وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

صاحب كتاب " الذخيرة " ويعد ظهورهم وأضرابهم في هذه الفترة امتداداً للنهضة الفكرية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف .

انتعشت الحضارة الأندلسية مرة أخرى في عهد دولة الموحدين والتي أظهر فيها الخلفاء اهتماماً بالعلوم والفنون ، وأطلقت حرية التفكير والبحث بعد أن قيدت (١) .

وفي عهد المرابطين وفي أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري بلغت النهضة الفكرية في الأندلس ذروة نضجها ، وظهرت طائفة من أقطاب العلم والأدب في طليعتهم أبو جعفر بن الطفيل الإشبيلي صاحب رسالة " حيّ بن يقظان " والفيلسوف ابن رشد (٢) ، والرئيس موسى بن ميمون القرطبي (٣) ، وهو من أشهر الأطباء والفلاسفة في عصره ، وإلى جانب هؤلاء العلماء ظهر عدد من الشعراء مثل أبي القاسم خلف بن بشكوال القرطبي ، وابن بدرون الإشبيلي ، كما ازدهرت المعاهد العلمية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ، فكانت مقصد الطلاب من كل فجّ (٤) .

ولمّا اضمحلّ شأن الموحدين وضعف أمرهم اجتاحت الفتنة معظم البلاد والنغور الأندلسية ، وبدأت قواعد الأندلس تسقط تباعاً في أيدي النصارى واضطربت دولة التفكير والأدب ، وأثّرت هذه المحنة في نفوس الشعراء فأزكت

(١) في الأدب الأندلسي ، ص ٥٧ .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن رشد ، أبو الوليد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، من مصنفاته " المقدمات والممهّدات " و " البيان والتحصيل " توفي بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٣) هو : موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق ، أبو عمران القرطبي ، طبيب فيلسوف يهودي ولد وتعلّم في قرطبة ، دخل مصر وعاش بها ٣٧ عاماً ، ولد سنة ٥٢٩ هـ ، وتوفي سنة ٦٠١ هـ . الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٤) انظر : في الأدب الأندلسي ، ص ٥٨ .

عواطفهم بشعر اللوعة ، وكثير منهما غادر الأندلس إلى المشرق أو عبر البحر إلى المغرب (٤) .

(٤) في الأدب الأندلسي ، ص ٥٨ .

البحث الثاني

حياة ابن عبد البر القرطبي

أ/ اسمه : الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي^(١).

مولده : ولد في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة^(٢) .

نشأته : نشأ أبو عمر في قرطبة ، وتلقى تعليماً ممتازاً على أيدي جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق واستوعب كثيراً من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب في بلدة قرطبة أعظم المدن الأندلسية في ذلك الزمان وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره كان مفترضاً أن يحل محل أبيه فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث ما حرّمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب بما يسمّى في تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية التي كانت حوادثها من القسوة والهمجية حتى دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة من الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة^(٣) .

^(١) ترجمته في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان (د - ت) ، ج ٣ ، ص ٣١٤ . وينظر أيضاً : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبي بكر بن خلكان تحقيق د. يوسف على طویل ، ود. مريم قاسم طویل ، منشورات محمد على بيضون ، ط ١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج ٥ ، ص ٤٢٨ .

^(٢) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٣٢ ، وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

^(٣) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

هاجر أبو عمر من قرطبة أو على الأصح هرب إلى غيرها من بلاد الأندلس التي كانت كلها بعد انفراط عقد الخلافة الأموية قد فقدت وحدتها وأخذت تقور بالفتنة والقلق ، وأخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم أو درءاً لأطماع غيره فيه ، فأخذ أبو عمر في هذه الفترة يتجول في بلاد غرب الأندلس مستغلاً تجواله في الاستماع إلى علماء هذه البلاد والأخذ عنهم ، وقد أخذت هذه الفترة من حياته ما يقارب العشر سنوات ، وهي فترة غنيّة بما أخذه عن هؤلاء العلماء في أصقاع بلاد الأندلس . ولكنه لم يجد دولة أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً أكثر من " دانية " التي تقع في أقصى شرق الأندلس ، والتي يحكمها أمير حازم شجاع يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري ^(١) . وتعدّ الفترة التي قضاها أبو عمر في " دانية " من أخصب فترات حياته إنتاجاً ففيها ألف معظم كتبه المطوّلة التي اشتهر بها .

وبعد وفاة مؤسس " دانية " وراعيها الأمير أبو الجيش مجاهد العامري طرأت الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً ، والتي كانت تعكس بظلالها على نفوس الأدباء والعلماء فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشدّ طمأنينة ، وبالنسبة إلى أبي عمر خاصّة فإنّ التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد ، فهاجر أبو عمر إلى غرب الأندلس أو بتعبير أدقّ فارق " دانية " وهي التي كانت مهد شهرته ومركز أمنه وراحته ، وفي غرب الأندلس في " بطليوس " استقبل أبو عمر استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر بن الأفطس صاحب " بطليوس " مكانته وفضله ، فولاه قضاء " الشبونة " و " شنترين " ^(٢) .

^(١) البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، أبي العباس بن عذارى المراكشي ، اعتنى بنشره إ - ليفي بروفنسال ، ط سنة ١٩٣٠م ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

^(٢) شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٦ . وينظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

والمدينتان من أكبر مدن الأندلس وإنا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ولا المدة التي قضاها فيه ، وإن كان الأرجح بناءً على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحبٍ للاستقرار إنه قضى فيه زمناً طويلاً ، أمّا الأعوام القليلة الباقية من عمره قضاها منتقلاً في بلاد شرق الأندلس بين " دانية " و " بلنسية " و " شاطبة " ^(١).

ب/ وفاته : توفي أبو عمر " بشاطبة " سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة بالغاً من العمر خمسة وتسعين عاماً ^(٢) .

ج/ شيوخ القرطبي ^(٣) :

امتازت ثقافة أبي عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها. ويبدو هذا واضحاً في مؤلفاته العديدة التي تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة ، حتى لنحس عند قراءتها أنّ المؤلف يستمدّ ما يذكره فيها من معين لا ينضب ، وإنه لا يتكلف جهداً كبيراً في الإحاطة بموضوعه وطرق جوانبه المتعددة وإنما بسهولة ويسر ، والواقع أنّ كلّ ذلك لم يتأتّ لأبي عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل في التلقّي عن العلماء والدأب الذي لا يكلّ في القراءة والاطلاع .

وشيوخ أبي عمر الذين تلقّى عنهم ولازمهم مدة طويلة حتّى تأثر بهم في منهجه واكتسب منهم ثقافة علمية رفيعة هم كثر ، نلاحظ إنّهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، نذكر منهم :

(١) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٢ .

(٢) شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ - ٣١٦ . و وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٢ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٨ . وينظر شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

- ١/ عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي^(١) .
- ٢/ أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الطلمنكي ، أبو عمر محدث منسوب إلى بلدته ، كان إماماً في القراءات ، وثقة في الرواية ، سمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، ويعد شيخ أبي عمر في القراءات والحديث^(٢) .
- ٣/ أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر المعروف بابن المكوي الإشبيلي^(٣) .

- ٤/ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز^(٤) .
- ٥/ يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة ويعرف بابن الصفار^(٥) .
- ٦/ أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور^(٦) .
- ٧/ خلف بن قاسم بن سهل ، ويقال بن سهلون ، المعروف بابن الدبّاغ ، وكان أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له^(٧) .

(١) هو : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ، الأندلسي القرطبي ، الحافظ المعروف بابن الفرضي ، كان فقيهاً عالماً له من التصانيف " تاريخ علماء الأندلس " و " المؤلف والمختلف في أخبار شعراء الأندلس " ولد سنة ٣٥١هـ ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ . انظر : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تأليف الحميدي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط سنة ١٩٦٦م ، ص ١١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٥) جذوة المقتبس ، ص ٣٨٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

- ٨/ أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الإفلشي (١) .
 ٩/ إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشي العامري (٢) .
 ١٠/ عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد ، الهمداني الوهراني (٣) .
 ١١/ عبد الرحمن بن مروان القنازعي ، أبو المطرف (٤) .
 ١٢/ عبد الرحمن بن يحيى بن محمد ، أبو زيد العطار (٥) .
 ١٣/ عبد العزيز بن أحمد النحوي ، أبو الأصبغ ، ويعرف بالأخفش (٦) .
 ١٤/ علي بن إبراهيم بن حمويه ، الشيرازي ، أبو الحسن (٧) .

هؤلاء قليل من كثير ممن قرأ عليهم أبو عمر ، وروى عنهم ، والواقع إن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم ممّا لا يتيسر حصرهم بسهولة ويسر ، إذ أنه قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعلّ ما ذكرناهم دليلاً قاطعاً على اجتهاد أبي عمر ودأبه في طلب العلم .

د/ مكانة القرطبي العلمية ومؤلفاته :

اشتهر أبو عمر القرطبي بين معاصريه بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلاً موسوعي الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، فهو وعى حديث الرسول الكريم ﷺ ، واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند

-
- (١) جذوة المقتبس ، ص ١٤٢ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
 (٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .
 (٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .
 (٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .
 (٧) المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

قراءتها بأنه لا يحسن غيرهما، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، والأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً .

نلاحظ أنّ الفترة التي قضاها أبو عمر في " دانية " هي من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه والتي قامت عليها شهرة أبي عمر في كل أرجاء الأندلس ، وجعلت طلبة العلم يهرعون إلى " دانية " للتلقي عن الحافظ الكبير والسماع منه (١) .

وقد قال عنه ابن خلكان : " كان أبو عمر رحمة الله عليه موفقاً في التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه " (٢) .

والواقع إنّ هذا صحيحاً فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيّمة من مؤلفاته تشمل : علوم الفقه والحديث والتاريخ والأنساب والأدب ، ولا بأس أن نذكر بعضاً من المطبوع منها :

١/ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، وهو موسوعة في فقه الحديث في عشرين مجلداً (٣) .

٢/ الاستيعاب في طبقات الأصحاب ، صنّفه في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم (٤) .

٣/ جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله (٥) .

(١) شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٨ . وانظر: شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ . وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

- ٤/ الإنصاف فيما بين العلماء من الخلاف ^(١) .
- ٥/ الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء ، مالك ، الشافعي ، أبي حنيفة ^(٢) رضي الله عنه وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ^(٣) .
- ٦/ الإنباه على قبائل الرواة ^(٤) .
- ٧/ الدرر في اختصار المغازي والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ^(٥) .
- ٨/ الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار ^(٦) .
- ٩/ شرح زهديات أبي العتاهية ^(٧) .
- ١٠/ نزهة المستعين وروضة الخائفين ^(٨) .
- ١١/ التقصي لما في الموطأ من حديث الرسول ﷺ ^(٩) .

-
- (١) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، ط وكالة المعارف الجلية ، استانبول ، ١٩٥٥م ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ .
- (٢) هو : النعمان بن ثابت ، التيمي ، الكوفي ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة ، أصله من فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، حبسه المنصور العباسي إلى أن مات سنة ١٥٠ هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٤ .
- (٣) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .
- (٤) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .
- (٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ج ٣ ، ص ٨٩ .
- (٦) هدية العارفين ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .
- (٧) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .
- (٨) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٨ . وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .
- (٩) هدية العارفين ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .

- ١٢ / العقل والعقلاء ، وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء (١) .
- ١٣ / أسماء المعروفين بالكنى (٢) .
- ١٤ / البستان في الأخدان (٣) .
- ١٥ / الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة (٤) .
- ١٦ / جمهرة الأنساب (٥) .
- ١٧ / التجريد والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد (٦) .
- ١٨ / بهجة المجالس وأنس المجالس (٧) .

ليست بالطبع هذه كل مؤلفات أبي عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمّها ، وهي التي قامت عليها شهرة أبي عمر في كل أرجاء الأندلس ؛ لأنّه لم يأل جهداً في خدمة العلم وتقنيده والحفاظ عليه رغماً عن مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة في علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلّق بذلك من الجرح والتعديل ، ثمّ الفقه ومسائله وتقريعاته وما يتعلّق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه ذلك من وقت وجهد ، رغم كل ذلك رأى أبي عمر أن يحفظ لنا هذا العلم هدية خالصة من جهده لجيله ولمن يأتي بعده من أجيال العربية .

(١) مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٢) هدية العارفين ، ج ٥ ، ص ٥٥١ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ . وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٤) هدية العارفين ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥١ .

(٦) هدية العارفين ، ج ٥ ، ص ٥٥١ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ . وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .

البحث الثالث

فكرة كتاب ابن عبد البر القرطبي " بهجة المجالس وأنس المجالس "

اسم الكتاب : " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس " .
مؤلف الكتاب : الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
النمري القرطبي .

تحقيق الكتاب : محمد مرسي الخولي .

مراجعة الكتاب : د. عبد القادر القط .

طبعة الكتاب : الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٦٢ م .

أصل الكتاب : نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب مؤلفة من نسختين :

أ/ القسم الأول يحتوي على الجزأين ، الأول والثاني بدار الكتب المصرية
تحت رقم ١٣٦٦ أدب ، مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ .

ب/ القسم الثاني : يحتوي على الجزأين الثالث والرابع ، في مجلد واحد
كتبت سنة ٦٧٧هـ بخط نسخ جيد مضبوط بالشكل .

النسخة الثانية : هي نسخة مراد ملا بإستانبول تحت رقم ١٤٨٧ ، مصورة
معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب ، كتبت سنة ٧٩٣هـ .

محتوى الكتاب :

يبدأ الكتاب بتصدير المحقق الذي من خلاله يوضح قيمة الكتاب ومكانة
المؤلف فيعدد لنا فقه وحفظ واطلاع ابن عبد البر القرطبي ، وأنه وهب حياته الطويلة
للعلم وأخلص له ، وقد حفظ لنا في كتابه هذا مآثور الأدب والنثر في مجالس العلماء
فصار كتابه ثرائاً أدبياً قيماً .

وأوضح المحقق اهتمامه بالعمل في هذا الكتاب وإخراجه إلى النور ، وذلك لأهمية ومكانة المؤلف بين علماء عصره ، ولحاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب .

ثم جاءت المقدمة ترجمة للمؤلف ، التي بين المحقق فيها اتفاق كل الكتب التي ترجمة للمؤلف ، وحدد بأن ما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، ثم تناول المحقق ميلاد ونشأة المؤلف وكيف أن الفتنة البربرية كانت سبباً في هجرته من " قرطبة " ، وأسهب المحقق الحديث عن تجوال المؤلف في بلاد الأندلس ، وتحدث أيضاً عن ملازمة المؤلفة لصاحب " دانية " مجاهد العامري ، والتي ألفت فيها أربعة كتب في القراءات ثم تحدث عن توليه للقضاء في " الإشبونة " و " شنترين " .

وعند حديث المحقق عن شخصية المؤلف وأخلاقه أبان بأن ما يميزه دأبه في طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر ، عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها وحسبه منها المكان الآمن يفرغ فيه إلى التقيد والتأليف ، ويلتقي فيه بتلاميذه وراغبي علمه .

ثم تحدث المحقق عن شيوخ المؤلف ، وهم قسمان :

١/ شيوخ تلقى عنهم في نشأته ولازمهم ملازمة طويلة .

٢/ شيوخ تلقى عنهم لفترة من الزمان ، وكانت تتوفر فيهم صفة الرحيل إلى

المشرق .

ويلي ذلك ذكر المحقق لمؤلفات أبي عمر التي قال عنها إن بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة ، وأجمعها تجاوزت الثلاثين مصنفاً الكثير منها مطبوع .

ثم تحدث المحقق عن كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " مبيناً أن أبا عمر رغم مشاغله المتعددة في علوم الحديث ورجاله وأنسابهم والفقه ومسائله وتفريعاته والتدريس للطلاب ، يجد أبي عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته في الأدب فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد فيه :

في حلبة الأدب فارس وكفاك دليلاً كتابه " بهجة المجالس " .

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه ، فمن حيث الغاية قصد فيه إلى ثلاثة أشياء ، هي :

أولاً : معرفة الأدب في حدّ ذاتها قربة إلى الله تعالى ، فهي تبعث على المكارم وتنتهي عن الدنيا والمحارم .

ثانياً : إنّ في جمع نواذر العرب وأمثالها ومقاطعها ومبادئها وفصولها ما يبعث في المضطلع امتثال طرقهم واحتذائها .

ثالثاً : إنّ أمثال وحكم ونواذر العرب زين لمن حفظها في مجالسهم وأنس لمجالسه ، وشحن لذهنه وهاجسه .

أمّا من حيث منهج الكتاب ، فإنّه بسيط لا تعقيد فيه مقسم إلى عدد من الأبواب بلغت أكثر من مائة باب ، كل باب يضمّ معنى من معاني الدين أو الدنيا ، ثمّ يستهلّ الباب بآية كريمة من القرآن إن تيسر ، ثمّ تلى الآية حديث من أحاديث الرسول ﷺ وسلم إن تيسّر كذلك ، ثمّ يورد من أشعار العرب وحكمها أو ما أثر من غيرهم من العجم والروم من كل ما قيل في هذا المعنى أو اتصل به ، ويكون التناغم بين كل ذلك زاهياً .

وسوف أعرف لها جميعاً - إن شاء الله - بالدراسة والتحليل في ما يأتي من أبواب في ثنايا هذا الموضوع .

مادة الكتاب : نستطيع القول : إنّ أبا عمر استقى مادة الكتاب من عدد ضخم من المصادر من أهمها كتاب " المستطرف في كل فنّ مستظرف " للأبشيحي ، وكتب ابن قتيبة " عيون الأخبار " ، و " المعارف " و " الشعر والشعراء " وكتابي الجاحظ " البيان والتبيين " و " الحيوان " ، و " حماسة أبي تمام " ودواوين كثير من الشعراء .

ومن الملاحظ إنّ مادة الكتاب في معظمها مادة مشرقية ، كما أنّ لكتاب " بهجة المجالس وأنس المجلس " مزايا أخرى هامة تتمثل في الآتي :

١/ بالكتاب قدر معتبر من شعر الشعراء الأندلسيين كيحيى بن حكم الغزال ويوسف بن هارون الكندي الرمادي ، وأبي القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربّة وغيرهم .

٢/ كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " حفظ في طيّاته مادّة مشرقية غزيرة من الاندثار والتلاشي ، مثل شعر منصور الفقيه ^(١) الأديب المصري الموطن والذي كان شعره مشهوراً في بلاد الأندلس ، وأيضاً شعر الشاعر البغدادي محمود الوراق .

٣/ كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " مهم ومفيد لدراسة تطوّر الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجري ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التي وصلت الأندلس حينذاك .

ثمّ يلي ذلك مقدّمة المؤلّف التي بيّن فيها أبو عمر جمعه للأمثال السائرة والأبيات النادرة والحكم البالغة والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمّة من معاني الدين والدنيا ، وذلك ليكون لمن حفظ ووعي وأتقن وأحصى زيناً في مجالسه وأنساً لمجالسه وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمر به معنى في الأغلب إلّا أورد فيه بيتاً نادراً أو مثلاً سائراً أو حكاية مستطرفة أو حكمة مستحسنة .

وأوضح المؤلّف أيضاً أنّه بوّب كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس " إلى ما تجاوز المائة باب ، حتى يسهل حفظه وتقرب مطالعته ، فاستوى للمؤلّف موضوعه الذي أنشده وبلغ له أشدّه .

وسأعرض لهذا كلّه بالدراسة والتحليل في ثنايا هذا البحث ، وما التوفيق إلّا من عند الله .

(١) هو : منصور بن إسماعيل بن عمر ، التميمي ، فقيه شافعي ، من الشعراء المجيدين ، ضرير مدح الخليفة المعتز ، سكن مصر ، وتوفي بها . الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ .

الفصل الثاني

دراسة تطوّر الأدب الأندلسي
في القرنين الرابع والخامس الهجري

ويشمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : الكتب وألوان الثقافة التي وصلت للأندلس .
- المبحث الثاني : غلبة الثقافة المشرقية في الأندلس .
- المبحث الثالث : طابع الزهد والتصوّف في الأندلس .
- المبحث الرابع : وصف الطبيعة في الأندلس .

البحث الأول

الكتب وألوان الثقافة الوافدة للأندلس

قام أولي الأمر في بلاد الأندلس بتشجيع الثقافة وتقريب أصحابها من المقيمين والوافدين ، وهياؤوا الأسباب التي تكفل تقدمها ونماءها ، فقد ظهرت كتب كثيرة مشرقية أيام الأمير الحكم المستنصر في أيدي تجار مشاركة كانوا يتكسبون ببيعها في الأندلس ، وقد كان الحكم شغوفاً بالثقافة وجمع الكتب ، وهو الذي وجّه إلى المشرق (عباس بن ناصح الجزيري) في التماس الكتب القديمة ، فجاءه بـ "السند هند" وغيره من الكتب ، ويعدّ الحكم صاحب الفضل في ظهور نهضة علمية شاملة بالأندلس (١) .

والحكم شاب متقف واسع الاطلاع ذا لذة في شهود مجالس العلماء والسماع منهم والرواية عنهم ، فسمع من قاسم بن أصبغ (٢) ، ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطّاب ، وكان نظّاراً في الكتب كثير التعليق عليها ، وقلّما تجد كتاباً في خزائنه إلا وفيه قراءته وتعليقاته عليه ، ويكتب فيه بخطّه إمّا في أوله أو آخره أو في تضاعيفه ، ويأتي بغرائب في الكتاب تكاد لا توجد إلاّ عنده ؛ لكثرة مطالعته وعنايته وكان موثقاً به مأموناً عليه ، حتى صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ أهل الأندلس وأئمتهم ، وقد كانت خطة الحكم تقوم على نهضة علمية تمتدّ إلى أمور متشابكة منها إغراء العلماء بالقدوم إلى الأندلس ، أو بالتأليف من أجل خزائن الكتب الأندلسية

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٦٢ .

(٢) هو : قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء ، مولى الوليد بن عبد الملك إمام من أئمة العلم ، حافظ مكثّر مصنّف ، سكن قرطبة ومات بها ، سنة ٣٤٠ . معجم الأدباء ج ٥ ، ص ٢١٩٠ .

ونقل الكتب من الخارج ، وتشجيع الثقافات المختلفة من أدبية ودينية وفلسفية ، ودفع الملكات الأندلسية إلى جمع التراث الأندلسي (١) .

ومن إغرائه للعلماء والأدباء أن قدم إليه كثير من المشاركة تميّز من بينهم أبو علي القالي اللغوي ، فقد كتب له أبو الحكم ورغبه في الوفود عليه ، فطرز أبو علي القالي كتاب " الأمالي " ، وكان أبو علي يمليه على طلبته من بني ملول وغيرهم بـ " الزهراء " كل يوم خميس ، ثم زاد فيه فجعله ستة عشر جزءاً ، وزاد فيه فجعله عشرين جزءاً ، ولا ريب في أنّ قدوم القالي إلى الأندلس كان يمثل نهضة في الدراسات الأدبية واللغوية ، وعنه تلقى الأندلسيون واتخذوه حجة ، ولقد وفدت مع أبو القالي عدد جمّ من الكتب إلى الأندلس ، فيها من الدواوين الشعرية جاهلية وأموية ومجموعات شعرية كالمفضليات ، وشعر الهذليين والنقائض ، فمما أدخله من دواوين الشعر: " شعر ذي الرمة ، وعمرو بن قميئة ، والحطيئة ، وجميل بن معمر ، والنابغة الذبياني ، وعلقمة بن عبدة ، والشماخ ، والأعشى ، وعروة بن الورد ، والنابغة الجعدي ، وكثير عزة ، وأوس بن حجر ، وأيضاً نقل أبو القالي معه كتباً من الأخبار والفنون المختلفة ، وكل هذا يشير إلى قوة التيار الثقافي الذي أخذ يتجه بالمتقنين إلى التعمق في الدراسات القديمة (٢) .

ومن العلماء الذين أغراهم كرم الحكم وتشجيعهم ، محمد بن يوسف (٣) أبو عبد الله التاريخي الوراق ، له كتاب ضخم في مسالك إفريقيا وممالكها ، وألف أيضاً في أخبار ملوكها وحروبهم ، وكذلك أكرم الحكم أندلسياً من الذين هاجروا إلى

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) هو : محمد بن يوسف ، أبو عبد الله الوراق ، مؤرخ أندلسي ، ولد بقرطبة سنة ٢٩٢هـ ونشأ بالقيروان ، له كتاب " مسالك إفريقيا وممالكها " توفي بقرطبة سنة ٣٦٢هـ . الأعلام ج ٨ ، ص ٢١ .

المشرق هو أبو سليمان الهواري ، وأنزله بـ " الزهراء " ووسع عليه ، وقرأ عليه أناس كثير (١) .

وأغدق الحكم العطايا على البعيدين من العلماء والأدباء والفقهاء ؛ لكي يؤلفوا من أجل خزائنه ، منهم أبو الفرج الأصبهاني (٢) ، صاحب كتاب " الأغاني " وبمقابل ألف دينار ذهباً أرسل أبو الفرج نسخة منقّحة إلى الأندلس (٣) .

أمّا في جمع الكتب من الأمصار ، فكان شأن الحكم في ذلك عجباً ، إذ اتخذ له وراقين بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوليف ، ووجه رجالاً إلى الآفاق بحثاً عن الكتب فامتلأت الخزائن ؛ لأنّه جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله ، إذا كان عدد فهارس مكتبته أربعاً وأربعين فهرسة ، وبلغ عدد الكتب أربعمئة ألف مجلّد ، ولم يكن الحكم يفضلّ علماً على آخر ، ولذلك امتلأت خزائنه بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والطب ، وأقبل الناس على قراءة علوم الأوائل ، وكانوا من قبل ينفرون منها وأصاب العمل في هذه الناحية العلمية شيء من التنظيم منذ أن وصلت الأندلس هدية " رومانوس " إمبراطور البيزنطيين وفيها كتاب " ديسقوريدس " في النبات مصوراً مكتوباً بالإغريقية ، ولم يكن يومئذ بـ " قرطبة " من نصارى الأندلس من يقرأ هذه اللغة ، فسأل الخليفة الناصر إمبراطور القسطنطينية أن يبعث إليه برجل يتكلّم الإغريقية واللاتينية ليعلم له عبيداً يصيرون مترجمين (٤) .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٦٦ .

(٢) هو : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ، صاحب كتاب " الأغاني " جدّة مروان بن محمد آخر بني أميّة ، وهو أصبهاني الأصل ، بغدادى المنشأ ، عالماً بأيام الناس والأنساب والسير ، ولد سنة ٢٨٤هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ . وفيّات الأعيان ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٦٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

ومما يلحق بهذا النشاط العلمي ، كثرة الأطباء ، وعلماء التنجيم ، الذين تجمّعوا حول الناصر والمنتصر ، وكان الأسقف القرطبي ابن زيد مختصاً بالمستنصر وله ألف كتاب " تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان " .

أمّا الطبيب حسداي بن إسحاق اليهودي ، فقد استقلّ حظوته عند الحكم وتوصّل من ذلك إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق ، ففتح بذلك يهود الأندلس باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك (١) .

وخصص الحكم جانباً من دار الملك يجلس فيه العلماء للتأليف أو الترجمة أو مقارنة النسخ الوافدة ، ولعلّ أبرز ما أدّاه الحكم في تاريخ الثقافة الأندلسية ، هو حفزه الملكات الأندلسية على التأليف ، وجمع التراث الأندلسي ، فجمعت له كتباً كثيرة في أخبار شعراء الأندلس وغيرهم ، ولم يكن الحكم يدع فرصة تفوته إذا أمكنته في تشجيع التأليف ، وله في ذلك أخبار تدل على استغراق شديد واندماج نفسي في هذا الأمر (٢) .

وفي ظلّ هذا التسامح الذي أشاعه الحكم استطاع الأندلسيون أن يدرسوا الفلسفة والمنطق ، وكان كل من درسهما قبل عهد الحكم مذموماً ملحداً خارجاً عن الملة في نظر الناس .

وأما الطب فقد كان الأندلسيون في بادئ الأمر يعولون فيه على كتاب مترجم يسمّى " الأبريشم " أي الفصول ، وكان المتخصصون بصناعة الطب جماعة من النصارى ، لم يكن لديهم تحقق بالطب ، حتى كانت أيام عبد الرحمن الناصر (٣)

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) هو : الأمير الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الرحمن بن الأمير محمد ، صاحب الأندلس بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، باني مدينة الزهراء ، دامت دولته ٥٠ سنة سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، الذهبي ، تقديم محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث ، القاهرة ، ج ١٢ ، ص ١١٧ .

فدخلت الكتب الطبية من المشرق ، وقامت الهمم ، وظهر الأطباء المشهورون (١) . واستمرّ الجانب الأدبي من هذه النهضة التي انتعشت في عهد الحكم وظلّت حتى أيام المنصور بن أبي عامر ، أمّا جانبها العلمي ، فقد أصابه شيئاً من الركود وذلك أنّ المنصور ، أول توليه أمر الحجابة عمد إلى خزائن الحكم واستخرج جملة ما فيها من كتب بمحضر خواص من أهل الفقه ، ثمّ ميّز من بينها الكتب التي تتعلّق بعلوم الأوائل ، مستثنياً ما كان منها في الطبّ والحساب وأمر بإحراقها وإفسادها فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر ، وهيل عليها التراب والحجارة ، كل ذلك تقريباً وتحبباً للعامة واستئلاً لقلوبهم ، كان ذلك على أعين الناس ، أمّا في حقيقة الأمر ، فقد ظلّ المنصور يشجّع للدراسة والتأليف ، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم المقيمين بقرطبة (٢) .

ومن الطبيعي أنّ بعد هذه النهضة العلمية التي استغرقت في تطورها قرنين من الزمان - الرابع والخامس الهجري - لا تبقى الأندلس عالية على الكتاب المشرقي والثقافة المشرقية ، وإن هي لم تقطع صلتها بهما على مرّ الزمن ، فإنّها في الفترة بين عبد الرحمن الناصر وآخر عهد الدولة العامرية وجدت ذاتها والتفتت لماضيها واهتمّت بحاضرها وأدركها شيء يشبه الشعور القومي ، ودفعها الحكم المستنصر في هذا السبيل دفعة قوية ، فإذا المكتبة الأندلسية تذر بالمؤلفات عن الأندلس بأقلام أهلها وهكذا وجدت الأندلس رجالها وتاريخها وعلمها وأدبها فتحدّثت عنه وخلدته (٣) .

وإذا تركنا جانباً ما كتب في التاريخ والتجيم والطب وطبقات العلماء والقضاة والنحويين ، وتناولنا من الكتب ما يمس الأدب شعره ونثره ، وسير الأدباء والنقد الأدبي ، نجد الكتب التالية :

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

- ١/ طبقات الشعراء بالأندلس : عثمان بن ربيعة .
- ٢/ طبقات الكتّاب بالأندلس : الأفستين .
- ٣/ أخبار شعراء الأندلس : محمد بن هشام .
- ٤/ اللفظ المختلس من بلاغة الكتّاب بالأندلس : عبيد ياسين الجيّاني .
- ٥/ كتاب الحقائق : ابن فرج الجيّاني .
- ٦/ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : علي بن أبي الحسين .
- ٧/ أخبار شعراء الأندلس : ابن الفرضي .
- ٨/ أخبار شعراء الأندلس : عبادة بن ماء السماء .
- ٩/ كتاب في شعراء الأندلس : عثمان بن سعيد الكناني .
- ١٠/ كتاب الشعراء من الفقهاء بالأندلس : قاسم بن نصير (١) (٢) .

(١) هو : قاسم بن نصير بن وقّاص ، أبو محمد ، المعروف بابن أبي الفتح ، ولد سنة ٢٨٤ هـ — وهو شاعر أندلسي من أهل " شذونة " تخلّى عن الدنيا في آخر عمره ، له ديوان شعر أكثره في الزهد ، توفي سنة ٣٣٨ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٢١ .

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٨٠ .

البحث الثاني

غلبة الثقافة المشرقية في الأندلس

اتسمت الحياة الثقافية في الأندلس منذ البدء بالاعتماد على المشرق والتقليد لأهله ؛ لأنه كان أرقى حضارة وأوسع ثقافة ، وإليه يلتفت الأندلسيون في تجارتهم ويرونه منبع العلم والدين ، وموطن القداسة والحجّ ، وقد نمت روح المنافسة مع مرّ الزمان بين المشرق والغرب ، ولكنها لم تستطع أن تكفل استقلال الأندلس في شئون الحضارة والأدب بل إنّها ساعدت على توسيع دائرة التقليد (١) .

وقد حاول الحكم المستنصر ، ثمّ ابن حزم أن يرسموا للأندلس حدوداً ثقافية وأن يقفوا بها على مستوى المشرق ، ولكن تقديس الثقافة والأدب المشرقي ظلّ حاداً ساطعاً .

أيضاً كان لطبقة المؤدبين الذين ارتحل أكثرهم إلى المشرق واغتربوا ممّا فيه من علم وأدب وعادوا يدرسون في جامع قرطبة ، وقرطبة يومئذ دار القوم ، فالإلى هؤلاء وإلى تشجيع الحاكمين يعزى الفضل في إدخال ضروب الثقافة المشرقية بلاد الأندلس (٢) .

فعلى أيدي هؤلاء المؤدبين تمّ إذاً شيء من تبلور الذوق الأندلسي . وفي مجالس تدريسهم تكوّنت نواة حركة نقدية ساذجة ، فقد كانوا يتدارسون شعر شعرائهم الأندلسيين ، وشعر شعراء المشاركة ، وأيضاً كان الغناء من أكبر العوامل التي مكّنت للنماذج المشرقية في البيئة الأندلسية ، فإنّ التفاعل بين الموسيقى والشعر ذو قدرة

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

على توجيه الشعر وتحديد قوالبه ، وقد كان اعتماد الأندلسيين كلياً على التلاحين المشرقية ، وكان أمراء الأندلس يؤمنون بتفوق الجواري المشرقيات (١) .

ويعدّ الحكم بن هشام من أكثر الأمراء عناية بالغناء ، فقد كان لديه عدد من الجواري المغنيات ، وقد كان بعضهنّ ينظم الشعر ويلحنه .

ثمّ دخل الأندلس تلميذ إسحاق الموصلي " زرياب " هو وأبناؤه وجواريه فعفى على آثار من سبقه بتجديداته وبدعه في الغناء ، وقد جعل للغناء مراسيم (٢) .

وظهر أيضاً " الزامر " وهو رجل لا يستغنى عنه في الحفلات والأعراس يلبس قلنسوة وشي ، وثوباً من الخزّ . ومهما يكن من شيء فقد شاع الغناء في البلاد الأندلسية عامّة ، وإنّ الغناء لقي تأثيراً أجنبياً قبل دخول زرياب إلى الأندلس فأصبحت الأندلس بوتقة انصهرت فيها التيارات الغنائية المختلفة (٣) .

وقد قام أولو الأمر بتشجيع الثقافة وتقريب أصحابها من الوافدين وهياؤوا الأسباب التي تكفل تقدمها ونماءها ، ورويداً رويداً بدأت السمات المميزة للشخصية الأندلسية تتضح بقوة في كثير من النواحي ، ومن الطبيعي أن تستقل الأندلس ذات السيادة الخاصة والنظم المتفرّدة بكثير من العادات والأزياء ، وضروب الإدارة وطرق الحرب ، والجندية ، وأساليب الزراعة والصناعة والبناء ، وطرق التعليم وطبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، وغير ذلك من شئون (٤) .

وألّمح مظهرين من مظاهر استقلال الأندلس بحكم التفاعل الطبيعي مع البيئة هما : الأمثال واللغة ، فالأمثال الأندلسية تدلّ على أنّها نتاج بيئتهم ؛ لاتصالها بأشخاص وأحداث ومظاهر منها ، فمن ذلك أنّهم كانوا يقولون حين يضربون المثل في الفصاحة " ما هذا إلاّ أبو حرشن " و " أفصح من بكر الكناني " و " أفصح من

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨١ .

الرشاش " وكل هؤلاء من لغويي الأندلس ، وأما ظاهرة الاستغلال اللغوي فتظهر في تميّز اللهجة الأندلسيّة الدارجة ، فهي نبت البيئة الأندلسيّة ، لو سمعها أهل المشرق لما عرفوا مدلولها ^(١) .

وكانت الصورة الأدبية لهذا التبلور في الشخصية الأندلسية هي الموشحات والأزجال التي منحت الأندلس تميّزاً خاصاً على الشعر المشرقي ، وقد جاءت الأزجال بعد الموشحات ، وكان الأزجال باللغة المحكية ، وكان قبولها يعني منح اللغة الدارجة وجوداً أدبياً ، وفي الأزجال أيضاً استطاع الأندلسيون أن يعبروا عن شئون حياتهم اليومية بطريقة قريبة إلى نفوسهم ، فجاءت أزجالهم أدقّ من الشعر الكلاسيكي في طابعها الأندلسي ، وتمثيلها للروح الأندلسية ^(٢) .

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

البحث الثالث

طابع الزهد والتصوّف في الأندلس

طابع الزهد في الأندلس ، ولد في أحضان الثورة على الحكم الربضي ، إذا كان الأتقياء ينظمون أشعار الزهد ويتغنون بها في الليل ، ويضمنونها التعريض به ثم أخذ هذا الأدب يقوى ردّاً على الحياة اللاهية في المدن ، أو انقياداً لداعي التقوى في النفس أيام الشيخوخة ، كما في زهديات " الحكم الغزال " وممحصات ابن عبد ربّه وهي قصائد تكفيرية نظمها لينقض القصائد اللاهية التي قالها في أيام الشباب ووجد من الأتقياء من تخصص في هذا النوع من الشعر ، مثل ابن أبي زمنين صاحب ديوان النصائح ، وقاسم بن نصير ، الذي ألف أيضاً كتاباً في الشعراء من الفقهاء تكملة لهذا الاتجاه الذي كان قد انتهجه في شعره ، وفي هذا الموضوع الزهدي نحس بشخصية أبي العتاهية وأفكاره ونظراته في الحياة والمدن ، وهذا الأمر مشترك بين أناس ينظرون للحياة الدنيا من خلال نظرهم للمدن والحياة الخالدة ، ومن العسير أن نحكم بأنّ الأندلسيين استعاروا هذا الموضوع من أبي العتاهية أو اقتبسوا منه الشعري ، وذلك لأنّ الزهد نزعة لها أصولها الاجتماعية ، وليست تجيء كلها اقتباساً ولكن أثر أبي العتاهية في تقوية النزعة والاتجاه الشعري لا يمكن إنكاره ^(١) .

يقول ابن أبي زمنين في الزهد :

أيّها المرء دنياك بحر

طامح موجه فلا تأمنها

وسبيل النجاة فيها مبين

وهو أخذ الكفاف والقوت منها ^(٢)

^(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص ١١٦ - ١١٨ .

^(٢) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

وإذا قارنا بين قول ابن أبي زمنين هذا ، وقول أبي العتاهية في قوله :
كل أهل الدنيا تعوم على الغفـ

ـلة منها في غمر بحر عميق

يتبارون في السباح فهم من

بين ناج منهم وبين غريق ^(١)

ف نجد أنّ الصورة التي يرسمها ابن أبي زمنين للدنيا أقرب إلى أن تكون صورة
أندلسية أصيلة ، حتى إذا اتفقا في الموضوع ، فالفرق بينهما ينتج عن صورة الدنيا
عند كليهما ، فأبو العتاهية يتصورّ الدنيا داراً أو ظلاً متقلصاً ، أو مرعى أو سراياً
وقلماً يتصورها بحراً .

ومما يلج في الزهد عند الأندلسيين الاعتبار بفناء الناس وتقلب الدهر بهم ^(٢) .

ويمثل هذا قول يحيى بن الحكم الغزال :

فإذا ما نظرت في عرض النا

س كأني أراهم في الظلام

وكانّ الذي أصيب على الأيا

م شيئاً أصبته في المنام ^(٣)

وقول يوسف بن هارون :

ألست ترى الناس مثل الأطباء

يسدّ سبيلهم بالشرك

^(١) شرح ديوان أبي العتاهية ، تأليف كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٩٦٤م ص ٢٨٥ .

^(٢) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتّاني
الطبيب ، تحقيق د. إحسان عبّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، (د - ط) ، (د - ت)
ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

^(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

فبينما تفارق خلاً فواقاً

أتيت فقيل فلان هلك (١)

وقال أيضاً في هذا الأمر عبد الملك بن شهيد الوزير :
فقدت شبابي فاضطربت لفقده

على اليأس من عود له آخر الدهر
وولّى صحابي كالدنانير أوجهاً

وكالراح عهداً فانطويت على الجمر (٢)

وقال فيه أيضاً علي بن أحمد (٣) :
رعى الله أياماً خلون كأنما

خلقن لساعات السرور مواسماً (٤)

وقال أيضاً ابن عبد ربّه :

ألا إنّما الدنيا نضارة أيكة

إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب (٥)

ومهما يكن من أمر فإنّ الزهد والتصوّف كانا من الموضوعات التي ازدهر القول فيهما على ألسنة الشعراء الأندلسيين بشكل لافت للأنظار ، فكل غلو في ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية لا بدّ من مقابل له في الاتجاه الآخر ، حيث يحدث نوع من التوازن في مسلك الحياة العامة ، وطالما أنّ هنالك إسراف في الملاذ وغلو في الإقبال على الشهوات ، لا يكون غريباً أن يوجد بين الناس من يجانب الملاذ ويخاصم

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٢٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٣) هو : علي بن أحمد الكوفي ، من غلاة الشيعة ، وهو من أهل الكوفة ، توفي سنة ٣٥٢ هـ .
الأعلام ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

(٤) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص ٢٦٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ . وانظر : جذوة المقتبس ، ص ١٠٣ .

الشهوات ويبتعد عن الدنيا ويقترب من الآخرة ابتعاد الطرف الآخر عن الآخرة وإقباله على الدنيا (١) .

ولقد كثر الزهاد والمتصوفة في الأندلس وعبروا عن مكنون مشاعرهم وحرارة إيمانهم تعبيراً صادقاً ، وما دام التوشيح يقتفي آثار القصيد ، فإنّ الموشحة لا بدّ لها أن تقتحم هذا الميدان ، وهو ما كان بالفعل حين بدأ محيي الدين بن عربي الأندلسي (٢) المولد والنشأة الدمشقي الوفاة سنة ستمائة وثمانية وثلاثين للهجرة ينشئ توشيحاً رائعاً مليئاً بأسباب الشفافية ، حاملاً في ثناياه الكثير من مصطلحات الصوفية وتعبيراتهم ، من عشق ووجد وبوح وكتمان وغير ذلك من المعاني التي يستشفها المرء من سياق الموشحة (٣) .

يقول ابن عربي :

سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناظرين
والعاشق الغيران من ذاك في حران يبدئ الأنين
يقول والوجد أضناه والبعد قد حيرره
لما دنا البعد لم أدر من بعد قد غيّرره
وهيّم العبد والواحد الفرد قد خيّرره
في البوح والكتمان والسر والإعلان في العالمين
أما هو الديان يا عابد الأوثان أنت الضنين (٤)

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط ١ ١٩٧٩م بيروت ، ص ٤٤٠ .

(٢) هو : محمد بن علي ، المعروف بأبي حمزة الأعرابي ، شاعر من النساك المتصوفين .
الأعلام ج ٨ ، ص ٦٨ .

(٣) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٤٤٠ .

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية ، تحقيق د. سيّد غازي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩م
ج ٢ ، ص ٢٥٨ . وورد فيه الضمير (أنا) بدل (إمّا) في البيت السابع .

المبحث الرابع

وصف الطبيعة في الأندلس

ساعدت الطبيعة الفاتنة في بلاد الأندلس على نضوج الشعر وحلاوته ، وكان لمجالس الأنس والبهجة الأثر الكبير في تنوع أغراض الشعر، وبخاصة الوصف فوصف الشعراء الطبيعة الفتنة ، كما وصفوا الحقائق والقصور والأبنية ، ووصفوا مجالس الشرب والسمر والغناء والرقص ، ووصفوا الشموع والكنائس والأديرة والأساطيل البحرية ، حتى البقّ والبرغوث والذباب والعقرب ، كان لها حظّ في الوصف (١) .

وأغلب الظنّ بل أرجحه أنّ الشعر الأندلسي كان متأثراً إلى أبعد الحدود بمثيله في المشرق ، فكانت الرحلة دائمة بين الشرق والغرب من علمية وأدبية واقتصادية ، فقد كان الحنين إلى المشرق يمثّل جانباً كبيراً من أمانى شعراء الأندلس وأحلامهم ، منذ أن استوطن العرب تلك البلاد ، فهذا عبد الرحمن الداخل لا تكاد العزّة والرفاهية اللتان يحياهما في الأندلس تثنيانه عن الحنين إلى المشرق ، فيحسّ في مجلسه ، ويلمح من بعيد نخلة سامقة ، فلا تلبث أن تهيج أشجانه وتذكره بماضي آبائه وأجداده فيقول :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرّب والنوى

وطول التتائي عن بنيّ وعن أهلي

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٤٧ .

نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فممالك في الأقصاء والمنتأى مثلي^(١)

ولا يكاد تطاول الأزمان وتمكّن الاستقرار يطفئ جذوة هذا الحنين حتى بين أولئك الذين ولدوا وولد آبائهم من قبل في تلك الديار ، بل إنها تبدو مستعرة قويّة حتى في القرن الخامس الهجري ، فالأندلسيون يحنّون إلى المشرق ، حنين حبّ وحنين رحلة ، وحنين علم وأدب ، وكان شعراؤهم يقتفون أثر الشعراء المشارقة ولذلك كانت فنون الشعر تتضج في الأندلس ، بعد أن تكون قد بلغت أوجها في المشرق ، وفي القرن الرابع الذي بلغ فيه وصف الطبيعة ذروته في حلب ، كانت هذه الأغراض لا تزال تحبو في محاولات فردية على ألسنة شعراء الأندلس وقرائهم أحمد بن عبد ربّه المتوفّى في العشر الثالث الأولى من القرن الرابع ، يصف الطبيعة في روضة فيقول :

وما روضة بالحنن حاك لها الندى

بروداً من الموشى حمر الشقائق

يقيم الدجى أعناقها ويميلها

شعاع الضحى المستنّ في كل شارق

إذا ضاحكتها الشمس تبكي بأعين

مكللة الأجفان صفراً الحمالق

حكت أرضها لون السماء وزانها

نجوم كأمثال النجوم الخوافق

يا طيب نشرّاً من خلائقك التي

لها خضعت في الحسن زهر الخلائق^(٢)

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

ونجد أنّ الشاعر أبا الحزم بن جهور ^(١) حاكم قرطبة المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري ، تعدّ محاولته في الزهريات من أوائل المحاولات في الأندلس فيقول في الورد وتفضيله على سائر الأزهار :

الورد أحسن ما رأت عين وأز
كى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه
فتدللت تتقاد وهي شوارد
وإذا تبدى الغصن في أغصانه
يزهو فذا ميت وهذا حاسد
وإذا أتى وفد الربيع مبشّراً
بطلوع وفدته فنعم الوافد
وإذا تعرّى الورد من أوراقه
بقيت عوارفه فهنّ خوالد ^(٢)

مجل القول إنّ شعر الطبيعة قد نما في الأندلس وتعددت أغراضه في القرن الخامس الهجري ، أمّا شعراء القرن الرابع كانت محاولاتهم موفّقة في وصف الطبيعة مجمّلة في شكل رياض وبساتين ، ومفرقة في شكل ورود وأزاهير وأشجار وأثمار وأطيار وأنهار وبرك ^(٣) .

^(١) هو : محمد بن جهور ، أبي الحزم بن محمد بن جهور بن عبيد الله الكلبي ، صاحب قرطبة له كتاب " البطشة الكبرى " ، توفي سنة ٤٦٢ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٠١ .

^(٢) جذوة المقتبس ، ص ١٨٩ . جاء في البيت الثالث (الورد) بدلاً عن (الغصن) . و(صفحته) بدلاً عن (وفدته) في البيت الرابع .

^(٣) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٥١ .

ونجد أيضاً أنّ وصف الطبيعة يقترن في أكثر أحواله بفن آخر من فنون شعر
المتعة الحسية في نطاق الغزل أو الخمر أو الغلمان ، فالوزير أبو عامر بن مسلمة
يسير على نفس الدرب محاولاً أن يحجب ما عمد إليه من غزل وراء أبيات الطبيعة
في قوله :

وخميلة رقم الزمان أديمها
بمفضض ومقسم ومشوب
رشف قبيل الصبح ريق غمامة
رشف المحبّ مرشف المحبوب
وطردت في أكنافها ملك الصبا
وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها اللهو حق مداره
مع كل وضاح الجبين حسيب ^(١)

وإذا تمثّلنا لشاعر يصف نهراً فسوف نجد محمد بن الحسين يقدم لنا صورة
سريعة محبوكة للنهر في حالات رتابته وسرعته واستقامته واعوجاجه ، وذلك في
قوله :

والنهر مكسوّ غلالة فضّة
فإذا جرى سيل فتوب نضار
وإذا استقام رأيت رونق منصل
وإذا استدار رأيت عطف سوار ^(٢)

وإذا ما وصف الأديب الأندلسي الهلال ، وجدناه يجري في مضمار المشاركة
فهذا أبو المغيرة عبد الوهّاب بن حزم الوزير يقول :

^(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٥٣ .

^(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

لمّا رأيت الهلال منطوياً

في غرة الفجر فارق الزهرة

شبهته والعيان يشهد لي

بصولجان انتنى لضرب كرة (١)

وهناك محاولات أخرى كثيرة في وصف روائع الطبيعة ، ولكنها لم تصل إلى أوجها ، ولم تتسم مكان الذروة إلا في القرن الخامس الهجري وما تلاه من قرون. ففي القرن الخامس أخذت الشخصية الثقافية والأدبية للأندلس تفرض وجودها ، وفي هذه الفترة الزمنية من حياة الأندلس حيث الترف الفكري والأدبي والمادي أخذ بتلابيب الناس ، كان الشعر في شبه فورة دافقة وجذوة متلألئة في ميادين عديدة ألمعها أنذاك كانت ميادين الطبيعة والخمر والغزل بالغلمان ، ولقد بدأ شعر الطبيعة يخرج عن مألوف الشعر العربي من حيث الابتعاد عن القصيدة ، إلا في حالات قليلة ويعتمد الشاعر إلى قول المقطوعة التي تستوعب طاقة خياله وتصور عطاء شاعريته غير عابئ بعدد الأبيات أو النظام التقليدي للقصيدة ، ولم يكد الشاعر يترك لمحة من لمحات الطبيعة ، أو زاوية من زواياها أو موضوعاً من موضوعاتها إلا طرقها برشاقة وبراعة وذكاء وافتنان ، بحيث تجمعت ثروة ثمينة من شعر الطبيعة الأندلسي وإذا كان الشعر دائماً صدىً للبيئة الاجتماعية كانت أو طبيعية ، فإن الشعر الأندلسي في هذا النطاق يعد صورة أمينة دقيقة أنيقة لبيئة الأندلس (٢) .

وشاعر الطبيعة ليس ككل شاعر ، إنه رسّام في نطاق شاعريته ، وليس كل شاعر رسّاماً ، إنّ المقطوعات الجميلة التي خلفها الشعراء الأندلسيون ليست في حقيقتها إلا لوحات بارعة الرسم ، أنيقة الألوان ، محكمة الظلال ، زاهية الأصباغ تثير الانتباه ، وتستقطب الإعجاب ، وبرغم إنّ شعراء الطبيعة الأندلسيين بدأوا تلامذة

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

لأساتذتهم المشاركة في أول أمرهم ، فإنّ ذلك لم يمنعهم من أن يجودّوا في فنّهم ويحسنوا في أعمالهم (١) .

والأندلسيون لتعلقهم بشعر الطبيعة والافتتان به إلى حدّ الشطط والهوس جعلوا يطعمون المراثي بشعر الطبيعة فبدلاً من أن تسمع أنات محزون مكلوم ، تسمع أبياتاً في وصف الرياض والورود والأزاهير ، فشاعر الطبيعة حين يعمد إلى وصفها يمسك بريشة فنان استحضر معه كل ما يحتاج إليه من ألوان بهيجة بحيث يستطيع أن يجعل من أبياته لوحة نضرة تجذب الأنظار ، وتخطف الأبصار ، وفي الروضيات تحديداً أكثر احتياجاً إلى التنويع والتلوين ، ففي الطبيعة اخضرار واحمرار واصفرار وفيها أوار خضر نضيرة ، وأغصان غضة مياسة ، وفيها نور وأزاهير وشذا وعبير وفيها حفيف الغصون وتغريد الطيور ، وفيها مياه صافية فضية بالضحى عسجدية عند الأصل ، لقد تمثّل شاعر الطبيعة الأندلسي كل هذه المعاني ، وكانت أدواته في رسمها ، التشبيه العذب والاستعارة الجميلة ، والصنعة الخفيفة حيناً المزدوجة حيناً آخر ، واللفظ الموقّع والجرس الرقيق ، والموسيقى المنسابة في رفق غير جلبة (٢) .

قال الشاعر الوزير عبد الله بن سمّاك في هذا النطاق :

الروض مخضر الربى متجمل

للناظرين بأجمل الألوان

وكأنما بسطت هناك شوارها

خود زهت بقلائد العقيان

وكأنما فتقت هناك نوافج

من مسكة عجنت بصرف البان

والطير تسجع في الغصون كأنما

نقر القيان حنت على العيدان

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

والماء مطرز يسيل لعبه

كسلاسل من فضة وجمان

بهجات حسن أكملت فكأنها

حسن اليقين وبهجة الإيمان^(١)

وأما الوزير أبو جعفر أحمد بن طلحة فإنّ جمال الروض دفع به لأن يجعل من
سحر الطبيعة دافعاً إلى المنادمة ، وحثّ الكؤوس ، إذ يقول :

أدراها فالسماء بدت عروساً

مضمخة الملابس بالغوالي

وخذّ الروض حمرة أصيل

وجفن النهر كحلّ بالظلال

وجيد الغصن يشرق من لآل

تضيء بهن أكناف الليالي^(٢)

ومن شعراء الأندلس الذين سحرتهم الطبيعة على كثرة ما سحرت ، أبو الحسن
علي بن الزقاق البلنسي ، الشاعر الرقيق ، وهو يعد ثاني اثنين من شعراء الأندلس
الكثيرين الذين نبه شأنهم في ميدان الطبيعة ، فالشاعر الأوّل هو ابن خفاجة دون
منازع ، وابن الزقاق هو ابن أخت ابن خفاجة ، وربما كانت نفحة الشعر فاضت عليه
عن طريق خاله ، فكثيراً ما يرث الولد صفات أخواله ، وابن الزقاق يهتزّ طرباً
للروابي المطلولة بعد المطر ، فليس هناك أجمل من منظر روضة بعد انتهاء انسكاب
المطر ، غير أنّ روضة ابن الزقاق توحى إليه بنبرات العشق وتباريح الغرام فيقول :

تأرّج مطلول الروابي فزرتها

وأمثال هاتيك الربى يقتضي الزورا

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

وأتحفني منها الربيع بورده
عبيراً به الأنفاس إذ فتق النورا
حكت نفحة ممّن هويت ووجنة
فأنشقا طوراً وألثمها طورا^(١)
وإذا كان الشعراء المشاركة وبعض الأندلسيين قد عمدوا إلى وصف شجرة
بعينها ، فابن خفاجة الأندلسي يأتي في مقدّمة من يبدع في هذا الغرض ، حين وصف
شجرة أناخ بها ذات يوم فقال :
سقياً ليوم قد أنخت بسرحة
رياً تلاعبها الشمال فتلعب
شكري يغنيها الحمام فتتنثني
طرباً ويسقيها الغمام فتشرب
نلهو فترفع للشبيبة راية
فيه ويطله للبهارة كوكب
والروض وجه أزهر والظل فر
عُ أسود والماء ثغر أشنب
في حيث اطرب الحمام عشية
فشدا يغنيها الحمام المطرب
واهتزّ عطف الغصن من طرب بنا
وافترّ عن ثغر الهلال المغرب
فكأنّه والحسن مقتـرن به
طوق على برد الغمامة مذهب^(٢)

(١) الأديب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٦٥ .

(٢) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق د. السيّد مصطفى غازي (د - ت) ، (د - ط) ، ص ٢٨٨ . وفيه
قد ورد عجز البيت الثالث : " ويسرج للتصابي مركب " .

في هذه الأبيات نلاحظ إنّ ابن خفاجة قد حاول تقليد المشاركة في تشطير البيت الرابع ، لكنّه لم يوفّق ، وإن كان التوفيق صاحبه في تشبيه الهلال بطوق على برد الغمامة في بيته الأخير .

وأيضاً يرى ابن خفاجة شجرة منوّرة كساها نورها فتنة وبهجة ، فلا يملك كبح جماح شاعريته ، فيصفها وصفاً جميلاً ، ولا ينسى الندى والمياه التي يحاول دائماً أن يزرّج بها في أبياته ، فهي في نظره حياة الروض والأزهار ، يقول :

يا ربّ مائسة المعاطف تزدهي

من كل غصن خافق بوشاح

مهتزة يرتجّ من أعطافها

ما شئت من كفل يموج رداح

نفضت ذوائبها الرياح عشية

فتملّكته هزّة المرتاح

حطّ الربيع قناعها عن مفرق

شمط كما ترتدّ كأس الراح

لفاء حاك لها الغمام ملاءة

لبست بها حسناً قميص صباح

نضح الندى نوارها فكأنّما

مسحت معاطفها يمين سماح

ولو الخليج هناك صفحة معرض

لثمت سـوالفها ثغور أقاح ^(١)

وإذا كانت الرياض تشكّل مكاناً أميناً رحيباً للأطيّار تفرح على أغصانها وتغرّد على روابيها ، وتصدح بوحى من سحر أنسامها ورقّة نوارها ، فإنّ الشاعر الأندلسي لم يفته أن يلتفت إلى طيور الرياض ، واصفاً إيّاها بكل مبدع مطرب

(١) ديوان ابن خفاجة ، ص ٢٨٢ .

خاصّة إن ألوان طيور الرياض بنقائها ونمنمتها وزركشتها ، توحى إلى الشاعر الفنان بالمعنى الجيّد والوصف البديع ، فذا الوزارتين أبا الحسن بن الحاج ، تقع عيناه على زرزور فيقول فيه :

يا ربّ أعجم صامت لقنّته

طرف الحديث فصار أفصح ناطق

جون الإهاب أعير فوه صفرة

كالليل طرّزه وميض البارق

حكم من التدبير أعجزت الورى

ورأى بها المخلوق لطف الخالق ^(١)

فالشاعر أبو الحسن لا يقف به الإبداع عند لطف الوصف ، ورشاقة اللفظ وحسن الجرس ، وأناقة التعبير ، بل يتّخذ من هذه الصورة المعجزة سلماً إلى الإيمان وطريقاً إلى معرفة الخالق ، والطريف في الأمر أن يصدر مثل هذا القول من شاعر عرف بالمجانة والعكوف على الخمر ، ووقف شعره على الغزل في الغلمان ^(٢) .
وابن خفاجة يمتع السمع ، ويبهج البصر بصورة لحمامة الأيك ، فيغني وهو نشوان ، حين داعب الكرى أجفان النجوم ، وقد صنع الشاعر لتلك الحمامة موكباً بهيجاً من المعاني الرقيقة ، ومحفلاً بديعاً من الألفاظ البديعة المعبرة الموسقة فقال :

ونشوات غنّته حمامة أيقة

على حين طرف النجم قد همّ أن يكرى

فهبّ وريح الفجر عاطرة الجنى

لطيفة مسّ البرد طيّبة المسرى

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

وطاف بها والليل قد رثَّ برده
 وللصبح في أخرى الدجى منكب يعرى
 وأصغى إلى لحن فصيح يهزّه
 كما هزّ نشر الريح ريحانة سكرى
 تهشّ إليه النفس حتى كأنّه
 على كبد نعمى وفي أذن بشرى ^(١)
 والأندلسيون وصفوا أيضاً الأزهار والورود والنجس والشقائق ، واللينوفر
 والياسمين ، والقرنفل ، واللوز ، وغيرها ممّا وقعت عليه عيونهم ، إلاّ أنّهم حينما
 يتحدّثون عن الأزهار ، يبتكرون أوصافاً موضوعية جديدة ، فهذا ابن حمديس يرثي
 باقة من الزهر أصابها الذبول ، ويتحرّق حزناً وأسى عليها ، فيقول :
 يا باقة في يميني بالردى بزلت
 أذاب قلب عليك الحزن والأسف
 ألم تكوني لتاج الحسن جوهرة
 لمّا غرقت فهلا صانك الصدف ^(٢)
 فالباقة قد غرقت في بركة ، وهو يشبّها بالجوهرة ولمّا كانت الجوهرة تؤخذ
 من أصداف البحار ، فقد استقلّ الشاعر تلك الفكرة الطريفة فوشّى بها بيتيه ، وقد
 يكون شبّه أوراق الزهور بالأصداف ، وهو أقرب إلى التصوّر .
 وخطّ النور بالورد صورة طريفة تكثّر في المجالس والمنتديات ومجامع
 الشراب ، ولذلك فقد فتن بها ابن خفاجة وكررها في شعره كثيراً ، يقول في أبيات
 حفلت بالركة والجمال :

(١) ديوان ابن خفاجة ، ص ٨٢ .

(٢) ديوان ابن حمديس ، تصحيح د. إحسان عباس ، دار صادر (د - ت) ، (د - ط) ، بيروت
 ص ٣١٥ .

وندي أنس هزّني

هزّ الشراب من الشباب

فقنصت منه حمامة

بيضاء تسنح من غراب

والنور مبتسم وخذّ الـ

ورد محطوط النّقاب

يندي بأخلاق الصّاحا

ب هناك لا بندى السحاب

وكلاهما نثر كما

نثر القوافي في الخطاب

فكأنّ كأس سلافة

ضحكت إليهم عن حباب ^(١)

وهذا وزير بار بأبيه هو أبو الوليد إسماعيل بن حبيب ، الملقّب بحبيب
يصف ورداً بعث به إلى أبيه ، جامعاً بين المديح ووصف الورد ، فكتب هذه الأبيات
المفرطة في الرقة :

يا من تأزّر بالمكارم وارتدى

بالمجد والفضل الرفيع الفائق

انظر إلى خدّ الربيع مركباً

في وجه هذا المهرجان الرائق

ورد تقدّم إذ تأخر وارتدى

في الحسن والإحسان أوّل سابق

(١) ديوان ابن خفاجة ، ص ٨٠ ، وجاء فيه كلمة " تنسخ " بدلاً عن تسنح " .

وإفالك مشتملاً بثوب حيائه

خجلاً لأنّ حياك آخر لاحق ^(١)

فهي أبيات رقيقة رقّة الورد ، عمد فيها الوزير حبيب إلى ألوان خفيفة من الزينة اللفظية ، من جناس وطباق ، فانساب شعره رائقاً سلساً بغير اصطناع . وإذا كان الأندلسيون لم يكثرُوا القول في النرجس فإنّهم قد أكثرُوا القول في الياسمين ، وكان أكثر من افتتن بزهرة الياسمين ، الخلفاء والأمراء ، فالمعتضد بالله عبّاد بن محمد بن عباد ^(٢) ، يصفها ويشبّـهها بكواكب مبيضة في السماء ، ويشبّـه الشعيرات الحمراء التي تنسرح في صفحتها بخدّ حسناء بدت فيه آثار العضّ فيقول :
كأنما ياسميننا الغضّ

كواكب في السماء تبيضّ

والطرق الحمر في جوانبه

كخدّ حساء مسّه عضّ ^(٣)

وأما المعتمد ، أبو القاسم ابن عبّاد فيشبّـهها على أغصانها الخضراء الملتفة بدراهم منثورة على ثوب أخضر ، فيقول :
وياسمين حسن المنظر

يفوق في المرأى وفي المخبر

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) هو : عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن عبّاد ، صاحب إشبيلية ، ينعت بأسد الملوك ، دانت له معظم ملوك جزيرة الأندلس ، توفي بإشبيلية ، سنة ٤٦١هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٣) جذوة المقتبس ، ص ٢٩٦ . وقد جاءت فيه " كخدّ عذراء ناله عضّ " بدلاً عن " كخدّ حسناء مسّه عضّ " .

وكأنه من فوق أغصانه

دراهم في مطرف أخضر (١)

وأما زهرة الشقيق ، فقد احتفل بها الأندلسيون احتفال المشاركة بها ، فابن حمديس بيدى إعجابه بها ، ويشبهها في استوائها واتساقها ، بشعور القيان الممشطة وقد قمن يرقصن في الغلائل الحمراء ، فيقول :

نظرت إلى حسن الرياض وغيماها

جرى دمه منهن في أعين الزهر

فلم تر عيني بينها كشقائق

تبلبلها الأرواح في القضب الخضر

كما مشطت غيد القيان شعورها

وقامت لرقص في غلائلها الحمر (٢)

ولعل في هذا التشبيه كثير من الجدة والحركة والابتكار ، وأما ابن خفاجة فإنه في وصفه للشقائق يضيف عليها مسحة حربية ، فيجعل من أزهاره جيوشاً تحتل القمم والمراقب ، فيقول :

يا حبذا والبرق يزحف بكرة

جيشاً رحيق دونه وحريق

حتى إذا ولّى وأسلم عنوة

ما شئت من سهل وزروة نيق

أخذ الربيع عليه كل ثنية

فبكل مرقبة لواء شقيق (٣)

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٢٨٣ .

(٢) ديوان ابن حمديس ، ص ١٩٢ .

(٣) ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٥٥ . وفيه وردت كلمة " البرد " بدلاً عن " البرق " في البيت

الأول .

ولزهرة اللينوفر الجميلة المترفعة ، مكانة عند الشعراء فقد افتتن بها
الأندلسيون ، وهذا المعتمد بن عبّاد يصفها في حذق ، فيقول :
يا ناظرين ندى اللينوفر البهج
وطيب مخبره في الفوح والأرج
كأنّه جام درّ في تألقه
قد أحكموا وسطه فصّاً من السبج ^(١)
ومن الأزهار أيضاً التي وصفها الأندلسيون " النور " نور اللوز ، وقد أبدع أبو
بكر بن بقيّ حينما وصف شجرة لوز منوّرة ، فقال :
سطر من اللوز في البستان قابلي
ما زاد شيء على شيء ولا نقصا
كأنما كل غصن كمّ جارية
إذا النسيم ثنى أعطافه رقصا ^(٢)
فالصورة الشعرية متّسقة قولاً ومنسجمة شكلاً ، مع إنّ ابن بقي كان آخذاً في
حياته من أسباب المجون ومسلك الخلاعة شيئاً كثيراً .
وزهرة القرنفل أيضاً كان لها حظّ في سماء الزهريات الأندلسيّة ، وعبد الله
محمد بن يوسف بن زمرك ، وصفها جاعلاً منها سلماً سلساً إلى غزل رقيق
فيقول :

رعى الله زهراً ينتمي لقرنفل
حكى عرف من أهوى وإشراق خده

^(١) جذوة المقتبس ، ص ٨١ . وورد البيت الأوّل في الجذوة بـ :

يا حسن منظر ذا اللينوفر الأرج

وحسن مخبره في الفوح الأرج

^(٢) موشحات ابن بقي الطليطلي ، تأليف عدنان محمد آل طعمة ، جمهورية العراق ، وزارة
الثقافة والفنون ، (د - ت) ، (د - ط) ، ص ٣٧ .

ومنبتّه في شاهق متمنّع
كما امتنع المحبوب في تيه صدّه
أميل إذا الأغصان مالت بروضة
أعانق منها القضب شوقاً لقدّه
وأهفو لخفاق النسيم إذا سرى

وأهوى أريج الطيب من عرف نده (١)

فشعراء الطبيعة في الأندلس استطاعوا بغير شك أن يقدّموا من خلال وصفهم
للأزهار صورة نضيرة ولوحات جذابة في أكثرها أصالة وبراعة .

لم يكن طبيعياً أن يفتتن الشاعر الأندلسي بالطبيعة ممثلة في الروض والزهر
ولا يفتتن بالثمرة الحلوة البضة تملأ العين سحراً والنفس بهجة ، إنّ التفاحة بنعومتها
وأرجها ، وال نارنجة على غصنها ، والسفرجلة بطفولتها وإغرائها ، والرمانة بحسنها
وتمنّعها ، كلّ ذلك كان مصدر وحي لشعراء الأندلس ، وتنشط قريحة الشاعر لتمتدّ
إلى وصف الخضر التي تطهى ، مثل البازنجان والخرشوفة ، ولعلّ أكثر الثمرات
سحراً لناظري الشاعر هي ثمرة النارج ، وبخاصّة وهي عالقة في أغصانها ، فقد
كانت النارنجة ، وأختها الأترجة ، من أكثر الثمار جرياً على ألسنة الشعراء ، كلاً
يحاول أن يرسم منها ، وهي محمولة على غصنها لوحة تسرّ العين وتبهج
الخاطر (٢).

وابن خفاجة يؤكّد هذا المعنى ، ويجعل لثمرة النارج نسباً عريقاً في الرياض
بما تخلعه عليها من بهجة ، وبما تشيعه في أرجائها من صور الجمال ، فيقول :

ومحمولة فوق المناكب عزّة

لها نسب في روضة الحزن معرّق

(١) الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

رأيت بمرآها المنى كيف تلتقي
وشمل رياح الطيب وهي تفرق
يضاحكها ثغر من الشمس واضح
ويلحظها طرف من الماء أزرق
وتجلى بها للماء والنار صورة

تروق فطرفي حيث يغرق يحرق ^(١)

وأما التفاح ، فقد أجاد الوزير أبو الحسن ابن الحاج حينما بعث بهدية منه إلى
بعض القوم ، وكان جنوحه إلى الصنعة اللفظية أكثر مما عمد إلى الإطراف في
المعنى ، في مجال يمكن أن تروق فيه المعاني وتحلو ، إذ قال :
بعثت بها ولا آلوك حمداً

هدية ذي اصطناع واعتلاق

خُدود أحبة وافين صباً

وعدن على ارتماض واحتراق

فحمر بعضها خجل التلاقي

وصفر بعضها وجل الفراق ^(٢)

والرمان أيضاً في جمال منظره وحلو مخبره من الثمار التي أوحى إلى
الشعراء معاني طريفة عذبة ، وربما كانت وهي على غصنها نورة جلنارة ، تشكّل
منعطفاً آخر في خيال الشعراء ، لا يقلّ عطاءً عن وحيها وهي ثمرة ، وهي في نفس
الوقت كثمرة ليست أقلّ إجلالاً ولا أدنى فتنة من ثمرة النارج ، وأختها الأترج اللتين
فتنتا الشعراء ، وفتنتا روائع أبنكار المعاني من خلال وحيهما .

وكان للعنب نصيب عند شعراء الطبيعة بالأندلس ، لكن نصيبه عنقوداً أقلّ منه
بكثير وهو معصور ، وبعبارة أخرى لقد ادّخر الشعراء وصفهم للعنب فاكهة ، لكي

(١) ديوان ابن خفاجة ، ص ٧٠ . وفي البيت الثاني " كيف " بدلاً عن " هي " .

(٢) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٠١ .

يصفونه إلى ما سيؤول إليه وهو الخمر ، ولقد رسم الشاعر أحمد بن الشقاق في بيتين لعنب أسود لوحة جميلة ، وذلك عندما وقع عليه نظره وهو مغطى بورق أخضر فقال :

عنب تطلع من حشى ورق لنا

صبغت غلائل جلده بالإثم

فكانه من بينهنّ كواكب

كسفت فلاحت في سماء زبرجد (١)

ومن مظاهر بذخ الطبيعة في الأندلس تلك الأنهار الكثيرة الوفيرة الماء السلسلة التدفق تحيي موات الأرض مشرقاً ومغرباً وشمالاً وجنوباً فترفد الأرض بالخصب والعطاء وتمدّ الرياض بالسحر والنماء ، وكانت أكبر المدن وأهمّها مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة تقع على تلك الأنهار ، الأمر الذي جعل الأندلسيون يتخذون من ضفافها مراتع له واستمتاع ، ومن صفحاتها ساحات أمينة تنساح عليها زوارقهم وتمرح مع تياراتها أشراعتهم ، وهم في هذه وتلك يعزفون ويغنّون ويقولون الشعر عذباً رقيقاً أخذاً (٢) .

وبدافع الحضارة المتطورة أدخل الأندلسيون مياه الأنهار إلى قصورهم البازخة ترفد البرك الفخمة في باحاتها ، من خلال أفواه التماثيل بالماء النмир ، الذي ألهب خيال الشعراء ، فقالوا شعراً عذباً في القصور والبرك والتماثيل على حدّ سواء فالأنهار وما يتشعب عنها من برك وخلجان وغدران ، وما ينبت على شاطئها من حدائق ورياض ، وما يجري على صفحاتها من زوارق وأشرعة ، وما يمتح من مائها من دواليب وسواق ، وما يتصل بها من مظاهر الطبيعة من مدّ وجزر وليل ونهار وفجر وأصيل وشمس وقمر وصباح ومساء وغناء وطرب وشراب وغزل

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

كل ذلك قد تنبّه إليه الشعراء الأندلسيون وتأثّروا به فسجّلوا صوراً للطبيعة من خلاله
بديعة النسيج عذبة الجرس ساحرة اللون بارعة الإنشاء ^(١) .

فهذا ابن حمديس يصف بركة في قصر المتوكّل بن أعلى الناس وما حولها من
تماثيل الأسود ، وهي تقذف الماء من أفواهها ، وقد ركزت على مؤخرتها ، فيقول :
وضراغم سكنت عرين رياسة

تركت خريبر الماء فيه زئيرا

فكأنما غشي النضار جسومها

وأذاب في أفواهها البلورا

أسدٌ كأن سكوتها متحرّك

في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وتذكرت فتكاتها فكأنما

أقعت على أدبارها لنتورا

وتخالها والشمس تجلو لونها

ناراً وألسنها اللواحس نورا

فكأنما سلّت سيوف جداول

ذابت بلا نار فعدن خريرا

وكأنما نسج النسيم لمائه

درعاً فقدر سردها تقديرا

وبديعة الثمرات تعبر نحوها

عيناى بحر عجائب مسجورا

شجرية ذهبية نزعّت إلى

سحر يؤثّر في النهى تأثيرا

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣١٠ .

قد سرحت أغصانها فكأنما

قبض بهن من الفضاء طيوراً^(١)

وهكذا نجد أن الشاعر قد رزق التوفيق الشامل والبراعة التصويرية الفائقة في وصف البحيرة ، أو البركة وما بها من تماثيل ومناظر متباينة . وابن حمديس نفسه يصف النهر وصفاً ممتعاً في صورته ، رائعاً في فكرته وخاصة في تصوّره للنهر جروح كثيرة من سيره على الحصى ، وقد عبّر عن أوجاعه بخبريره ، وكأنما أراد نقل صورة متكاملة لفظاً ومعنى ، قال : ومطرّد الأموج يصقل متته

صباً أعلنت للعين ما في ضميره

جريح بأطراف الحصى كلما جرى

عليها شكاً أوجاعه بخبريره

كأنّ حباباً ريع تحت حبابه

فأقبل يلقي نفسه في غديره

شربن على حافاته دور سكرة

وأقبل سكرّاً لحظ مديره^(٢)

فالنهر تفنن الشعراء في وصفه غدوة وأصيلاً ، تحفّ به الحقائق على الشطآن وتزيّنه الرياض على ضفتيه ، والزوارق تمرح على ضفتيه بأشرعتها المنشورة كأنّها حمامات السلام البيضاء ، والشعراء لم يغفلوا شأن هذه الزوارق ، بل منحوها الكثير من عنايتهم ، وخلعوا عليها الكثير من الصور الجميلة ؛ لأنّها أدوات استمتاعهم بالنهر عشيةً وبكورا ، وكانت مرتعاً لعبثهم ، ومرتبعا للهوهم ولعبهم^(٣) .

(١) ديوان ابن حمديس ، ص ٥٤٧ - ٥٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ . وفيه " ومطرّد الأجزاء " بدلاً عن " مطرّد الأمواج " .

(٣) الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص ٣١٧ .

والشاعر أبو الحجاج المنصفي يشبه الزورق بصقر انحط مذعوراً على صفحة
للنهر ، فراراً من عقاب يطارده ، ثم عاد وشبهه بمقلة للجو أهدابها وأجفانها
المجاديف ، إذ يقول :

وسابح بان لا تثنى قوائمه

كالصقر ينحطّ مذعوراً لعقبان

كأنه مقلة للجوّ شاخصة

ومن مجاديفه أهداب وأجفان (١)

فالمجتمع الأندلسي مجتمع مرح يميل إلى الاستمتاع بأوقات فراغه بشتّى
الوسائل التي ترفّه عنه ، فحتّى ظاهرة المدّ والجزر في الأنهار أسهبوا في الحديث
عنها وأجادوا التجويد كلّهُ ؛ لأنّ أخيلتهم خصيبة وقرائهم سخية معطاءة ، ومعانيهم
ذاخرة وافرة ، وأساليبهم متقنة الصنع في رويّة وأناة ، ولقد عمدوا إلى الإطراف
والجدّة ، أيضاً الثلج نال حظّه من الشعراء الأندلسيين ، وأوّ من أنشأ شعراً في الثلج
هو ابن خفاجة ، الذي برع فيه براعة تدلّ على تمكن ابن خفاجة وقدرته على
استنطاق كل عناصر الطبيعة (٢) .

ومن الشعراء الذين أحسنوا القول في وصف الثلج أيضاً ، أبو بكر محمد بن
سيرين السبتي وقد كان يعيش في غرناطة ، ويحبها ، فلما نزل بها الثلج ضاق بها
بعض أصدقائه ، فقال أبياتاً رقيقة موشاة :

رعى الله من غرناطة متبوّاً

يسرّ حزيناً أو يجير طريداً

تبرّم منها صاحبي عندما رأى

مسارحها بالثلج عدن جليداً

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

هي الثغر صان الله من أهلت به

وما خير ثغر لا يكون برودا^(١)

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الأندلس بلاد الطبيعة الجميلة السخيّة التريّة الساحرة المعطاءة ، والأندلسيون قوم يغلب عليهم الأدب ، ويأسرهم الشعر ، فتقنوا في قوله وإنشائه ، وأحسنوا في الاستماع إليه وإنشاده ، وكان للطبيعة نصيب كبير من العناية في وصفها حدائق وبساتين ورياضاً وأزاهير ووروداً ونوّاراً ، وحمائم وأطيّاراً وجداولاً وأنهاراً ، وخلقناً وغدراناً ، وبركاً وسواقياً ، وخضراً وأثماراً ، وزوارق وتلوجاً ، وكل ما يخطر على النفس من جميل^(٢) .

وإذا كان لنا أن نعيّن سمة بعينها لشعر الطبيعة الأندلسي ، فهو متميّز بأشكاله مستقلّ بهويّته إلى حدّ بعيد ، هو لوحات رسمتها الحروف ، وزخارف دبّجتها أخيلة الشعراء في نطاق العبارة البسيطة السهلة ، واللفظة الأنيقة المنتقاة ، والجملة الموسيقيّة الأخاذة ، وهذا أمر بديهي فشعر الطبيعة رسم وزينة ، وزينة الرسم ألوانه وظلاله ، وزينة القول تشبيهاته واستعاراته ومحسناته ، وإجراء الحركة فيه مع انتقاء اللفظة ذات الجرس في نطاق الجملة ذات الرنين^(٣) .

هذا ومن القضايا المسلّم بها إنّ شعر الطبيعة يتداخل في أكثر المناسبات مع أبيات حبّ وغزل أو مقام شراب ومنادمة ، ويتساوى في ذلك شعر الطبيعة المشرقي والأندلسي ، ولكن شعر الطبيعة الأندلسي قد أحسّ بقوّته وانتشاره وسطوته ، فسدّ أنفه في فنون أخرى من فنون الشعر التي قد يبدو الارتباط بينها وبينه أمراً لا بأس فيه ولا غضاضة مثل مزج المديح بالطبيعة والشكوى والتحرّس ، ثمّ لا يكتفي بذلك بل ينطلق مقتحماً ميدان الرثاء^(٤) .

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

ومزج الطبيعة بالغزل أمر مقبول ، بل هو تزواج طريف بين فنّين أليفين رقيقين ، ولون التزواج بين الطبيعة والغزل أشهرها بل أرقّها قصيدة أبي الوليد ابن زيدون القافية التي بعث بها إلى ولادة بنت المستكفي ^(١) عند اختبائه بالزهراء بعد خروجه من السجن وقبل تركه مدينته الحبيبة قرطبة وضاحتها الساحرة الزهراء والقصيدة شأنها شأن كثير من القصائد الأندلسية الأصيلة من نسج الرقّة المتناهية ووشي الزينة البهيجة والتأنق في المعاني العذبة والتحرّز في اختيار اللفظ الموقّع في نطاق الديباجة الناعمة المنسابة كأنغام القيثارة ، كل ذلك الوصف البديع هو تشوّق الشاعر ابن زيدون إلى معشوقته ولادة بنت الخليفة المستكفي ، يقول :

إنّي ذكرتكَ بالزهراء مشتاقاً
والأفق طلقٌ ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله
كأنّه رقّ لي فاعتلّ اشفاقا
والروض عن ماءه الفضي مبتسم
كما شققت عن اللّبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت
بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو مما يستميل العين من زهر
جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأنّ أعينه إذ عاينت أرقّي
بكت لما بي فجال الدمع رراقا

^(١) هي : ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي ، شاعرة أندلسية ، من بيت الخلافة ، كانت تخالط الشعراء وتساجلهم ، اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس ، توفيت سنة ٤٨٤ هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٣٥ .

وردٌ تألّف في ضاحي منابته

فازداد منه الضحى في العين إشراقا

سرى ينافحه نيلوفر عبق

وسنان نبّه منه الصبح أحداقا

كلّ يهيج لنا ذكرى تشوقنا

إليك لم يعد عنها الصدر إن ضاقا ^(١)

ويكثر أيضاً ارتباط وصف الطبيعة بالمدائح عند كثير من الشعراء الأندلسيين ابتداءً من ابن شهيد مروراً بابن زيدون ، وابن خفاجة وابن الزقاق وابن زمرك وليس شعر الطبيعة في هذا المجال شعراً تقليدياً لمجرّد الدخول لصيغة المديح أو التهنية ، وإنما هو شعر أنيق جدّ الشاعر في تزيينه وسهر في تجويده وإتقانه ، قال ابن زمرك :

كأنما الزهر في حافاتها سحراً

دراهم والنسيم اللدن يجبيها

وانظر إلى الدوح والأنهار تكنفها

مثل الندامى سواقبها سواقبها

كم حولها من بدور تجتني زهراً

فتحسب الزهر قد قبلن أيديها

حسبواؤها لؤلؤ قد شفّ جوهرها

والنهر قد سال ذوباً من لآليها ^(٢)

واقترحت أيضاً الطبيعة في الأندلس ميدان القول في الشكوى والتحسّر فالطبيعة بسمّة ومنتعة وأمل وإشراق ، والشكوى حسرة ويأس وكآبة وحزن ، ولكن الشاعر الأندلسي الموهوب قد استطاع أن يجمع بين الضدين وأن يؤلّف بين النقيضين

^(١) ديوان ابن زيدون ، تأليف كرم البستاني ، ط ١ ، (د - ت) ، ص ٤٦ - ٤٧ .

^(٢) الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص ٣٤٨ .

فالملك الشاعر الأسير المعتمد بن عبّاد سيّد الشعراء الملوك كان دائم التفكير وهو
أسير في ملكه وأولاده لقد كان حليف شكوى وجليس حسرة مستوحشاً في إباء
فيقول :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة
يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهنّ حسيّرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية
كأنّها لم تطأ مسكاً وكافورا^(١)

واقترحت أيضاً الطبيعة في الأندلس ميدان الرثاء ، الذي لا شكّ فيه إنّ الطبيعة
الفيّانة تمثّل مولد الحياة وبهجتها وغناءها وبسمتها ، والرثاء يمثّل نهاية الحياة
وآلامها وبكاءها والحسرة عليها ، ومن ثمّ كان الجمع بين الطبيعة والرثاء جمع بين
نقيضين ، والجمع بين النقيضين مؤدّ إلى بوار ، غير مأمون العاقبة ، فالماء تطفّي
النار ، والخلّ يفسد العسل ، والغناء يزيل الحزن ، وهكذا ، فابن الزقاق البنّسي
المرثية عنده هي الأصل ، وسمات التفجّع ورنّات الأحزان تعلن عن نفسها من أوّل
بيت يستهلّ الشاعر به مرثيته ، فإذا أراد أن يدخل الطبيعة إلى ساحته جوّدها من
طلق بهائها وعراها عن سحر بسمتها ، ولوى عنقها لكي تشاركه الرزء وتشاطره
الفجيرة ، وتحسّ معه بالمصيبة بقوله :

ألا عظة إنّ الزّمان خوون
وإنّ ملّمات الزمان فنون

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٥١ .

لقد آن أن تجلي الخطوب عن العمى
وتلقى شكوك للمنى وظنون
فكم قد مضت من أمة إثر أمة
وقرن يليه بعد ذاك قرون ^(١)
ويمضي ابن الزقاق في ذكر مصائب الدهر ونكبات الأيام مرشحاً لإلقاء خبر
النعي على مسامع القارئ في عدة أبيات أخر ، حتى يصل إلى القول :
وبالأمس قد روّعت ملء جوانحي
بنعي يسدّ الأفق منه طنين
أتاني فلم يمهل لأفزع عنده
إلى كذب حتى استفاض يقين
ووافى كمثل الصبح عريان كلّما
تكذبه عين البصير يبين ^(٢)
ومهما يكن من أمر فإنّ شعر الطبيعة في الأندلس أجاد فيه الأندلسيون إلى
الحدّ الذي دفع بعضهم إلى أن يجعله بين موضوعات الشعر كالمح للطحام ، فمزجه
بموضوعات الغزل والخمر والمديح ، أمر عرف عند المشاركة ، ولكن الأندلسيين
كانوا فيه أكثر توفيقاً وأوفر إنتاجاً ، وزادوا على ذلك فمزجوا شعر الطبيعة بشعر
الشكوى والتحرّس والرتاء ^(٣)

(١) الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ٣٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٥ .

الفصل الثالث

من محتوى كتاب ” بهجة المجالس وأنس المجالس ”

ويشمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : الأمثال السائرة .
- المبحث الثاني : الحكم البالغة .
- المبحث الثالث : الحكايات الممتعة .
- المبحث الرابع : الأبيات النادرة .

البحث الأول

الأمثال السائرة

تمهيد

المثل لغة : كلمة تسوية ، يقال : هذا مثله ومثيله ، كما يقال شِبْهه وشَبَّهه والفرق بين المماثلة والمساواة ، إنّ المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين في التساوي لأنّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، أمّا المماثلة فلا تكون إلّا في المتفقين ، تقول : نحوه كنحوه ، وفقهه كفقّهه ، ولونه كلونه ، وطعمه كطعمه ، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه إنّهُ يسد مسدّه ، وإذا قيل : هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة ، والعرب تقول : هو مثيل هذا ، وهم أمثالهم يريدون أنّ المشبّه به حقير ، كما أنّ هذا حقير ، والمثل الشبه ، يقال : مثل ومثل ، وشبه وشبه بمعنى واحد ^(١) .

والمثل موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ففي القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) ، وكقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣) .

^(١) لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي

المصري ، باب (اللام) ، فصل (الميم) .

^(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧١ .

^(٣) سورة النور ، الآية ٣٥ .

والمثل يعرف أيضاً : بأنه حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، بها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه .
والأمثال هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني ، التي تخيرتها العرب ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أنقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها (١) .

ولما عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ؛ لتخفّ استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله ، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ، والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه وبالغ في التماسه حتى أتقنه ، وليس من حفظ صدرّاً من الغريب فقام بتفسير قصيدة أو كشف أغراض رسالة أو خطبة قادر على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها والإخبار عن المقاصد فيها ، وإنما يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ، ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية ، وتقدّم في الدراية (٢) .

وضرب المثل جعله يسير في البلاد ، من قولك ضرب في الأرض إذا سار فيها ، ومنه سمّي المضارب مضارباً ، ويقولون : الأمثال تحكى ، ويعنون بذلك إنّها تضرب على ما جاءت عن العرب ، ولا تغير صيغتها (٣) .

(١) العقد الفريد ، للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد ، المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي ، ط ٢ المطبعة الأزهرية ، مصر ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٢) كتاب جمهرة الأمثال ، تأليف الشيخ الأديب أبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، ط ١ ، ١٩٦٤م ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ج ١ ، ص ٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧ .

مورد الأمثال :

المقصود بمورد الأمثال : الحالة التي قيل فيها المثل ابتداءً ، وتصنف الأمثال بالنسبة إلى موردها أنواعاً ، منها ^(١) :

١/ الأمثال الناجمة عن حادث ، وهي التي قيلت بعد انتهاء حادث ما كقولهم : " وافق شنّ طبقه " .

٢/ الأمثال المروية في قصّة ، وهي كثيرة ، خاصّة تلك التي وردت في بعض معارك الجاهلية وأخبارها ، كيوم البسوس ، ويوم داحس والغبراء وغيرهما .

وثمة أمثال كثيرة رويت لها حوادث مختلفة ، أو جاءت في قصص مختلفة دون معرفة إن كان هذه القصص حقيقية أو وضعت لتعليل الأمثال وتفسيرها .

٣/ الأمثال الناجمة عن القرآن الكريم ، وهي أيضاً كثيرة .

٤/ الأمثال التي أصلها الحديث الشريف .

٥/ الأمثال الناجمة عن تشبيه ، وهي التي على صيغة (أفعل من) .

٦/ الأمثال التي في أصل وضعها كنايات وعبارات اصطلاحية تقال في

مناسبات معيّنة .

٧/ الأمثال الناجمة عن شعر ، وهي أصناف ، منها :

أ/ أبيات يتمثل بها كلّها ، مثل قول المتلمّس ^(٢) :

^(١) موسوعة أمثال العرب ، إعداد د. إميل بديع يعقوب ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، دار الجيل ، بيروت

ج ١ ، ص ٤٢ - ٤٦ .

^(٢) هو : جرير بن عبد العزى ، شاعر جاهلي من أهل ربيعة ، وخال طرفة بن العبد ، الأعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ط ١٠ ، ١٩٩٢ ، دار العلم للملايين ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

لذي الحلم قبل النوم ما تقرر العصا
وما علم الإنسان إلا ليعلم^(١)
ب/ أبيات صدورها أمثال وأعجازها أمثال أخرى ، مثل قول لجيم ابن
صعب^(٢) :
إذا قالت حزام فصدّقوها
فإن القول ما قالت حزام^(٣)
ج/ أبيات جاءت الأمثال في صدورها دون أعجازها ، مثل قول الحطيئة^(٤) :
لكل جديد لذة غير أنني
وجدت جديد الموت غير لذني^(٥)
د/ أبيات جاءت الأمثال في أعجازها دون صدورها ، مثل قول الشاعر :
المستغيث بعمره حين كربته
كالمستغيث من الرمضاء بالنار^(٦)

(١) البيت في الأصمعيات ، اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، تحقيق
وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ، مصر
ص ٢٤٥ ، وفيه جاءت كلمة " اليوم " بدلاً عن " النوم " .
(٢) هو : لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار ، الأعلام
ج ٥ ، ص ٢٤١ .
(٣) البيت في لسان العرب ، مادة (حزم) .
(٤) هو جرول بن أوس بن مالك ، العبسي ، أبو مليكة ، شاعر مخضرم ، لم يسلم من لسانه أحد
حتى أمّه وأباه ونفسه ، الأعلام ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
(٥) ديوان الحطيئة ، شرح نعمان أمين ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط ١٩٥٨م ، القاهرة
ص ٣٥٥ . وفي عجز البيت " رأيت " بدلاً عن وجدت .
(٦) ديوان البحري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٥٠م
ص ٥٤٢ . وفيه جاءت كلمة (المستجير) بدلاً عن (المستغيث) في صدر البيت وعجزه .

وكما أخذ الناس الأمثال من الشعر ، أخذ الشعراء الأمثال النثرية وضمّوها
شعرهم ، إمّا مع المحافظة على تركيبها وألفاظها ، وإمّا بتصرّف فيها إذا كان الوزن
يقتضي ذلك ، مثل قول الشاعر :
احفظ لسانك أن تقول فتبتلى
إنّ البلاء موكل بالمنطق^(١)

وكتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " اشتمل على كثير من الأمثال
أوجدت لها مضارب تبينها وتوضّحها ، وهي :
١/ أظلم من حيّة : يضرب في التعديّ لأنها تجيء إلى جحر غيرها فتدخله
وتغلبه عليه^(٢) .

٢/ أظلم من ذئب : يضرب في الظلم ، وقد كثرت أمثال العرب وأشعار
الشعراء بظلم الذئب ، فقالوا : من استرعى الذئب ظلم ، ومستودع الذئب اظلم
وكافأه مكافأة الذئب ، وقالوا شعراً :
وأنت كجرو الذئب ليس بآلف
أبى الذئب إلّا أن يخون ويظلما^{(٣) (٤)}

(١) البيت في لباب الآداب ، تأليف الأمير أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المطبعة
الرحمانية ، ١٩٣٥م ، مصر ، ص ٢٧٥ . وفيه جاءت كلمة (إحذر) بدلاً عن (احفظ) ولم يورد
صاحب اللباب نسبة البيت لأحد .

(٢) مجمع الأمثال ، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري "الميداني" ، منشورات دار
مكتبة الحياة ، ١٩٦١م ، بيروت ، ج ١ ، ص ٦١٩ .

(٣) البيت في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦١٩ .

٣/ أظلم من ورل : وذلك لأنّ كلّ شدةً يلقاها ذو جحر من الحيّة يلقى مثل ذلك من الورل ، وهو ألطف بدنّاً من الضبّ ، يقوى على الحيّات ويأكلها أكلاً ذريعاً ^(١) .

٤/ إنّ البلاء موكل بالمنطق : قال المفضل ^(٢) إنّ أوّل من قال ذلك هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فيما ذكره ابن عبّاس ، قال : حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدّم أبو بكر - وكان نسابة - فسلم فردّوا عليه السلام ، فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة فقال : أمن هامتها أم من لهازمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى ، قال : فأيّ هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر قال : أفمنكم عوف الذي يقال له : لا حرّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم جساس بن مرة حامي الزمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا قال : أفأنتم أحوال الملوك من كندة ؟ ، قالوا : لا ، قال : فلستم ذهلاً الأكبر أنتم ذهل الأصغر ، فقام إليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل ، فقال :

يا هذا إنك قد سألتنا فلم نكتمك شيئاً ، فمن الرجل أنت ؟ قال : رجل من قريش قال : بخ بخ ، أهل الشرف والرياسة ، فمن أي قريش أنت ؟ قال من تميم بن مرة قال : أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا ؟ ، قال : لا ، قال : أفمنكم هاشم الذي هشّم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا ، قال : أفمنكم شيبه الحمد مطعم طير السماء الذي كأنّ في وجهه قمراً يضيئ ليل الظلام الداجي ؟ قال : لا ، قال : أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الندوة ؟ قال : لا ، قال : أفمن

(١) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ١ ، ص ٦١٩ .

(٢) هو : المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر ، الضبي ، راوية علامة بالشعر والأدب ، وأيام العرب ، من أهل الكوفة ، توفي سنة ١٦٨ هـ ، الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ .

أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل السقاية أنت ؟ ، قال : لا ، قال واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : دغفل صادق درأ السيل درأ يصدغه ، أما والله لو ثبت لأخبرتك أنك من زمعات قريش ، أو ما أنا بدغفل ، قال : فتبسّم الرسول ﷺ ، قال علي : قلت لأبي بكر قد وقعت من الأعرابي على باقعته ، قال : أجل إنّ لكل طامة طامة ، وإنّ البلاء موكل بالمنطق (١) .

٥/ إذا جاء الحين غطّى العين : الحين الأجل ، يروى أنّ نافعاً بن الأزرق (٢) قال لابن عباس الصحابي الجليل ، تقول : إنّ الهدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء ، فكيف لا يبصر شعيرة الفخ حين يصاد ، فقال : إذا جاء القدر عمي البصر (٣) .

٦/ إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة : يضرب في افتضاح المرء عند التصدي لما لا يقدر عليه (٤) .

٧/ إذا لم ينفك البازي فانتف ريشه : يضرب للتخلص ممّا لا ينفع (٥) .

٨/ المرأة الصالحة أحد الكاسبين : قاله النبي ﷺ ، وهو أنّ المرأة الصالحة تكسب الشرف لصلاحها ، وتصون سمعتها ، وتحافظ على كرامتها وكرامة زوجها

(١) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) هو : نافع بن الأزرق بن قيس ، الحنفي البكري ، الوائلي ، الحروري ، رأس الأزارقة ، كان أمير قومه وفقههم ، من أهل البصرة ، من أهل البصرة ، توفي سنة ٦٥ هـ . الأعلام ج ٨ ، ص ٣١٥ .

(٣) موسوعة أمثال العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

والزوج كاسب لما بقيت به نفسه وعياله ، ويصون ماء وجهه وأهله وقد يكون المراد بكاسبيتها معاونة زوجها في تنظيمها الأمور البيتية ^(١) .

٩/ الزوجة الصالحة أحد الكاسبين : يضرب في الحثّ على اختيار الزوجة الصالحة ^(٢) .

١٠/ السلطان كالنار إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربته عظم ضررها : يضرب في التوسّط في التعامل مع الحكّام ^(٣) .

١١/ العيال سوس المال : يضرب لكثرة ما تتطلب العيال من أموال ضرورية لمعيشتها ^(٤) .

١٢/ القلم أحد اللسانين : أي إنّ القلم كالكتاب في الإفصاح والتعبير ^(٥) .

١٣/ العوان لا تعلّم الخمرة : العوان من النساء التي كان لها زوج ، والمعنى أنّ المرأة التي تزوّجت تحسن القناع بالخمّار ^(٦) .

١٤/ المرق أحد اللحمين : أي أنّ المرق كاللحم تماماً ^(٧) .

١٥/ الناس على دين الملوك : مولّد ، أي أنّ الناس تنزع دائماً إلى تقليد ملوكها وزعمائها ، فكما يكون الراعي ، تكون الرعيّة ^(٨) .

١٦/ الولد ثمرة الفؤاد : يضرب في أهميّة الولد بالنسبة إلى والديه ^(٩) .

(١) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٣٧ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٦١ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٠٠ .

(٨) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٠٧ .

(٩) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٦٨٠ .

١٧/ الخطّ أحد اللسانين : لأنّه كاللسان في الإفصاح عن أفكار الإنسان
والخطّ الحسن يزيد الحقّ وضوحاً (١) .

١٨/ البركات في الحركات : يضرب في مدح السفر ، والعمل للحصول على
الخير وتحقيق الأهداف (٢) .

١٩/ الملك عقيم : يعني إذا تنازع قوم في ملك انقطعت بينهم الأرحام ، فلم
يبق فيه والد على ولده ، فصار كأنّه عقيم لم يولد له (٣) .

٢٠/ الحقّ أبلج ، والباطل لجلج : يراد به أنّ الحقّ منكشف والباطل ملتبس
يقال : انبلج الصبح إذا انكشف ، ومنه سمّي الكشف بين الحاجبين بلجة ، والجلج من
قولهم تلجلج في القول إذا تتعتع ولم يستوف العبارة معناها (٤) .

٢١/ بيضة البلد : يضرب للرجل الفريد الوحيد الذي لا ناصر له ، يقال : هو
في وحدته وانفراده كبيضة في أرض خالية ، من وجدها أخذها ولم يمنعه مانع
ويستخدم الممثل أيضاً في المدح ، فيقال : فلان بيضة البلد ، أي فرد في شرفه ولا
نظير له في سؤدده (٥) .

٢٢/ تعلمنى بالضّبّ وأنا حرشته : حرش الضّبّ أي صيده ، ويضرب لمن
يخبرك بشيء أنت به منه أعلم (٦) .

٢٣/ تعجيل اليأس أحد الظفرين : أي أنّ تعجيل اليأس يسر ، ضدّ العسر (٧) .

(١) موسوعة أمثال العرب ، ج ٣ ، ص ٦٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(٣) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

(٤) كتاب جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٦) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٧) موسوعة أمثال العرب ، ج ٣ ، ص ٤٠٩ .

٢٤/ جاور بحراً أو ملكاً : أي اطلب الخصب ، وقد اتفقت العرب والفرس في جميع الأمثال إلا في هذا المثل ، فالفرس تقول : لا تتعرف إلى الملك ولا تجاور البحر (١) .

٢٥/ جدك لا كدك : الجدّ قسم الله تعالى للعبد حظّه من الدنيا ، فمن قسم له شيئاً ناله ، ومن لم يقسم له حرمه ، وإن اجتهد في طلبه ، يقول : إن كان لك جدّ فزت بما تطلب ، وإن لم يكن لك لم ينفعك الكدّ (٢) .

٢٦/ خير الخلال حفظ اللسان : الخلال جمع خلّة ، وهي الخلّة ، يضرب في الحث على حفظ اللسان وإيثار الصمت على الثرثرة (٣) .

٢٧/ ربّ رمية من غير رام : يضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، ومثل قولهم : مع الخواطئ سهم صائب ، والصائب : المصيب ، يقال : صاب وأصاب ، وأصله القصد (٤) .

٢٨/ ربّ أخ لك لم تلده أمّك : يعنى به الصديق ، فإنه ربّما أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم (٥) .

٢٩/ ستساق إلى ما أنت لاق : مولّد ، وهو قول أكثم بن صيفي ، ويضرب في حتميّة القدر (٦) .

٣٠/ عفو الملوك أبقى للملوك : قاله النبي ﷺ ، ويضرب لحث الملوك على العفو (٧) .

(١) كتاب جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٣) موسوعة أمثال العرب ، ج ٣ ، ص ٦٤٤ .

(٤) كتاب جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٩١ .

(٥) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

(٦) موسوعة أمثال العرب ، ج ٤ ، ص ١٦٨ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

٣١/ غلّ قملٌ : يضرب للمرأة السيئة الخلق ، قال الأصمعي (١) : إنهم كانوا يغلون الأسير بالقدّ وعليه الوبر ، فإذا طال القدّ عليه قمل فلقى منه جهداً ، فضرب لكل ما يلقى منه شدة (٢).

٣٢/ فقد الصبر أدهى المصيبتين : أي فقد الصبر على المصيبة أشدّ ضرراً من المصيبة نفسها (٣).

٣٣/ قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها : أي إنّ العالم يعرف مسالك الأرض فيقطعها دون أن يضل ويهلك ، أمّا الجاهل فيهلك لجهله بأحوالها وطرقها ويضرب في مدح العلم والمعرفة وذمّ الجهل (٤).

٣٤/ قلّة العيال أحد اليسارين : مولّد ، أي إنّ قلّة العيال يسر ، وذلك لما فيها من قلّة النفقة (٥).

٣٥/ كلّ ذات ذيل تختال : أي إنّ كل ذا مال يتبختر ويفتخر بماله (٦).

٣٦/ كاد العروس يكون ملكاً : العرب تقول للرجل عروس ، وللمرأة أيضاً ويراد هنا الرجل ، أي كاد يكون ملكاً لعزّته في نفسه وأهله (٧).

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ، صاحب لغة ونحو وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب ، من كتبه ، " خلق الإنسان " ، و " كتاب الإجناس " و " كتاب الأنواء " ، و " كتاب الهمز " ، عاش ٨٨ سنة . وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٣) موسوعة أمثال العرب ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

(٦) مجمع الأمثال ، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم "الميداني" تحقيق محمد

أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٠ .

٣٧/ كل غانية هند : يضرب في تساوي القوم عند فساد الباطن (١) .

٣٨/ كثرة العيال أحد الفقيرين : أي كثرة العيال تجلب الفقر (٢) .

٣٩/ كل كلب ببابه نبّاح ، أي أنّ الجبان أو الضعيف يكون في بيته قوياً لوجود مناصريه بالقرب منه (٣) .

٤٠/ لولا الوئام لهلك الأنام : الوئام الموافقة ، يقال واعمته مواعمة ووئاماً وهي أن تفعل مثل ما يفعل ، أي لولا موافقة الناس بعضهم بعضاً في الصحبة والمعاشرة لكان الهلاك (٤) .

٤١/ لا عطر بعد عروس : قال المفضل أول من قال ذلك امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بني عمّها يقال له عروس ، فمات عنها ، فتزوَّجها رجل من غير قومها يقال له نوفل ، وكان أعسر أبخراً بخيلاً دميماً فلما أراد أن يظعن بها قالت له : لو أذنت لي فرثيت ابن عمي وبكيت عند رسمه فقال : افعلي ، فقالت : أبكيك يا عروس الأعراس ، يا ثعلباً في أهله وأسداً عند البأس مع أشياء ليس يعلمها الناس ، قال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عن العمّة غير نَعّاس ، ويعمل السيف صبيحات اليأس ، ثمّ قالت : يا عروس الأغرّ الأزهر ، الطيّب الخيمّ الكريم البخير ، مع أشياء له لا تذكر ، قال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيولاً للخناء والمنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر ، فعرف الزوج أنّها تعرّض به ، فلما رحل بها قال : ضمّي إليك عطرك ، وقد نظر إلى وعاء عطرها مطروحة ، فقالت : لا عطر بعد عروس (٥) .

(١) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

(٢) موسوعة أمثال العرب ، ج ٤ ، ص ٥٧١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٦١٢ .

(٤) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

٤٢/ لا تعدم الحسناء زاما : الزام والزم الغيب ، ومثله الرار والريز والعاب والعيب ، وأول من تكلم بهذا المثل حبى بنت مالك بن عمرو العدوانية ، وكانت من أجمل النساء ، فسمع بجمالها ملك غسان فخطبها إلى أبيها وحكمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لتباعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة فإذا أردتن إدخالها على زوجها فطيينها بما في أصرافها ، فلما كان الوقت أعجلهن زوجها ، فاغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهل طروقتك البارحة ؟ فقال : ما رأيت كالليلة قط ، لولا دويحة أنكرتها ، فقالت هي من خلف الستر : لا تعدم الحسناء زاما ، فارسلتها مثلاً (١) .

٤٣/ لا يضر السحاب نباح الكلاب : يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره (٢) .

٤٤/ لا تثق في الأمير إذا غشك الوزير : يضرب في التحذير (٣) .

٤٥/ لا تحمد العروس عام هدائها ، ولا الأمة عام شرائها : وذلك لأنهما يتصنعان في العام الأول ، ويضرب أيضاً في النهي عن مدح الشيء قبل اختباره (٤) .

٤٦/ ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية : قاله شبيب بن شيبه (٥) في خالد بن صفوان ، ويريد أن الناس يدارونه لشربه ، وقلوب الناس تبغضه (٦) .

(١) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٨ .

(٣) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ .

(٥) هو : شبيب بن شيبه ، الإخباري ، الأديب الشاعر ، له مواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء

مات بعد المائتين . معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٤١١ .

(٦) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

٤٧/ ما ذكر الله الهوى في شيء إلا زمه : قاله ابن عباس ويضرب لكي يتجنب الإنسان هواه ، وقيل سمّي الهوى بذلك ؛ لأنه يهوي بصاحبه (١) .

٤٨/ من ينكح الحسنة يعط مهرأ : أي من طلب حاجة اهتم بها وبذل ماله فيها (٢) .

٤٩/ من أشبه أباه فما ظلم : أي لم يضع الشبه في غير موضعه ؛ لأنه ليس أحد أولى به منه (٣) .

٥٠/ من استرعى الذئب ظلم : أي ظلم الغنم ، ويجوز أن يراد ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه ، يضرب لمن يولي غير الأمين (٤) .

٥١/ من مأمنه يؤتى الحذر : يروى عن أكرم بن صيفي التميمي ، أي أن الحذر لا يدفع عنه ما لا بد له منه وإن جهد جهده (٥) .

٥٢/ من يمدح العروس إلا أهلها : يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم ، قيل لأعرابي : ما أكثر ما تمدح نفسك ؟ قال : فإلى من أوكل مدحها ؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها (٦) .

٥٣/ من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال : مولد يضرب للحث على الكفاح والمغامرة في سبيل تحقيق الآمال (٧) .

٥٤/ من لم يكن ذنباً أكلته الذئاب : يضرب لمبادرة الظالمين بالظلم قبل أن تظلم (١) .

(١) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٢٩٩ .

(٢) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٧) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٤٧٣ .

(١) موسوعة أمثال العرب ، ج ٥ ، ص ٤٧٤ .

المبحث الثاني الحكم البالغة

تمهيد

الحكمة والفرق بينها والمثل

الحكمة لغة : تعنى العدل ، رجل حكيم : عدل حكيم ، وأحكم الأمر: أتقنه والحكيم : المتقن للأمور ^(١) .

والحكمة في الاصطلاح : لها تعريفات مختلفة ، منها : إنها كلام موافق للحق والكلام الذي يقلّ لفظه ويجل معناه ، أو العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح ، وتعبّر عن تجربة من تجارب الحياة أو خبرة من خبراتها ، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة ، أو هي عصارة خبرة في الحياة وخلاصة فهم لأسرارها يدبجها ذهن زكيّ فطن في جملة مرصوفة رصاً محكماً ، تستخدم في المناسبات ^(٢) .

وتختلف الحكمة عن المثل في أمور أساسية منها :

أ/ الشيوخ ، فالحكمة لا تسير سير المثل ، ولا تشيع شيوعه ، وإلاّ أصبحت مثلاً ، فليست كل حكمة مثلاً ، ولكن كل حكمة شائعة مثل .

ب/ صدق النظرة وصواب المضمون ، فالحكمة وليدة تجربة وعقل مفكّر وهي تصدق غالباً في كل زمان وكان ، أمّا المثل فربّما لا يتضمّن فكرة ثاقبة ، أو رأياً سديداً ، وإذا كانت كل حكمة شائعة مثلاً ، فليس كل مثل حكمة شائعة .

^(١) لسان العرب ، باب (الميم) ، فصل (الحاء) .

^(٢) موسوعة أمثال العرب ، ج ١ ، ص ٢٣ .

ج/ المضمون الفكري ، فالحكمة رأي سديد أو فكرة صادقة أثبتتها التجربة وصقلها العقل ، وغايتها النصح والإرشاد ، أمّا المثل فلا يشترط فيه اشتماله على هذه الفكرة أو ذاك الرأي ، إذ قد يكون " تعبيراً مثلياً " يتمثل به لتشبيه شيء بشيء ، أو لتوضيح فكرة ، أو لوصف حالة ، وقد يكون المثل أيضاً " عبارة تقليدية " تستخدم في الدعاء واللعن والخطاب والتحية ونوعها .

د/ إنّ المثل أساسه التشبيه ، أي تشبيه مضربه بمورده ، أمّا الحكمة فأساسها إصابة المعنى .

هـ/ إنّ المثل موجز الأسلوب ، والحكمة قد تكون موجزة وقد لا تكون .
و/ إنّ الغاية من المثل في بعض الأحيان الاحتجاج ، أمّا الغاية من الحكمة الوعظ والإرشاد ^(١) .

ورغم هذه الفروقات بين الحكمة والمثل ، فإنّ الكثير من الحكم صارت أمثالاً بفعل شيوعها ، كما إنّه أحياناً لا نستطيع الحكم على بعض الحكم على أنّها أمثال أو غير أمثال ، ما دامت السيرورة هي الحدّ الفاصل بين الحكمة والمثل ، وما دامت هذه السيرورة مرتبطة بالمكان والزمان والأشخاص ، فلا توجد معايير دقيقة للقول : إنّ هذه الحكمة سائرة أو غير سائرة ^(٢) .

وكتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " اشتمل على كثير من الحكم البالغة أوردت لها تحليلاً وتوضيحاً ، وهي :

١/ الأحق لا يبالى ما قال ، والعاقل يتعاهد المقال : أي أنّ الأحق يلقي الكلام على عواهنه دون مبالاة ، والعاقل يعقل كلامه ويوزنه ، وقيل : الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة ، والعقل وزير رشيد وظهير سعيد ، من أطاعه أنجاه ،

(١) موسوعة أمثال العرب ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .

ومن عصاه أرداه ، وقيل أيضاً في فضل العقل : لو صورّ العقل لأضاء معه الليل ، ولو صورّ الجهل لأظلم معه النهار ^(١) .

٢/ العقل كالزجاج إن يصدع لم يرقع : العقل : الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً ، وقيل : العقل أن تنتظر في العواقب ^(٢) .

فإذا لم يكن صاحب العقل بتلك الصفات فإنه مشابه للزجاج الذي يتصدّع فيصعب جمعه وجبره .

٣/ أمحض أخاك النصيحة وإن كانت عنده قبيحة : توجّه بنصحك لأخيك إذا أخطأ ، حتّى إذا كان النصح ثقیلاً عليه ، قيل : ترك المعاتبة دليل على قلة الاكتراث بالصدق ، والمعاتبة تزيل الموجدة ، وأفضل المحبة ما كانت بعد المعتبة ^(٣) .

٤/ البخل مذموم وربّما حمد : قيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تنفق ومالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه ، وقال الجاحظ : قلت لأحد الأغنياء البخلاء : أرضيت أن يقال لك إنك بخيل ؟ قال : لا أعدمني الله هذه الصفة ، لأنّه لا يقال : بخيل إلاّ لذي مال ^(٤) .

٥/ المال أحد الجاهين : نظر أعرابي إلى دينار وقال : ما أصغر مرآك وأكثر منافعك ^(٥) .

وقال ابن الرومي :

لم أر شيئاً صادقاً نفعه

للمرء كالدّرهم والسيف

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، تأليف أبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٠٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

يقضي له الدرهم حاجاته

والسيف يحميه من الحيف (١)

٦/ الحاجة مع المحبة خير من البغضة مع الغنى : جاءت في وصية أكرم ابن صيفي لبني طي ، ومعناها أن تكونوا فقراء متحابين خير من أن تكونوا أغنياء متباغضين (٢) .

٧/ حسن التقدير أحد الكسبيين : هذه من الأقوال السائرة كالأمثال ، ومعناها أن الناجح الظافر هو من يحسن تقدير الأمور ويحكمها (٣) .

٨/ خالطوا الناس وزايلوهم : المخالطة تعني المعاشرة ، والمزايلة تعني المفارقة ، أي عاشروهم في الأفعال الصالحة وزايلوهم في الأخلاق المذمومة ، وقال ابن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم ، أي خالطهم ببدنك وزايلهم بقلبك ، وليس ذلك من باب النفاق ، ولكنه من باب المداراة ، فقد قال النبي ﷺ : ((مداراة الناس صدقة)) (٤) . قال الشاعر :

إذا جئت أرضاً أهلها كلهم

عور فاغض عينك الواحدة (٥)

وقيل : كل من الطعام ما تشتهي ، والبس من الثياب ما يشتهي الناس (٦) .

(١) ديوان ابن الرومي ، شرح أنطوان نعيم ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، بيروت ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

(٢) مجمع الأمثال العربية ، تأليف خير الدين شمسى باشا ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ج ٢ ، ص ٩٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الأنصار) ، باب (حديث أبي ذر الغفاري) ، حديث رقم (٢٠٥٦٨) ، وجاء نصه : ((تسليمك على الناس صدقة)) .

(٥) البيت للخباز البلدي ، في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، النيسابوري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢١٢ . وفيه جاءت (إن) بدلاً عن (إذا) .

(٦) مجمع الأمثال العربية ، ج ٢ ، ص ١٠٦٤ .

٩/ الخطّ صورة أحسنها أبينها : " قال اليوسي ^(١) : إذا أُجيد الخطّ وبَيّنت الحروف ، تبيّنت الألفاظ المؤدّية إلى المعاني ، وانشرحت النفس وانبسّطت إليها وأقبلت عليها فكان قبولها للمعاني أتمّ وفهمها لها أكثر ، وقد قالوا : الخطّ أحد اللسانين وقالوا : حسن الخطّ إحدى الفصاحتين ، وقال جعفر بن يحيى ^(٢) : الخطّ نبط الحكم به تفصّل شذورها ، وينظّم منثورها ، وقال المبرّد ^(٣) : رداءة الخطّ زمانة الأدب وقال الإمام الماوردي : خطوط العلماء في الأغلب رديئة ؛ لانشغالهم بالعلم ، وقال الفضل بن سهل : من سعادة المرء رداءة خطّه لئلا يشغله تعلّم الخطّ عن تعلّم العلم وقيل : الأسباب المخلّة بالخطّ ثمانية ، هي : إسقاط ألفاظ منه ، أو زيادة ألفاظ فيه أو إسقاط بعض حروف الكلم ، أو زيادة حرف أثناءها ، أو وصل الموصول أو فصل الموصول ، أو تغيير الحروف حتى يشتبه حرف بغيره ، أو ضعف الخطّ جملة ، أو إهمال النقط أو الشكل " ^(٤) .

١٠/ الراوية أحد الهاجيين : أي أنّ من روى الهجو وأشاعه في الناس فهو كمن قاله ، كما يقال في الغيبة : إنّ المستمع شريك القائل ^(٥) .

١١/ ربّ عجلة تهب ريثاً : أي في العجلة ما يسبب التأخير ، والحكمة تحثّ على الإقدام في الأمر وعدم التواني ^(٦) .

(١) هو : الحسن بن مسعود ، كاتب مشهور . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤٢ .

(٢) هو : أبو الحكم جعفر بن يحيى ، المعروف بابن عتّال ، من أهل دانية ، أديباً شاعراً ، له خطب عارض بها ابن نباتة ، توفي سنة ٥٣٩ هـ . الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، ص ١٢٧ .

(٣) هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، الثمالي ، الأزدي ، إمام العربية ببغداد ، وأحد أئمّة الأدب والأخبار ، له " الكامل " و " المذكر والمؤنث " و " شرح لامية العرب " . ولد بالبصرة وتوفي ببغداد . الأعلام ، ج ٨ ، ص ١٥ .

(٤) الكامل ، للمبرّد ، للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرّد ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٥) معجم الأمثال العربية ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، ١١٩٧ .

١٢/ عدل السلطان خير من خصب الزمان : وذلك إنَّ السلطان إذا عدل نعمت
الرعية بالأمن ، وانطلق الناس في أعمالهم فعمَّهم الخير والرخاء وعاشوا بالرغد
والسعادة (١) .

١٣/ لا تسدَّ الثغور بالمحصنات : الثغور جمع ثغر ، وهو موضع المخافة من
أطراف البلاد ، والحدَّ الفاصل بين بلاد المسلمين وبلاد الكفار ، أنشد العرجي قائلاً :
أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر (٢)

فالثغور تحتاج إلى جند رجال يحمونها ، والمحصنات من النساء لم يخلقن لهذا
بل لهنَّ مملكتهنَّ في المنازل وشئون الأسرة ، والحكمة تقال للضعيف يولَّى أمراً ليس
له أهلاً (٣) .

١٤/ للملوك بدوات : بدوات ، جمع بداة ، كقطاة وقطوات ، وأبو البدوات
تعني أبو الآراء التي تظهر له ، وتقال الحكمة في التحذير من صحبة الملوك ، فقد قيل
ثلاثة لا أمان لها : البحر والسلطان والزمان ، وقال الصاحب بن عباد :

إذا أولاك سلطان فزده
من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظماً

وقرب البحر محذور العواقب (٤) (٥)

(١) معجم الأمثال العربية ، ج ٢ ، ١٥٢٩ .

(٢) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق
د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٧٥٩ .

(٣) معجم الأمثال العربية ، ج ٣ ، ص ١٩٧٧ .

(٤) ديوان الصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١
١٩٦٥ م ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٥) معجم الأمثال العربية ، ج ٣ ، ص ٢١٢٨ .

١٥/ وإن حلفت لا ينقض النأي عهدهما

فليس لمخضوب البنان يمين (١)

تقال هذه الحكمة في قلة الثقة بالنساء (٢) .

١٦/ من تحسّى مرقّة السلطان أحرقت شفتاه ولو بعد حين : أي إنّ من نعم بالجاء في ظلّ السلطان سيتبدّل نعيمه شقاء إذا ما غضب عليه السلطان وتكرّر له (٣) .

١٧/ من خدم السلطان خدمه الأخوان : أي إنّ من خدم السلطان صار وجيهاً وذا حظوة ، يلتف حوله الناس ، يتودّدون له ويتملقونه ويأتمرون بأمره (٤) .

١٨/ من اجتراً على السلطان تعرض للهوان : يقال في طاعة أولي الأمر حتى لا تزلّ ، قال تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٥) (٦) .

١٩/ موت في قوّة وعزّ أصلح من حياة في زلّ وعجز : أي أنّ الحياة مع العجز والذلّ خير منها الموت ، فالحكمة تقال في إباء الضيم (٧) .

٢٠/ النساء بالنساء أشبه من الماء بالماء : أي أنّهنّ متشابهات تماماً (٨) .

٢١/ نعم المؤدّب الدهر : أي أنّ التجارب التي تمرّ بك في حياتك على مدى العمر تعلّمك وتؤدّبك (٩) .

(١) البيت في العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ .

(٢) معجم الأمثال العربية ، ج ٣ ، ص ٢١٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٢٥ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٦) معجم الأمثال العربية ، ج ٣ ، ص ٢٤٢٥ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥١٠ .

(٨) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٥٠ .

(٩) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٦٣ .

٢٢/ الكذب عار وربما نفع : يقال للرجل تكون الإساءة هي الغالبة عليه ، ثم تكون منه الهنة من الإحسان والصدق ^(١) .

٢٣/ هذا أجلّ من الحرش : أصل الحرش التحريض ، والحرش في صيد الضباب هو أن يجيء إلى باب جحر الضبّ فيحرّك باليد ، فإذا سمع الضب حركتها ظنّها حيّة فخرج ليقاقلها فيصطاد ، والعرب تحدّث بأنّ الضبّ قال لولده : إحدري الحرش ، فبينما هما ذات يوم سمعا صوت محفار حافر يحفر عليهما ، فقال الحسل لأبيه يا أبة : هذا الحرش ؟ فقال : يا بني هذا أجلّ من الحرش ، ومهما يكن من أمر فإنّ الحكمة تقال لكل من خشي شيئا فوقه فيما هو أعظم منه ^(٢) .

٢٤/ إن قدرت ألاّ تسمع أذنك سرّك فافعل : يقال في الحث على حفظ السر قيل : من لم يكتم السر فقد استكمل الجهل ، وقيل : من حصّن سرّه آمن سرّه ^(٣) .

٢٥/ التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر : قيل : بادروا بتعليم وتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال ، والكبير أوفر عقلاً من الصغير ؛ لكنه أشغل قلباً ^(٤) .

٢٦/ من عالته امرأة لم يفقد ذلاً : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : سيأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلّا الماحل ، ولا يظرف فيه إلّا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلّا المنصف ، حينئذ يكون سلطان النساء ^(٥) .

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري الأوبني ، تحقيق د. عبد المجيد عابدين ، ود. إحسان عبّاس ، (د - ط) ، (د - ت) ، ص ٣٨ .

(٢) الفاخر ، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، تحقيق عبد الحليم الطحاوي ، مراجعة محمد علي النجّار ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط ١ ، ص ٢٨٩ .

(٣) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

٢٧/ من استهوته الخمر والنساء أسرع إليه البلاء : قال بعض الظرفاء :
أربعة أشياء إن أفرط فيها الرجل أهلكته : إدمان الخمر ، وحبّ النساء ، شهوة الصيد
والممارسة (١) .

٢٨/ أرسل حكيماً ولا توصه : لأنّ الحكيم دائماً مستغنٍ بحكمته عن
الوصيّة (٢) .

٢٩/ سائل الله لا يخيب : تقال في الرغبة عن الناس وسؤالهم (٣) .

٣٠/ خير الخلال حفظ اللسان : يقال في الحثّ على الصمت (٤) .

٣١/ صدرك أوسع لسرّك : أي لا تقشّ سرّك لأحد ، وإنّك أولى بترك إفشائه
وإن ضاق عنه صدرك فصدر غيرك أضيق عنه ، قال الشاعر :
إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه

فصدر الذي يستودع السرّ أضيق (٥) (٦)

٣٢/ من غلب عليه العجب ترك مشورة الرجال : تدعو الحكمة إلى المشورة
وقيل : ما هلك امرؤ من مشورة (٧) .

٣٣/ من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه : قال
خالد بن صفوان : أصدق في صغار ما يضرّك ؛ ليجوز لك الكذب في كبار ما
ينفعل (٨) .

(١) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٦٧٨ .

(٢) مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٥) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، تأليف بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ، دار

الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، بيروت ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٦) كتاب جمهرة الأمثال ، ط ١ ، ص ٥٧٥ .

(٧) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٨) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

٣٤/ الغريب الناصح خير من القريب الغاش : أي نصح الذي لا يمت إليك
بصلة رحم أفضل مما يأتيك غشاً من قريبك (١) .

٣٥/ من لم تقدر على مكافاته فانصح له : تدلّ الحكمة على عظمة النصح
قال النبي ﷺ : ((الدين النصيحة)) (٢) (٣) .

٣٦/ روضة العلم أزين من روضة الرياحين : تقال الحكمة في مدح العلم قال
عمر بن عبد العزيز : تعلّموا العلم فإنه عون للفقير ، أمّا إنّي لا أقول تطلب به الدنيا
ولكن يدعو إلى القنوع (٤) .

(١) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب (الإيمان) ، باب (بيان أنّ الدين النصيحة) ، حديث رقم (٨٢) .

(٣) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣ .

المبحث الثالث

الحكايات الممتعة

تمهيد

قال الإمام ابن عبد البر القرطبي : " قد جمعت في كتابي هذا كثير من الحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمّة من معاني الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظي ورعايتي ، وضمّته روايتي وعنايتي ، لتكون لمن وعاهها وأحصاها زينةً في مجالسه ، وأنساً لمجالسه ، وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمرّ به معنى في الأغلب إلّا ذكر له حكاية مستطرفة يحسن موقعها في الأسماع " (١) .

نجد أنّ الحكايات المستطرفة في كتاب " بهجة المجالس " جاءت في فنون شتى وقد جعلت لها عناويناً تقرّب استيعابها ؛ حتى تكون لقارئها أنساً له في الخلاء ، وزين له في الملاء ، وصاحباً في الاغتراب ، وحلي بين الصحاب .

١/ ما جاء حكاية عن المجالس :

أ/ تباعد كعب الأخبار (٢) يوماً في مجلس عمر بن الخطّاب ، فأنكر ذلك عليه فقال : يا أمير المؤمنين إنّ في حكمة لقمان ووصيّته لابنه : إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل ، فلعلّه يأتيه من هو أثر عنده منك فينخيك فيكون ذلك نقصاً عليك (٣) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٢) هو : كعب بن ماته ، الحميري ، اليماني ، العلامة ، كان يهودياً وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ جاء إلى المدينة أيام عمر ، يحفظ عجائب وغرائب ، من نبلاء العلماء . سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ص ٤٧٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٨ . ولباب الآداب ، تأليف الأمير أسامة بن منقذ تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة لويس سرقيس ، ط سنة ١٩٣٥م ، ص ٢٣٣ .

ب/ قال يحيى بن خالد ^(١) لابنه : يا بني إذا حدثك جليساك حديثاً فاقبل عليه واصغ إليه ، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له ، وكأنك لم تسمعه إلا منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك ^(٢).

ج/ قال عمر بن الخطاب : إن ممّا يصفى وداد أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيتَه وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس ^(٣) .

د/ قال عبد الله بن عباس أعزّ الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناس إلي ، أما والله أنّ الذباب يقع عليه فيشق عليّ ^(٤).

٢/ ما جاء حكاية عند حمد اللسان :

أ/ قال قوم عند الأحنف بن قيس ^(٥) : الصمت أفضل ، فقال الأحنف : الكلام أفضل ؛ لأنّ الصمت لا يعدو صاحبه ، والكلام ينتفع به من سمعه ، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولها ^(٦) .

(١) هو يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل البرمكي ، الوزير السري ، الجواد ، كان سيّد بني برمك ، وأفضلهم جوداً وحلماً ، مات سنة ١٩٠هـ . معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٨١١ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٣ . وانظر المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٣ . وانظر : المستظرف ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٥ . وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حيّان البستي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية (د - ط)

(د - ت) ، مصر ، ص ١١٧ .

(٥) هو : أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ، يضرب به المثل في الحلم وهو من سادات التابعين ، أدرك النبي ﷺ وشهد بعض الفتوحات . وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٤ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، أبي إسحاق إبراهيم ابن علي الحصري القيرواني ، شرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي ط القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ج ٣ ، ص ٦٨١ .

ب/ قيل: السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم (١)

ج/ قال سعيد بن جبير رأيت ابن عباس رضي الله عنه في الكعبة أخذاً بلسانه وهو يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، أو اسكت تسلم (٢) .

د/ قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله ﷺ : ((إن من البيان لسحرا)) (٣) ، فأولت طائفة هذا على الذم ؛ لأنّ السحر مذموم ، وذهب الأكثرون من أهل العلم وجماعة من أهل الأدب إلى أنّه على المدح لأنّ الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن (٤) .

هـ/ يقال في اللسان عشر خصال : أداة يظهرها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل به القضاء ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تقضى به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وواعظ ينهى به عن القبيح ، ومعرّ تسكن به الأحزان ، وملاطف تذهب به الضغينة ، ومؤنّق يلهي الأسماع (٥) .

و/ قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طول الجسم ، وضخم الهامة ، ورحب الشدق ، وبعد الصوت (٦) .

-
- (١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٥ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٦٨ .
- (٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٥ . ولباب الآداب ، ص ٢٧٣ . وقد نسب القول فيه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
- (٣) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (ما جاء في الشعر) ، حديث رقم (٤٣٥٦) .
- (٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٧ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٦ .
- (٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٧ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
- (٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٨ . والبيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، ج ١ ، ص ١١٣ .

٣/ ما جاء حكاية في ذمّ حشو الكلام :

أ/ قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت لنا بدعوات ، فقال : اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا ، فقال له رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ، فقال : أعوذ بالله من الإسهاب (١) .

ب/ قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز وقد عزله : لم عزلتني ؟ قال : بلغني إنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين (٢) .

ج/ تكلم ربيعة الرأي (٣) يوماً فأكثر الكلام ، فاعجبته نفسه وإلى جانبه أعرابي فقال له : يا أعرابي ما تعدون البلاغة ؟ فقال : قلّة الكلام ، قال : ما تعدون العي فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم (٤) .

د/ ذمّ أعرابي رجلاً فقال : هو من يتامى المجالس ، أعيما ما يكون عند جلسائه أبلغ ما يكون عند نفسه (٥) .

٤/ ما جاء حكاية في ارتجاج الكلام :

أ/ صعد عثمان بن عفان رضي الله عنه المنبر فارتجّ عليه ، فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم لإمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال (٦) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦٠ . والبيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦١ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٣) هو : ربيعة بن فروخ التيمي ، إمام حافظ فقيه ، من أصحاب الراي ، من أهل الحديث ، وهو صاحب الفتوى بالمدينة ، من تلامذته الإمام مالك ، توفي بأرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . الأعلام ج ٣ ، ص ١٧ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦٢ . والبيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦٣ . والعقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، شرحه وضبطه ، أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ، ط ٢ ١٩٥٢ م ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ .

(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٧٣ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ص ٣٧ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

ب/ أرتج على خالد بن عبد الله القسري على منبر الكوفة ، فقال : إنَّ هذا الكلام يجيء أحياناً ، ويعزب أحياناً ، ويسهل عند مجيئه ، ويعسر عند عزوبه وربّما طلب فأبى ، وكوبر فعصى ، فالتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه ، وهو يختلج من الجريء جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع ، ولا يكسره النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله (١) .

ج/ خطب رجل من الأزد أقامه زياد على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر قال : الحمد لله ... فارتج عليه ، فقال : والله هممت ألا أحضر اليوم ، فقالت لي امرأتي نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها ، فأطعتها ، فوقفت بينكم هذا الموقف فاشهدوا إنّها طالق ، فقالوا له : أنزل قبّحك الله (٢) .

د/ صعد عتاب بن ورقاء (٣) منبر أصبهان ، فحمد الله ، ثمّ ارتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد ، أمّا بعد ، ... وقبالة وجهه شيخ أصلع ، فقال : أمّا بعد يا أصلع فوالله ما غلطني غيرك ، عليّ به ، فأتني به ، فضربه أسواطاً (٤) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٧٤ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٧٤ . محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٣٨ . والبيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

(٣) هو : عتاب بن ورقاء الشيباني ، اشتهر بأخبار العرب وأيامها وأشعارها ، توفي سنة ٢٥٠هـ الوافي بالوفيات ، ج ١٩ ، ص ٢٨٨ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٧٥ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٣٨ . والبيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

٥/ ما جاء حكاية في الأجوبة المسكتة وحسن البديهة :

أ/ دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : صف لنا الخمر ، فلمّا وصفها ، قال له عبد الملك : لقد اتهمك عندي حسن وصفك لها ، فقال : يا أمير المؤمنين واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها ^(١) .

ب/ دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشي وقارب الخطر ، فقال له المنصور : كبرت سنّك يا معن ؟ قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنّك مع ذلك لجلد ؟ قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنّ فيك لبقية ؟ قال : هي لك يا أمير المؤمنين ^(٢) .

ج/ قيل للأصمعي : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذي أريده لا يؤاتيني والذي يؤاتيني لا أريده ، أنا كالمسن أشخذ ولا أقطع ^(٣) .

د/ قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال : إنّك أشبه الناس بإبليس قال : وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيّد الجن ^(٤) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٤ . وعيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الدينوري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، طبعة دار الكتب ، مصر ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٥ . وأخبار الأذكياء لأبي الفرج ابن الجوزي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٥٩ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٦ . والعقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٦ . وانظر : كتاب الحيوان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ج ٦ ، ص ١٧٠ .

هـ/ قال الأحوص ^(١) للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك ^(٢) .

و/ قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : في النار مفترشاً عمته حمالة الحطب ، وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية بن عبد شمس ^(٣) .

ز/ سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها له ، فاستعان عليه بمولاة له فقضى حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ، فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها ^(٤) .

ح/ اشتكى عبد الله بن صفوان ^(٥) ضرسه ، فأتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال : وجع الضرس ، فقال : أما علمت ما يقول إبليس ؟ قال : لا ، قال : يقول : دواؤه الكسر ، قال إنما يطيع إبليس أولياؤه ^(٦) .

(١) هو : الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ويعدّ من السابقين الأولين إلى الإسلام ، نفاه عمر بن عبد العزيز إلى اليمن . الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٥١٨ .
(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٧ . وعيون الأخبار ج ٤ ، ص ١١٠ . وفيه سأل رجل الفرزدق ، وليس الأحوص .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٧ . والعقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٠ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٥) هو : عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، رئيس مكة ، شجاع من أصحاب عبد الله بن الزبير ، ولد في حياة النبي ، وقتل بمكة سنة ٧٣هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٠ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

ط/ قال أبو جعفر المنصور ، لأبي جعونة العامري من أهل الشام : ألا تحمدون الله بأننا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟ قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون (١) .

ي/ قال الفرزدق لكثير عزة وقد أنشد ، ما أشبه شعرك بشعري ! أفكانت أمك أنت بالبصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبي أتاها ، ونزل في بني دارم (٢) .

ك/ قال رجل من بني عجل لأبي الروحاء الشاعر بهمذان : ممّن الرجل ؟ قال من العجم ، قال العجلي : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمّه رجل من العرب ، فقال أبو الروحاء : على هذا القياس فإنّ كل من لم يقل الشعر من العرب ، فقد نزا على أمّه رجل من العجم (٣) .

ل/ سأل رجل من الشعراء رجل من المتكلمين بين يدي المأمون فقال : ما سنّك ؟ قال : عظم ، قال : لم أرد هذا ، ولكن كم تعدّ ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأزيد ، قال : لم أرد هذا ، ولكن كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى عليّ شيء لأهلكني فضحك المأمون ، فقل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول : كم مضى من عمرك (٤) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠١ . والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١٩٢٩ م ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٣ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٣ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٤ . وانظر : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

م/ دخل المعتصم على خاقان عائداً ، فقال للفتح بن خاقان ^(١) : أيما أحسن :
دار أمير المؤمنين أم دار أبيك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين في دار أبي ، فدار أبي
أحسن ^(٢) .

٦/ ما جاء حكاية في المدح :

أ/ قال الشعبي ^(٣) : لما مات علي بن أبي طالب عليه السلام ، قام ابنه الحسن على
قبره فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نعم
أخو الإسلام كنت يا أبي ، جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب
حين الغضب ، وترضى حين الرضى ، عفيف النظر ، غضيض الطرف ، لم تكن
مداحاً ولا شتاً ، تجود بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على
الضراء ، مشاركاً في النعماء ، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش ^(٤) .

ب/ وصف أبو مهدية الأعرابي قوماً فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة
ولم تغرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسوييف الذي قطع الناس
به مسافة آجالهم ، فزلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال
وشفعوه بالفعال ^(٥) .

(١) هو : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان ، الإشبيلي ، له " كتاب قلائد العقيان " كان كثير الأسفار ، مات قتيلاً سنة ٥٣٥هـ ، بمراكش . وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٦١ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٤ ، ص ٥٩٦ .

(٣) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، راوي من التابعين ، يضرب به المثل لحفظه ، ولد ونشأ بالكوفة سنة ١٩هـ ، من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة ١٠٣هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠١ . وانظر : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ . وفيه ورد هذا القول في تأبين السيدة عائشة ، لسيدنا أبي بكر الصديق .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٩ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

ج/ أثنى عمرو بن زياد العنكي ، على الحجاج بن يوسف ، عند عبد الملك ابن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين هو سيفك الذي لا ينبؤ ، وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم ، وكان الحجاج يقصيه ، فلما قال ذلك أدناه ^(١) .

٧/ ما جاء حكاية في الذم :

أ/ قيل لأعرابي : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضي بالعشوة ، ويأكل الرشوة ويطيل النشوة ^(٢) .

ب/ ذم أعرابي رجلاً ، فقال : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف وإذا حدّث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تتظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حقود ^(٣) .

ج/ مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في ريبة ، فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلّا في الشر ^(٤) .

د/ قال أعرابي : أتيت بغداد ، فإذا ثياب أجواد على ألأم أجساد ، إقبال حظّهم إدبار حظوظ الكرام ، شجر فروعه عند أصوله ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر ^(٥) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥١٠ . والبيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨٤ . والمستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢١ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٥١ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ . والعقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ .

٨/ ما جاء حكاية في العقل والحمق :

أ/ افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : أتفتخران بأجساد بالية وأرواح في النار ؟ إن لم يكن لكما عقل ، فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلق ، فلكما شرف ، وإن لم يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالحمار خير منكما ، ولستما خير من أحد ^(١) .

ب/ قال أيوب بن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، أحمق ، فاجر ، فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعي وإن كلّم أجاب ، والأحمق إن تكلم عجل ، وإن حدّث وهل ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، وأما الفاجر فإن اتّمنته خأنك ، وإن صحبتته شأنك ^(٢) .

ج/ قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟ قال : أنا حسود حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليس شرّ من هاتين ^(٣) .
د/ قيل لزرعة بن ضمرة : متى عقلت ؟ قال : يوم ولدت ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : منعت الثدي فبكيته ، وأعطيتها فسكت ^(٤) .

٩/ ما جاء حكاية في أجوبة الحمقى :

أ/ استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً ، فقال : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أُمي ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله أترونيه لو زيد فعل ! ^(٥) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ . والعقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ . وكتاب الحيوان ، ج ٧ ، ص ٥٦ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ . والبيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ . وعيون

الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

ب/ قال أبو عبيدة : أجريت الخيل ، فجاء فرس منها سابق ، فإذا رجل من النظارة يكرّ ويثب من الفرّح ، فقال له رجل إلى جنبه : أهذا الفرس فرسك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لجامي ^(١) .

ج/ قال أبو كعب القاص ^(٢) : إنّ اسم الذئب الذي أكل سيدنا يوسف كذا وكذا قالوا له : إنّ يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف ^(٣) .
د/ رفع رجل من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق فسأله الوالي عن قوله الذي نسب به إلى الزندقة ، فقال : هو مرجي قدري ناصبي رافضي من الخوارج ، يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل علي بن العاص ، فقال له الوالي : ما أدري على أيّ شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب ^(٤) .

هـ/ دخل رجل من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم فقال : أصلح الله الشيخ ، لقد سمعت في السوق الساعة شيئاً منكراً ، ولا ينكره أحد قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتهم يشتمون الأنبياء ، قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟ قال سمعتهم يشتمون معاوية ، قال : يا أخي ليس معاوية بنبي ، قال : فهبه نصف نبي ، لم يشتم ^(٥) .

و/ قال عمرو بن بحر : ذكر لي شيخ من الإباضية أنّه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً ، فغضب وشتهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً ، قال : فأتيته يوماً وسألته عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنهم ، فقال : لمكان الشين في أول الكلمة ؛ لأنّي لم

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ . وعيون الأخبار ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٢) هو : كعب بن معدان الأشقري ، فارس وشاعر وخطيب ، له خبر مع الحجاج ، توفي سنة ٨٠ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٨٦ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥١ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥١ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٤ ، ص ٤١٨ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ .

أجد ذلك قط إلا في مسخوط ، مثل شوم وشر وشيطان وشيخ وشح وشغب وشعب وشرك وشتم وشقاق وشين وشخط وشوك وشكوى وشنآن ، فقلت له : إنَّ هذا كثير ما أظنَّ أنَّ القوم يقيم الله لهم علماً مع هذا أبداً ^(١) .

ز/ رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمار طاحونة في عنقه جلجل في حانوت طحآن ، فقال له صاحبه : ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل ؟ فقال أنا مشغل في علاجي وطلب معيشتي خارج الحانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحركه للمشي ، فقال له معاوية : أرايت إن وقف الحمار وحرك رأسه فتحرك الجلجل ؟ قال الطحآن ، ومن لحمار بمثل عقل الأمير ^(٢) .

ح/ سلم فزارة ^(٣) صاحب المظالم بالبصرة على يسارة في الصلاة ، فقيل له في ذلك ، فقال : كان على يميني رجل لا أكلمه ^(٤) .

و/ تقدّم رجل مع خصمه إلى قاضٍ ، فقال : أصلح الله القاضي ، لي عند هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا ، فقال القاضي لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك ؟ قال : لا أعرف شيئاً فيما يقول ، وأنا منكر لما يدّعيه ، فقال للمدّعي : هات بيّنة إن كان لك ، فأثاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟ قالوا : نشهد إن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا ، فقال لهما : قد قبلتكما ، قم يا زاني ابن الزانية ، فأدّ ما شهدا به ، فقال : أيّها القاضي إن كان هؤلاء استحلّوا قذفي ، وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي استحللت به أنت ذلك

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٥٦ . وكتاب الحيوان ج ٣ ، ص ٢٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ . والبيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٦١ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٣) هو : فزارة بن ذبيان بن بغيض ، من غطفان ، تفرّع نسله عن خمسة من أبنائه (مازن وسعد وعدي ، وظالم ، وشمخ) وتفرّقت بطونهم في نجد . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ .

مني ؟ فقال القاضي : والله يا أخي ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك لأنك لم تتكرر ذلك على خصمك ولا على شاهديه (١) .

ز/ ولي رجل مقل قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحّي به ، فشكا لزوجته ، فقالت : لا تغتمّ فإنّ عندي ديكاً قد سمّنته ، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه ، وعند يوم الأضحى أرادوا الديك للذبح فطال على سقوف الجيران ، وعلم الجيران الخبر ، وكانوا مياسير ، فرقّوا للقاضي ورثوا لقلّة ذات يده ، فاهدى إليه كل واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره كباش كثيرة ، وهو في المصلّى لا يعلم ، ولمّا صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي ، قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت : أهدى إلينا فلان وفلان حتى سمّت جماعتهم ، ما ترى ؟ قال : ويحك احتفظي بديكنا هذا فما فدي إسماعيل بن إبراهيم إلا بكبش واحد ، وقد فدي ديكنا بهذا العدد (٢) .

١٠/ ما جاء حكاية من مباح المزاح :

أ/ قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : قلت لأشعب (٣) : أنت شيخ كبير فهل رويت شيئاً من الحديث ؟ قال : بلى ، حدثني عكرمة (٤) عن ابن عباس عن

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ . والعقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٤٣٨ .

(٣) هو : شعيب بن جببر ، ولد سنة ٩ هـ ، وهو خال الأصمعي ، وهو مولى ، عمّر طويلاً واشتهر بالطمع والطرف والغناء . وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .

(٤) هو : عكرمة مولى بن عباس ، سمع من عبد الله بن عباس ، وأبا سعيد وعائشة ، وأبا هريرة وعن جماعة من التابعين ، أصله من الخوارج ، توفي سنة ١٠٦ هـ . معجم الأدباء ج ٤ ، ص ١٢٢٧ .

النبى ﷺ إنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة قلت : وما هما قال : نسيت أنا واحدة ونسي عكرمة الأخرى (١) .

ب/ كان بعض أمراء خراسان يتشاعم بالحول ، فمتى رأى أحولاً ضربه بالسياط ، وربما ضرب بعضهم خمسمائة سوط ، وحدث إنه ركب في بعض الأيام فرأى أحولاً ، فأمر بضربه ، وكان الأحول جلدأ ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأمير أصلحك الله لم ضربتني ؟ قال : لأنني أتشاعم بالحول ، قال : فأيتنا أشدّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتني ولم يصيبك إلا خير وأنا رأيتك فضربتني خمسمائة سوط ، فأنت إذاً أشدّ شؤماً ، فاستحى منه ولم يضرب بعده أحداً (٢) .

ج/ كانت في سعيد بن فروخ بن القطان والد يحيى بن سعيد (٣) الفقيه غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقي رجل من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن ورجع إلى منزله (٤) .

د/ قال الأصمعي : قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمرة ، فباعها كلها إلا السود منها لم تنفق ، وكان صديقاً للدارمي الشاعر المشهور ، فشكا له ذلك ، وقد كان الدارمي قد تنسك وترك الشعر والغناء ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنني سأنفقها لك وتبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ . والعقد الفريد ، ج ٦ ، ٤٣١ . وفيه حدثني نافع عن ابن عمر بدلاً عن عكرمة .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ . والمستطرف في كل فنّ مستطرف ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري ، قاضي من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة وقاضياها ، توفي سنة ١٤٣ هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ .

قل للمليحة في الخمار الأسود

ماذا صنعت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه

حتى عرضت له بباب المسجد

ردّي عليه صيامه وصلاته

لا تقتليه بحق دين محمد (١)

فشاع قول الدارمي هذا في الناس ، وقالوا : رجع الدارمي عن نسكه وعاد إلى مجونه ، فلم يبق في المدينة امرأة إلا ابتاعت خماراً أسوداً ، حتى نفذ ما كان منها مع التاجر الكوفي ، ولما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد (٢) .

هـ/ طويس (٣) الذي تضرب به العرب المثل في الشؤم ، هو رجل من أهل المدينة مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وهو أول من أظهر الخنا والمجون بالمدينة ، وكان مغنياً يضرب الدف ، سئل يوماً عن مولده ، فقال : ولدت يوم مات النبي ﷺ ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي يوم قتل علي بن أبي طالب (٤) .

و/ مرّ بالشعبي يوماً رجلاً يجرّ حماراً ، فقال له : ما اسمك يا رجل ؟ قال : وردان ، قال : وما اسم حمارك ؟ قال : عمران ، قال الشعبي : وآ خلافاه (٥) .

(١) الأبيات في العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ . والعقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) هو : عيسى بن عبد الله ، مولى لبني مخزوم ، يضرب به المثل في الشؤم ، توفي سنة ٩٢ هـ وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦١ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦١ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٩ . وفيه اسم الرجل وثّاب ، وكلبه عمرو .

ز/ قال الرياشي ^(١) : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال رمضان ، فرآه رجل منهم ، ولم يزل يومي إليه حتى رآه غيره وعاینوه ، فلمّا كان هلال الفطر جاء الجار إلى ذلك الرجل ، فدقّ عليه الباب ، وقال له : تعال أخرجنا ممّا أدخلتنا فيه ^(٢) .

١١/ ما جاء حكاية في مكارم الأخلاق والسؤدد :

أ/ خطب ثلاثة إخوة من العرب ثلاث بنات له ، فقال : مرحباً بكم لا أزمّ عهدكم ، ولا أستطيع ردّكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق ، فقال الأكبر : الصون للعرض ، والجزاء بالقرض ، وقال الأوسط : النهوض بالثقل ، والأخذ بالفضل وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد ، قال : أحسنتم في الجواب ووفقتم إلى الصواب ^(٣) .

ب/ قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحبّ : صدق في الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، وحماية للجار ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وقرى الضيف ، والوفاء بالعهد ورأسهنّ كلهنّ الحياء ^(٤) .

(١) هو : أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي ، النحوي اللغوي ، راوية ثقة ، عارفاً بأيام العرب ولد بالبصرة ، وقتل بها سنة ٢٦٥هـ . وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٩ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦٦ . وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. يوسف على طویل ، ود. مريم قاسم طویل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٤٣١ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٠١ - ٦٠٢ . وانظر : محاضرات الأدباء

ج/ قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه : إنّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ولكن أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضي حقوقكم وأحفظ حرمتكم ، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ، ومن زاد عليّ فهو خير مني ، ومن زدت عليه فأنا خير منه ، قيل له : يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضتهم على مكارم الأخلاق (١) .

د/ قيل لبعض الأعراب : من السيّد فيكم ؟ قال : الأحمق في ماله ، الذليل في عرضه ، المطرّح ، المعتني بأمر عامته (٢) .

١٢/ ما جاء حكاية في الثقلاء والطفيليين :

أ/ قال حمّاد بن سلمة : كنّا عند الأعمش ، فجاء زائدة بن قدامة ، فقال الأعمش حين رآه :

وما الفيل تحمله ميتاً

بأنقل من بعض جلاّسنا (٣)

ب/ مرض ذات مرّة الأعمش ، فعاده أبو حنيفة فقال : يا أبا محمد لولا إنه يثقل عليك لعدتك كل يوم ، فقال الأعمش : والله إنّك عليّ لتثقل وأنت في بيتك فكيف إذا عدتني (٤) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ . وانظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ . وعيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٤ . والعقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ . وفيه القول لعامة الثقلاء ، وليس لزائدة بن قدامة .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ . والعقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

ج/ قال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة :
محادثة الأخوان ، وأكل القديد ، وحكّ الجرب ، وأزيدكم واحدة : الوقعة في الثقلاء
وأنشد :

ليتني كنت ساعة ملك المو

ت فافني الثقال حتى يبيدوا (١)

د/ قال عبد الأعلى بن مسهر : كان نقش خاتم أبي : " أبرمت فقم " فكان إذا
استنقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه (٢) .

هـ/ سلمّ ثقل على إبراهيم بن عبد الله القاري ، صاحب هارون ، فقال له :
يا هذا والله قد بلغت مني غاية الأذى ، أسلفني سلام شهر وأرحني منك (٣) .
و/ دقّ طفيلي باب دار قوم فيها طعام ، فقيل : من هذا ؟ فقال : أنا الذي كفاكم
مؤونة الرسول (٤) .

١٣/ ما جاء حكاية في وصف النساء بالحسن :

أ/ كتب الحجاج بن يوسف إلى محمد أخيه وهو أمير على اليمن : أن اخطب
على ابني امرأة حسناء من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ذليلة في
نفسها ، أمة لبعْلِها ، فكتب إليه : قد أصبتها لك ، وهي خولة بنت مسمع ، على عظم
ثديها ، فكتب إليه : إنّ المرأة لا يحسن صدرها حتى يعظم ثدياها (٥) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٦ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٤ ، ص ٧٠٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٨ . والعقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ . ومحاضرات
الأدباء ، ج ٣ ، ص ٣١ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٨ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤٢ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥ . والبيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٨ .

ب/ وصف أعرابي النساء ، فقال : طعائن في سوافهنّ ، طول غير قبيحات العطول ، إذا مشين أسبلن الذبول ، وإذا ركن أنقلن الحمل (١) .

ج/ قال ابن شبرمة (٢) : سمعت محمد بن سيرين يقول : ما رأيت على رجل لباساً أزين من فصاحة ، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم (٣) .

د/ قال بعض حكماء أهل الأدب : كمال حسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها شديدة البياض ، وأربعة أشياء شديدة السواد ، وأربعة أشياء شديدة الحمرة وأربعة أشياء مدوّرة ، وأربعة ضيّقة ، وأربعة دقيقة ، وأربعة عظيمة ، وأربعة صغاراً ، وأربعة طيّبة الريح : أمّا الأربعة الشديدة السواد ، هي شعر الرأس والحاجبين والحدقة والأهداب ، وأمّا الشديدة الحمرة هي اللسان والشفتان والوجنتان واللثة ، وأمّا المدوّرة هي الرأس ، والعين ، والساعد ، والعرقوبان ، وأمّا الواسعة هي الجبهة ، والعين ، والصدر ، والوركين ، وأمّا الضيّقة ، هي المنخران والأذنان ، والسرّة ، والفرج ، وأمّا الصغار هي الأذنان ، والفم ، واليدان ، والرجلان وأمّا الرقاق هي الحاجب ، والأنف ، والشفتان ، والخصر ، وأمّا الطيّبة الريح هي الأنف والفم والإبط والفرج ، وأمّا العظيمة فهي الهامة ، والمنكبان ، والأضلاع والعجز (٤) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج٣ ، ص ٥ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ص ٧٢٤ .

(٢) هو : عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان ، الضبي ، الإمام العلامة ، فقيه العراق ، وقاضي الكوفة ، حدّث عن أنس بن مالك ، وحدّث عنه الثوري ، ظلّ مختفياً من عيسى بن موسى . ومات بخراسان ، سنة ١٤٤هـ . سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص ٤٢٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج٣ ، ص ٦ . وعيون الأخبار ، ج٤ ، ص ٣٠ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج٣ ، ص ١٣ - ١٤ . ومحاضرات الأدباء ، ج٣ ، ص ٣١٠ .

المبحث الرابع الأبيات النادرة

تمهيد

يعدّ كتاب " بهجة المجالس " موسوعة أدبيّة شاملة لعالم أندلسي كبير ، اشتهر في تاريخ الأدب الأندلسي ، كما اشتهر بين معاصريه بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنّه في الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلاً موسوعي الثقافة وافر الإطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرّق في إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعي حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله وألّف فيهما من المؤلّفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنّه لا يحسن غيرهما كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم .

والأدب من بين هذه المعارف يحتلّ عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو في رأيه يلي في المرتبة كتاب الله وسنّة رسوله الكريم ، فأودع في كتابه هذا كل مختار منتقى من مآثور الأدب نظماً ونثراً ، ممّا كان سائداً للمذاكرة في مجالس العلماء في عصره من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتي كتابه " بهجة المجالس " تراثاً قيماً ، وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ويحرص عليه طول حياته .

وكتاب بهجة المجالس من حيث المنهج فإنّه بسيط لا تعقيد فيه إذ إنّ المؤلّف قسمه إلى أبواب كلّ منها يضمّ معنى من معاني الدين أو الدنيا ، ويورد المؤلّف في أيّة معنى من أشعار العرب ، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم ما قيل شعراً في هذا المعنى أو اتصل به ، فجعلها أبياتاً شعريّة نادرة ؛ لاتصالها بتلك المعاني وخدمتها لها .

والأبيات الشعرية النادرة في الكتاب عديدة ، جيء بها لتوثق المعنى المتحدّث عنه ، فحللتها ، وترجمت لبعض شعرائها .

١/ ما جاء شعراً في باب أدب المجالسة وحقّ الجليس الصالح :

أ/ قام ثعلب النحوي لصديق قصده ، قائلاً :

لئن قمت ما في ذاك منها غضاضة

عليّ وإنّي للكرام مذلّ

على أنّها مني لغيرك هجنة

ولكنّها بيني وبينك تجميل (١)

أي إنّ قيامي لك في المجلس لا يشينه شيء ؛ لأنّك كريم ، وأنا أخلص للكرماء ، وقيامي لغيرك عيب لا أرضاه .

ب/ قال كشاجم (٢) :

وجليس لي أخي ثقة

كأنّ حديثه خبره

يسرّك حسن ظاهره

وتحمد منه مختصره

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٤ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٣٨ . وهذه الأبيات منسوبة فيه إلى محمد بن يزيد . وجاءت كلمة (للشريف) بدلاً عن (للكرام) .

(٢) هو : محمود بن الحسين ، شاعر متقن من شعراء سيف الدولة ، لقبه كشاجم ، من علوم كان يتقنها ، الكاف : للكتابة ، والشين : للشعر ، والألف : للإنشاء ، والجيم : للجدل ، والميم : للمنطق ، توفي سنة ٣٦٠ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٧٩ .

ويستر عيب صاحبه

ويستر أنه ستره (١)

جليسي ذو ثقة وحديثه يشبه الخبر الفال ، تجد الجمال فيه ظاهراً وتتلذذ بما يختصره ، وأيضاً هو يستر عيب صديقه ، ويستر عنك إنه ستره .

ج/ قال البعيث بن حريث :

وإن مكاني في الندى ومجلسي

له الموضع الأقصى إذا لم أقرب

ولست وإن قربت يوماً ببائع

خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب

ويعتده قوم كثير تجارة

ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي (٢)

أنأى في المجالس بعيداً ، وحتى إذا اقتربت يوماً لا يكون ذلك مقابل التخلي عن خلقي الحسن ، مع أن آخرين يرون ذلك نصر ، وأنا أراه نقيصة للمرء .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٥ . ونهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥ ، القاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٧ وفيه جاءت كلمة (ندمان) بدلاً عن (جليس) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٧ . والمؤتلف والمختلف ، تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء التراث العربي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، القاهرة ، ص ٧٢ . وقد جاء البيت الأول :
وإن مسيري في البلاد ومنزلي

للمنزل الأقصى إذا لم أقرب

وفي البيت الثاني : جاءت كلمة (لا قومي) بدلاً عن (لا ديني) .

د/ قالت الخنساء :

إنّ الجليس يقول القول تحسبه

خيراً وهيّات فانظر ما به التمساً ^(١)

أي احترس من حديث جليّسك الذي تظنّه خيراً لك ، وهو غير ذلك .

هـ/ قال عبد الله بن الأعرابي :

لنا جلساء ما نمل حديثهم

ألباء مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة

ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا

فإن قلت أموات فلست بكاذب

وإن قلت أحياء فلست مفندا ^(٢)

الكتب جلساء مأمونون يخبرونا بعلم من مضوا من أصحاب العقل والرأي

وهم صادقون نثق فيهم ، وهم مضوا ولكن علمهم لا زال حياً ينتفع به ؛ لأنهم أحياء

بيننا .

و/ قال محمد بن بشير ^(٣) :

فصرت في البيت مسروراً تحدّثني

عن علم ما غاب عني في الورى الكتب

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥١ . ومعجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)

ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق د إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ج ٦ ، ص ٢٥٣٣ .

(٣) هو : محمد بن بشير بن محمد ، أبو بكر المعافري ، قاضي أندلسي ، من أهل باجة ، ولي

القضاء فيها ، وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

فرداً تخبرني الموتى وتتطق لي

فليس لي في أناس غيرهم أرب (١)

مكثت في البيت أطلع الكتب سعياً ، وهي تخبرني عن علم السابقين
ولا رغبة لي في جليس غير الكتب .

٢/ ما جاء شعراً في باب حمد اللسان وفضل البيان :

أ/ قال حسان بن ثابت :

لساني وسيفي صارمان كلاهما

ويبلغ ما لا يبلغ السيف مزودي (٢)

مزودي : لساني ، من زاد به عن العرض ، أي أنّ في لساني وسيفي الحدة
كلّها ، وقد يكون لساني أكثر حدة من السيف .

ب/ قال جرير بن عطية :

وليس لسيفي في العظام بقية

ولا السيف أشوى وقعة من لسانيا (٣)

يعمل سيفي في العظام فيفتتها ، ولكنه لا يبلغ مبلغ لساني .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٢ . وكتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ٩٥ . وفيه عجز البيت
الأول (جار البراءة لا شكوى ولا شغب) وفي عجز البيت الثاني (عن علم ما غاب عني منهم
الكتب) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٦ . وديوان حسان بن ثابت ، دار صادر للطباعة والنشر
بيروت ، ١٩٦٦م ، ص ٧٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٦ . وديوان جرير ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار
بيروت للطباعة والنشر ، ص ٥٠١ .

ج/ قال الخليل بن أحمد :

أيّ شيء من اللباس على ذي السرو

أبهى من اللسان البهي (١)

لا شيء أبهى وأجمل لصاحب المروءة في شرف من عذب حديثه .

د/ قال أبو تمام :

ومما كانت الحكماء قالت

لسان المرء من خدم الفؤاد (٢)

لأنّ اللسان يترجم عنه ، أي عمّا فيه ، ويذمه في إبانة ما يكتمه ويطويه .

هـ/ قال الأخطل :

حتى أقروا وهم مني على مضض

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر (٣)

أي إنّهم رضخوا ووافقوا على حديثي ، وقد يكون للحديث حدّاً لا تبلغه الإبر
الحادة وذلك لحسن موقعه .

و/ قال امرؤ القيس :

ولو عن نثا غيره جاءني

وجرح اللسان كجرح اليد (٤)

أي إنّ الإنسان يبلغ بلسانه وقوله من هجاء وضم كما يبلغ السيف إذا
ضرب به .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨ . وديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد
عبد عزام ، دار المعارف ، ١٩٦٤م مصر ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٩ . والبيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٩ . وديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٤ ، مصر ، ص ١٨٥ .

ز/ قال ابن أبي حازم :

أوجع من وقعة السنان

لذي الحجا وخزة اللسان (١)

أي إنّ وقع أسنة الرماح على صاحب العقل أهون عليه ممّا يأتي به اللسان .

٣/ ما جاء شعراً في باب ذمّ العي وحشو الكلام :

أ/ قال أحمد بن إسماعيل الكاتب :

خير الكلام قليل

على كثير دليل

والعي معنى قصير

يحيوه لفظ طويل (٢)

أي إنّ أفضل الكلام قليل ، يدلّ على معنى كثير ، وإنّ أقبح الكلام ما قلّ معناه وطال لفظه .

ب/ قال منصور الفقيه :

تعمّد لحذف فضول الكلام

إذا ما نأيت وعند التداني

ولا تكثرن فخير الكلام الـ

قليل الحروف الكثير المعاني (٣)

أي إذا أردت إصابة المعنى وتقريبه لا تكثرن في الحديث ، فالأفضل من الحديث إصابة المعنى بإيجاز .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٥٩ . وعيون الأخبار ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦١ . العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦١ ، وانظر : محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٥٨ .

ج/ قال أبو العتاهية :
الصمت أليق بالفتى
من منطق في غير حينه
لا خير في حشو الكلام
إذا اهتديت إلى عيونه (١)
أي إنّ الصمت أجمل بالفتى من حديث في غير موضعه ، ولا طائل من حشو
الكلام إذا أُلِّمَّت بالمختصر منه .
د/ قال الخشني (٢) :
وما العي إلا منطق متتابع
سواء عليه حقّ أمر وباطله (٣)
أي إنّ أقبح الكلام إرساله على عواهنه سواء إن كان في حقّ أو باطل .
هـ/ قال النمر بن تولب (٤) :
أعزني رب من حصر وعي
ومن نفس أعالجها علاجاً
ومن حاجات نفسي فاعصمني
فإنّ لمضمرات النفس حاجاً (٥)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦١ ، ديوان أبي العتاهية ، دار صادر للطباعة والنشر
دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤م ، ص ٤٤٩ .

(٢) هو : محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني ، من الفقهاء الحفاظ ، ومن كتبه " القضاة
بقرطبة " ، و " أخبار الفقهاء والمحدثين " و " الاتفاق والاختلاف " ، توفي سنة ٣٦٦هـ .
الأعلام ، ج ٦ ، ص ٧٥ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦٢ . ولباب الآداب ، ص ٢٧٥ .
(٤) هو : النمر بن تولب من عكل ، شاعراً جواداً ، جاهلي أدرك الإسلام ، وأسلم وعاش حتى
خرف . الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٦٢ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

أدعو ربي أن يعصمني من الحصر وقبح الكلام ، وأن يعصمني من أطماع نفسي ؛ لأنها تورد إلى الهلاك .

٤/ ما جاء شعراً في باب حمد الصمت وذم المنطق :

أ/ قال هبيرة بن أبي وهب ^(١) :

وإن مقال المرء في غير كنهه

لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها ^(٢)

أي إن إطلاق الكلام من غير ترو يشبه النبل التي تسقط على الجسد بلا هدف .

ب/ قال أبو العتاهية :

من لزم الصمت نجا

من قال بالخير غنم ^(٣)

أي إن النجاة تكون للذي يلزم الصمت ، وإذا تحدّث يقول الخير .

ج/ قال أبو العتاهية :

ألا إن بعد الذخر ذخراً تنيله

وشرّ كلام القائلين فضوله

عليك بما يعينك من كل ما ترى

وبالصمت إلّا عن جميل تقوله ^(٤)

^(١) هو : هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين ، التميمي ، اليربوعي ، شاعر جاهلي ، من فرسان تميم وساداتها . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٦٥ .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٠ . والبيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

^(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٠ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٣٩٤ .

^(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨١ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٣٦٧ . وفيه صدر البيت الأول : (ألا إن أبقى الذخر خير تنيله) .

اطلب الخير تناله ، وإيّاك من فضول الكلام ، فقط الزم ما يعنّيك منه ، وقابله بالصمت أو بحديث حسن .

د/ قال طرفة بن العبد :

وإنّ لسان المرء ما لم تكن له

حصاة على عوراته لدليل ^(١)

أي إنّ اللسان إذا لم يكن لصاحبه رأي وعقل يلجم بهما اللسان يكون دليل على عيوبه .

هـ/ قال منصور الفقيه :

عليك السكوت فإن لم يكن

من القول بدّ فقل أحسنه

فربّما فارقت بالذي تقو

ل أمانها الألسنه ^(٢)

أي الزم الصمت إلّا إذا كان لابدّ من الحديث ، فعليك بأحسنه ، فقد يوردك لسانك للذي لا تحمد عقباه .

و/ قال أحبة بن الجلاح :

الصمت أكرم بالفتى

ما لم يكن عي يشينه

والقول ذو خطر إذا

ما لم يكن لبّ يعينه ^(٣)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٠ . والشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ . والبيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٥٠ . وفيه كلمة (أجمل) بدلاً عن (أكرم) .

ما يزين المرء صمته وقلة حديثه ؛ لأنّ الإسهاب في الحديث خطر على المرء
إذا كان لا عقل له يستعين به .

ز/ قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شيء سواه بخزان^(١)

أي إذا المرء لا يحفظ سرّه ، فهو أحرى بالألّا يحفظ سرّ غيره .

ح/ قال عمّار الكلبي^(٢) :

وقل الحق وإلّا فاصمتن

إنّه من لزم الصمت سلم

إن طول الصمت زين للفتى

من مقال فيه عيّ وبكم^(٣)

قل الحق إن أردت حديثاً أو اصمت تجد السلامة بطول صمتك ، واعلم أنّ

الصمت زين لك من قبح الكلام .

ط/ قال الحسن بن هاني :

إنّما العاقل من ألـ

جم فاه بلجام

مت بداء الصمت خير

لك من داء الكلام^(٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٢ . وديوان أمري القيس ، ص ٩٠ .

(٢) هو : أبو النضر محمد بن السائب بن بشر ، الكلبي ، مفسّر وعلامة إخباري في الأنساب إلّا أنّه شيعي متروك الحديث ، توفي سنة ١٤٦هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ٣٥٨ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٨٥ . وديوان ، أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ص ٥٨٧ . وفيه كلمة (سالم) بدلاً عن (العاقل) .

مدح للعاقل الذي يكف لسانه عن الأذى ويفضّل الموت بمرض الصمت على الموت بداء الكلام .

٥/ ما جاء شعراً في باب الرزق :

أ/ قال ابن أبي الدنيا ^(١) :

ومن ظنّ أنّ الرزق يأتي بحيلة

فقد كذّبته نفسه وهو آثم

يفوت الغنى من لا ينام عن السرى

وآخر يأتي رزقه وهو نائم

فما الفقر في ضعف احتيال ولا الغنى

بكّد وللأرزاق في الناس قاسم

سأصبر إن دهر أناخ بكلّ كل

وأرضى بحكم الله ما الله حاكم

لقد عشت في ضيق من الدهر مدّة

وفي سعة والعرض مني سالم ^(٢)

أي لا تعتقد بأنك تستطيع الاحتيال على الرزق وتتاله عنوة ، فقد يحرم منه الحريص عليه ، ويغتنمه من كان نائماً ، فالأرزاق مقسومة للناس ، وعليك الرضاء بقسمة الله مقسّم الأرزاق ، وإذا ضاق عليك رزقك ، صن عرضك ، فعسى أن يبدّل الله العسر يسراً .

^(١) هو : عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، القرشي الأموي بالولاء ، من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام ، له مؤلفات في الزهد والرفائق ، توفي ببغداد سنة ٢٨١ هـ . الأعلام ج ٣ ، ص ٢٢ .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

ب/ قال سريج بن يونس :
يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا
أتعبت نفسك حتى شَفَّكَ التعب
تسعى لرزق كفاك الله مონته
أقصر فرزقك لا يأتي به الطلب (١)
أي يا باحثاً بكّد عن الرزق ملأك التعب ، أيقن إنّ ما قدره لك الله من رزق لا
محالة آت إليك .

ج/ قال أبو العتاهية :
وفدت إلى الله في وفده
لألتمس الرزق من عنده
إذا ما قضى الله أمراً مضى
لم يقو حيّ على ردّه (٢)
طلبت الرزق من الله ، وإذا أراد الله أمراً قضى ، ولا يستطيع أحد ردّه .
د/ قال عروة بن أذينة (٣) :
إنّي لأعلم والأقدار نافذة
إنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلبه
ولو قعدت أتاني لا يعنيني (٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) هو : عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث ، الليثي ، شاعر غزل ، مقدّم من أهل المدينة
توفي سنة ١٣٠هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٨ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٤٢ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ . وفيه صدر البيت
الأوّل : (وقد علمت وخير القول أصدقه) .

أيقنت أنّ رزقي سوف يأتيّني ، أسعى إليه بعنوة ، فأصاب بالكلل ، ولكن إذا
أسلمت أمري لله ، يأتيّني دون عناء .

هـ/ قال منصور الفقيه :

أرزاقنا مقسومة وهكذا آجالنا

فما تحول بيننا وبينها أحوال ^(١)

الأرزاق مقسمة علينا كالأجال لا نستطيع أن نغيّر ما فيها .

٦/ ما جاء شعراً في باب الحرص :

أ/ قال الخليل بن أحمد :

الحرص من شر أذاة الفتى

لا خير في الحرص على حال

من بات محتاجاً إلى أهله

هان على ابن العم والخال ^(٢)

لا خير في الحرص الذي يزلّ الفتى ، وأنّ الذي يظلّ محتاجاً إلى أهله يهن
على ابن العم والخال .

ب/ قال محمود الوراق ^(٣) :

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً

وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(٣) هو : محمود بن الحسن الوراق ، أكثر من الشعر الحسن في المواعظ والحكم ، مات في خلافة
المعتصم ، سنة ٢٣٠هـ . الوافي بالوفيات ، ج ٢٥ ، ص ١٠٠ .

وإن اعتقاد الهمّ للخير جامع

وقلة همّ المرء تدعو إلى النقص (١)

صاحب النفس الغنيّة يترفع عن الدنيا ، والذي يكون مهموماً بالخير غانم غير الذي لا يهتمّ به ، فتعدّ نقيصة له .

ج/ قال محمود الورّاق :

لا تحمدنّ أخا حرص على سعة

وانظر إليه بعين الماقت القالي

إنّ الحريص لمشغول بشقوته

على السرور بما يحوي من المال (٢)

ذو الحرص لا يجد الثناء ، وإن كان ذو سعة ، بل إنّ شقيّ بما جمعه من مال .

د/ قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو

أزلّ الحرص أعناق الرجال (٣)

حاشا الله من أن يزّل عبده ، ولكن شدة الحرص من الرجل تجلب له الذل .

هـ / قال كشاجم :

بالحرص في الرزق يذلّ الفتى

وفي القنوع الشرف الشامخ (٤)

بحرصك على الرزق تذلّ ، وتجد في القناعة الشرف .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٥٣ . والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٤ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٣٣٧ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

٧/ ما جاء شعراً في باب ذمّ السؤال :

قال أبي دلف العجلي (١) :

بلوت مرارة الأشياء طراً

فما شيء أمرّ من السؤال

ولم أر في الخطوب هولاً

وأصعب من معاداة الرجال (٢)

أي ابتليت بأفزع الأشياء ، ولكنني لم أجد أمرّ من السؤال ، وحتى في الخطوب
لم أجد أقبح من أن تعادي الرجال .

ب/ قال أعرابي :

علام سؤال الناس والرزق واسع

وأنت صحيح لم تخنك الأصابع

وفي العيش أوطار وفي الأرض مذهب

عريض وباب الرزق في الأرض واسع

فكن طالباً للرزق من رازق الغنى

وخلّ سؤال الناس فالله صانع (٣)

استنكار لسؤال الناس فالأرزاق مقسّمة وأنت أهل لها ، وكسب العيش بابه
واسع وفاتح ، فعليك سؤال الله الغنى ، وترك سؤال الناس .

(١) هو : القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، من بني عجل بن لجيم ، أمير وسيّد قومه
وأحد الأجيال الشجعان ، يقول الشعر ويلحنه ، توفي ببغداد ، سنة ٢٢٦ هـ . الأعلام
ج ٦ ، ص ١٣ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦٦ . والمستطرف في كل فن مستظرف
ج ١ ، ص ٢٠٨ . وفيه تقدّم البيت الثاني على الأوّل ، وجاءة كلمة (أشدّ وقعاً) بدلاً عن (هولاً)
وكلمة (أمضى) بدلاً عن (أصعب) وكلمة (ذقت) بدلاً عن (بلوت) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

ج/ قال أبو العتاهية :
أتدري أي ذلّ في السؤال
وفي بذل الوجوه إلى الرجال
يعزّ على التترّه من دعاه
ويستغني العفيف بغير مال
إذا كان السؤال ببذل وجهه
فلا قربت من ذاك النوال
معاذ الله من خلق دنيء
يكون الفضل فيه عليّ لا لي (١)
الذل كل الذل في سؤال الناس لأنّه يضعف الهمة ، كن عفيفاً مستغنياً حتى لو
كنت محتاجاً ، فسؤال الناس يحط من قدر الرجال ويجعلهم أصحاب خلق دنيء .
د/ قال أبو العتاهية :
لو رأى الناس نبياً
سائلاً ما وصلوه (٢)
أي أنّ الناس لو جاءهم نبياً يسألهم لما صدّقوه وواصلوه .
هـ/ قال عبد الصمد بن المعزّل ، حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة ، قالت له
امراته : لو أتيتّه فسألته ، فقال :
تكلفني اذلال نفسي لعزّها
وهان عليها أن أهان لتكرما

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦٩ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٣٦٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦٩ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٤٧٤ .

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم

فقلت سليه ربّ يحيى بن أكثم^(١)

أي تطلب مني أن أدلّ نفسي بسؤال يحيى بن أكثم ؛ لتجد هي النوال ، فقلت لها : بل اسألي الله خالق يحيى بن أكثم .

و/ قال محمود الورّاق :

يا أيّها الطالب من مثله

رزقاً جرت عن الحكمة

لا تطلب الرزق إلى طالب

متلك محتاج إلى الرحمة

وارغب إلى الله الذي لم يزل

في يده النعمة والنقمة^(٢)

نداء للرجل يسأل أخاه رزقاً فنأى بعيداً عن الصواب ، إذ كيف له أن يطلب الرزق من مثله محتاج إلى الله ، وإنّما الحق في طلب الرزق من الله صاحب النعمة والنقمة .

ز/ قال محمود الورّاق :

شاد الملوك قصورهم وتحصّنوا

من كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد تمنّعاً

قد بالغوا في قبح وجه الحاجب

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٧٠ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، أبي إسحاق إبراهيم ابن علي الحصري القيرواني ، شرح د زكي مبارك ، دار الجيل ، ط٤ ، بيروت ، لبنان ج ٣ ، ص ٧٠٩ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن

بادي الضراعة طالباً من طالب (١)

حتى الملوك بنوا قصورهم منيعة كي لا يقصدها السائل من الناس ، وجعلوا لها أبواباً حديدية متينة ، وأوجدوا فيها حاجباً صارماً ، فعليك إن أردت حاجة أن تلتمسها من ملك الملوك رب العالمين .

ح/ قال عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يحرموه

وسائل الله لا يخيب (٢)

أي إن الذي يسأل الناس قد يحرم ، ولكن إذا سأل خالق الناس ينل .

ط/ قال النمر بن تولب :

ومتى تصبك خصاصة فارح الغنى

وإلى الذي يهب الرغائب فارغب (٣)

أي إذا ضاقت عليك ذات اليد فالتمس الغنى من الله .

٨/ ما جاء شعراً في باب المال حمداً وذماً :

أ/ قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال

ولكنّ التقى هو السعيد (٤)

يرى الشاعر إنّ السعادة ليست في جمع المال وإنما في تقوى الله .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٧١ . وعيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٧١ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٧٢ . وعيون الأخبار ج ٣ ، ص ١٨٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٦ . وديوان الحطيئة (أشعار منسوبة للحطيئة)

ص ١٠٧ .

ب/ قال حسّان بن ثابت :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه

لا بارك الله بعد العرض في المال

احتال للمال إن أودى فأجمعه

ولست للعرض إن أودى بمحتال^(١)

يرى الشاعر إنه يصون عرضه بالمال كي لا يتدنّس إذ لا جدوى من المال
والعرض مدّنس ، وهو حريص على جمع المال ليصون به عرضه .

ج/ قال لبّيد :

وما البرّ إلاّ مضمرات من التقى

وما المال إلاّ مضمرات ودائع^(٢)

الإنسان في الحياة لا يملك شيئاً فما بيده من مال ما هو إلاّ ودّعة سرعان ما
تستردّ يوماً .

د/ قال حاتم الطائي :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أماوي إن المال غاد ورائح

ويبقى من المال الأحاديث والذكر^(٣)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٧ . وديوان حسان بن ثابت ، ص ١٩٠ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٧ . وديوان لبّيد ، دار صادر ، بيروت ، ص ٨٩ .
ولبّيد بن ربيعة العامري ، د يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ، طبع مطابع التعاونية اللبنانية
بيروت ، بغداد ، ص ٣٣٤ . وفيه (معمرات) بدلاً عن (مضمرات) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٧ . ونهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٣ ، ص ٦٤ .
وفيه في البيت الأوّل (أماوي) بدلاً عن (عمر) .

أي أن كنز المال والثراء لا يغني المرء إذا حان أجله ، فالمال يجمع ويتلاشى
ويبقى الحديث عنه والذكر .

هـ/ قال عروة بن الورد :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر

وصار على الأذنين كلاً وأوشكت

صلات ذوي القربى له أن تتكرا (١)

إذا المرء لم يكدّ في طلب العيش صار فقيراً يشكو الفقر والصديق ، وينأى
عنه ذوي القربى فيزداد فقراً .

و/ قال الفرزدق :

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً

والمال بعد ذهاب المال يكتسب (٢)

أي إن أخاك قد يمضي ولا تجد مثله أخاً، غير المال الذي بعد ذهابه تستطيع
جمعه .

ز/ قال النمر بن تولب :

خاطر بنفسك كي تصيب رغبة

إنّ الجلوس مع النساء قبيح

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٩ . وديوان عروة بن الورد ، دار صادر للطباعة
والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م ، بيروت ، ص ٤٤ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠٠ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٧٥ . وفيه كلمة
(مكتسب) بدلاً عن (يكتسب) .

فالمال فيه تجلّة ومهابة

والفقر فيه مذلة وفضح (١)

أي ابذل وجهك لتتال المال وتقضي حاجتك ، وذاك خير لك من الجلوس
والمؤانسة مع النساء ، وجمعك المال يجعلك مهاباً ، والفقر يجعلك ذليلاً .

ح/ قال حسّان بن ثابت :

ربّ حلم أضاعه عدم المال

وجهل غطّى عليه النعيم (٢)

قد تتوارى الأحلام والأمانى بسبب عدم المال ، وقد يتدنّر ذو المال الجاهل
بالنعيم .

ط/ قال محمود الورّاق :

ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفتى

ولم أرَ مثل المال أرفع للنزل (٣)

الشاعر يرى إنّ الفقر يحطّ من شأن المرء ، والمال يسمو به حتى الخوؤون
النذل .

ي/ قال محمود الورّاق :

أرى دهرنا فيه عجائب جمّة

إذا استعرضت بالعقل ضلّ لها العقل

أرى كل ذي مال يسود بماله

وإن كان لا أصل هناك ولا فصل

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠٢ . وعيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٣٨ . وفيه كلمة

(غنيمة) بدلاً عن (رغية) ، و(العيال) بدلاً عن (النساء) و(قبوح) بدلاً عن (فضوح) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠٢ . وديوان حسان بن ثابت ، ص ٢٢٥ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠٣ . والبيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٤٥ . وفيه كلمة

(للرذل) بدلاً عن (للنزل) .

وما الفضل في هذا الزمان لأهله

ولكنّ ذا المال الكثير له الفضل

فشرّف ذوي الأموال حيث لقيتهم

فقولهم قول وفعلهم فعل (١)

يرى الشاعر العجائب في الدهر ، حتى إنّ العقل يعجز أن يجد لها تأويلاً
فصاحب المال سيّداً وإن كان لا أصل له ، والفضل في هذا الزمان لغير أصحابه
وإنما لصاحب المال ، فيتهكّم الشاعر منهم ، ويدعو لتحيتهم ؛ لأنّ القول قولهم
والفعل فعلهم في هذا الزمان .

٩/ ما جاء شعراً في باب الضيف :

أ/ قال حسان بن ثابت :

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل (٢)

أي أنست كلابهم بكثرة من يأتيهم ، فلا تهرّ على أحد ، وإنهم في سعة لا
يبالون بمن نزل بهم ، ولا يهم الجمع .

ب/ قال أبو الطمحان القيني (٣) :

وقد عرفت كلابهم ثيابي

كأنّي منهم ونسيت أهلي (٤)

أي إنهم كرماء ولكثرة نزولي فيهم عرفتني كلابهم ، ولجودهم صرت كأنّي
واحداً منهم .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠٤ . وانظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٠ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ . وديوان حسان بن ثابت ، ص ١٨٠ .

(٣) هو : حنظلة بن شرقي القيني ، شاعر رقيق الشعر جيّد . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ . وكتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

ج/ قال امرؤ القيس :
أعرف الحق ولا أجهله
وكلابي أنس غير عقر
ما يرى كلبي إلا أنساً
إن رأى خابط ليل لم يهر^(١)
يفتخر الشاعر بجوده وأنّ كلابه تأنس الناس لكثرة النازلين به ، فهي لا تهرّ
إذا جاء نزيل ليل ؛ لتعودّها على ذلك .
د/ قال حاتم الطائي :
إذا ما بخيل الناس هرت كلابه
وشقّ على الضيف الغريب عقورها
فإنّ كلابي قد أقرّت وعودت
قليل على من يعتريها هريرها^(٢)
أي إنّ البخيل تهرّ كلابه ؛ لأنّها لم تأنس الناس ، وكلابي قد أنست الناس لكثرة
الناس النازلين عندي ، فلا تكاد تسمع لها صوتاً .
هـ/ قال سهل الورّاق :
وضيفك قابله ببشرك وليكن
له منك أباكار الحديث وعونه^(٣)
أي قابل ضيفك بالبشرى والترحاب ، والتلطّف معه بعذب الحديث .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ . والمفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر
وعبد السلام محمد هارون ، ط ٤ ، دار المعارف مصر ، ص ٨٨ . وفيه نسبت الأبيات للشاعر
المرّار بن منقذ ، وجاء فيه (أنكره) بدلاً عن (أجهله) و(أتى) بدلاً عن (رأى) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ . وانظر : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

و/ قال المقتنع الكندي (١) :

وإنني لعبد الضيف ما دام نازلاً

وما شيمة لي غيرها تشبه العبد (٢)

أي إن قيامي بخدمة ضيفي هي شيمتي التي أعتز بها .

١٠/ ما جاء شعراً في باب المعروف :

أ/ قال زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتق الشتم يشتم (٣)

أي إن الذي يصنع المعروف بقي عرضه ، والذي لا يتجنب السب يسب .

ب/ قال أبو تمام :

إن ابتداء العرف مجد باسق

والمجد كل المجد في استتمامه

إن الهلال يروق أبصار الورى

حسناً وليس كحسنة لتمامه (٤)

أي إن صنع المعروف مجد سامي ، وكل المجد إذا كان صنعك المعروف

خالص ، وهذا كالهلال يبلغ منتهى جماله عند اكتماله بديراً .

(١) هو : محمد بن عميرة ، من مشاهير أهل زمانه في الشعر . الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢١٠ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٩ . وانظر: البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٣١٠ . وفيه (ثاوياً) بدلاً عن (نازلاً) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٣ . وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ، ص ٣٠ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٣ . وديوان أبي تمام ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

ج/ قال أبو العتاهية :

أبلّ من شئت ثقّله

عن قليل لفعله

ضاع معروف واضع

العرف في غير أهله (١)

المعروف وإن كان قليلاً عليك أن تضعه في محله اللائق به ، وإلاّ ذهب
أدراج الرياح .

د/ قال الحسن بن هاني :

فامض لا تمنن عليّ يداً

منكّ المعروف من كدره (٢)

لا تمنن : من منّ عليه بما صنع ، ذكره وعدد له ما فعل معه من الخير .

هـ/ قال الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس (٣)

إنّ الذي يعمل الخير، يجد الجزاء الأوفى من الله، ومن الناس على ما صنع .

و/ قال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّداً (٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٦ . وديوان أبي نواس ، ص ٣٠٨ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٧ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٦٩ . والعقد الفريد
ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٩ . والعرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب ، للشيخ
ناصر اليازجي ، ج ١ ، ص ٣٨٧ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

أي في إكرامك الكريم تجد الثناء منه ، ويبادلُك كرماً بكرم ، وإكرامك اللئيم لا طائل منه .

١١ / ما جاء شعراً في باب الغيبة والنميمة :

أ/ قال ابن عبّاد الصاحب :

احذر الغيبة فهي

الفسق لا رخصة فيه

إنّما المغتاب كالآ

كل من لحم أخيه ^(١)

تحذير من الغيبة لأنّها قبيحة مكروهة ، والمغتاب كالذي يأكل في لحم أخيه .

ب/ قال محمود الورّاق :

تحرّ من الطرق أوساطها

وعدّ عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القـ

بيح كصون اللسان عن النطق به

فإنّك عند استماع القبيـ

ح شريك لقائله فانتبه ^(٢)

توخ الحذر واتبع الطريق الآمن ، وابتعد عن المشتبه فيه ، وإيّاك وسماع

القبيح أو التحدّث به فسماعك له يجعلك مشاركاً في القبح .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٩٨ . وديوان الصاحب بن عبّاد ، ص ١٧١ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠١ . ومعجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١١٥٠ . وفيه (توخى) بدلاً عن (تحرّى) .

ج/ قال الفرزدق :

تصرّم عني ودّ بكر بن وائل

وما خلت عني ودّهم يتصرّم

قوارص تأتيني وتحقرونها

وقد يملأ القطر الإناء فيفعم (١)

تقطعّ حبل الوصل بيني وبين بكر بن وائل ، وذلك أمر لم أتوقعه ، فهي مكاره
تصيبني فتزدرونها ، وقد يعظم شأنها .

د/ قال زياد الأعجم (٢) :

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة

وإن أغب فأنت الهامز اللمزه

ما كنت أخشى وإن طال الزمان به

حيف على الناس أن يغتابني غمزه (٣)

إذا رأيتك أجدك تحمل لي مضاحكة ومباشرة ، وإن غبت تكون الغيبة
والنميمة ، وذلك ما أخشاه ؛ لأنه ظلم .

هـ/ قال منصور الفقيه :

هبني تحرّرت ممّن

ينمّ بالكتمان

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ . وديوان الفرزدق ، دار صادر ، ١٩٦٦م

بيروت ، ج ٢ ، ص ١٩٥ . وفيه (الآتي) بدلاً عن (الإناء) .

(٢) هو : زياد بن سليمان أوسليم ، أبو أمامة العبدى ، مولى بني عبد القيس ، من شعراء الدولة
الأموية ، ولد ونشأ في أصفهان ، ومات بخراسان ، سنة ١٠٠ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٩٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

فكيف لي باحتراس

من قائل البهتان ^(١)

أي حتى لو تحرّزت من النّمّام بالسكوت ، فكيف لي أن أحترس من الذي يقول
البهتان .

١٢ / ما جاء شعراً في باب البغي والحسد :

أ/ قال شاعر :

ولو بغى جبل يوماً على جبل

لدكّ منه أعاليه وأسفله ^(٢)

القول في فظاعة البغي والحسد ، فإنّه يزيل ويدكّ حتى الجبال الراسخة .

ب/ قال يزيد بن الحكم :

إنّ الأمور دقيقها

مما يهاج له العظيم

والبغي يصرع أهله

والظلم مرتعه وخيم ^(٣)

أي إنّ الأمور ولو كانت ضئيلة تتفاعل لها الأمور العظيمة ، كما الحسد ؛ فإنّه
يفتك بأصحابه ، والظلم عاقبته وخيمة .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٦ . ونهاية الأرب ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٨ . وانظر : محاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٧٧
وفيه كلمة (يهيج) بدلاً عن (يهاج) ، وكلمة (به) بدلاً عن (له) .

ج/ قال عمر بن أبي ربيعة :

حسد حملنه من أجلها

وقديماً كان في الناس الحسد (١)

هنّ يحملن لها الحسد ، وشأن الحسد قديم .

د/ قال الحسين الخليع (٢) :

وما للحسود وأشياعه

ومن كذب الحق إلاّ الحجر (٣)

أي شأن الحسود وأتباعه ، وكاذب الحق الرجم بالحجر .

هـ/ قال حبيب بن أوس الطائي :

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف فضل عرف العود (٤)

أي أراد بي الحساد شرّاً ، وصار حسدهم نعمة عليّ ، وكذلك كل حاسد ينقلب
شرّه خيراً للمحسود .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٩ . وشرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، ط ٣ ، ١٩٦٥م ، القاهرة ، ص ٣٢١ .
وفيه صدر البيت : (حسد حملنه من شأنها) .

(٢) هو : الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، شاعر من ندماء الخلفاء ، أصله من خراسان
نشأ في البصرة ، شعره رقيق عذب ، اشتهر بمدح المعتصم ، توفي ببغداد سنة ٢٥٠هـ .
الأعلام ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤١٠ . ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
ج ٥ ، ص ١٤٣ . وجاء عجز البيت فيه (وكذب بالوحي إلاّ حجر) .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ . وديوان أبي تمام ، ص ٣٩٧ . ونهاية
الأرب ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

١٣ / ما جاء شعراً في باب الحرب والشجاعة :

أ/ قال امرؤ القيس :

الحرب أول ما تكون فنيّة

تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها وتكرّت

مكروّهة للشمّ والتقبيل^(١)

أي إنّ الحرب في أول أمرها تبدو صغيرة تغري الجاهل ، ومتى ما اشتعل أوارها ، تضخّمت وصارت قبيحة كالعجوز الشمطاء الأصلع رأسها حملت في جوفها كل القبح .

ب/ قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعاً

من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنّك لو سألت بقاء يوم

على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً

فما نيل الخلود بمستطاع^(٢)

الأبيات دعوة إلى الصبر على الحرب ، يقول الشاعر : عليك بالجلد والصبر عليها ، فإن أردت البقاء ليوم بعد انقضاء الأجل ، لا تستطيع ذلك ، فلا شيء غير الصبر على الحرب ، والخلود في الحياة محال .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ - ٤٧٠ . وديوان امرئ القيس ، ص ٣٥٣ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ . وفيه صدر البيت الأوّل (وقولي كلّما جشأت لنفسي) . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

ج/ قال عبد الشارق بن عبد العزّي :

تتادوا يا لبهثة يوم صبر

فقلنا احسني ضرباً جهينا

سمعنا دعوة عن ظهر غيب

فجلنا جولة ثمّ ارعونا

فلما إن توافقنا قليلاً

أنخنا للكلال فارتمينا (١)

نادى كل منّا قبيلته ، فقالوا يا لبهثة وناديننا جهينا بأن تحسن الضرب والقتال أخبرنا بالقتال فتقاتلنا ، ثمّ هدأت الأحوال بيننا ، وكان عند التقائنا ، قد وقف كل منا قبالة الآخر برهة ، ثمّ استوينا على الصدور وتهيأنا للمعركة ، وترامينا بالسهم وتطاعنا بالرماح .

د/ قالت الخنساء :

ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب

بألاً يصاب فقد ظنّ عجزاً (٢)

أي إنّ الذي يعتقد بأنّه في الحرب لا يصاب بأذى ، خاب ظنّه .

هـ/ قال الحارث بن حلّزة :

فرددناهم بضرب كما يخرج

من خربة المزاد الماء

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ . وكتاب الحماسة البصرية ، تأليف العلامة

صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق د عادل جمال سليمان ج ١ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ . وفيه (ملاً) بدلاً عن (ضرباً) و(نبأة) بدلاً عن (دعوة) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ . وديوان الخنساء ، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٣ ، بيروت ، ص ٨٢ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

وفعلنا بهم كما علم الله

وما إنَّ للخائنين دماء ^(١)

أي رددنا هؤلاء القوم بطعن يخرج الدم من جرحه ، خروج الماء من أفواه
القرب وثقوبها ، وفعلنا بهم فعلاً بليغاً ، لا يحيط به علماً إلا الله ، ولم يطلب بثأرهم
ودمائهم .

و/ قال عنتره :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرّم ^(٢)

أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه ، والرماح مولعة بالكرام
لحرصهم على الإقدام ، فكرمه لا يخلصه من القتل .

ز/ قال السمؤال بن عادياء :

يقربّ حب الموت آجالنا لنا

وتكرهه آجالهم فتطول ^(٣)

نحن لا نعيش طويلاً ، فأجالنا قصيرة ؛ لأننا نحبّ الموت ، وهم أعمارهم
طويلة ؛ لشدة كراهيتهم للموت ، وعدم خوض الحروب .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ . وشرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد القيرزوني ، ص ١٤٧ . وكتاب الحيوان ، ج ٦ ، ص ٤١٨ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٧٧ . وديوان عنتره بن شدّاد ، شرح د. يوسف عيد دار الجيل ، ٢٠٠١م ، ص ٢١ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ . وديوانا عروة بن الورد والسمؤال بن عادياء ص ٩١ . ونهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

١٤ / ما جاء شعراً في باب المدح :

أ/ قال حسّان بن ثابت :

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه أعفّة أحسابهم

شمّ الأنوف من الطراز الأوّل (١)

أنست كلابهم بكثرة من يأتّهم ، فلا تهرّ على أحد ، وهم في سعة لا يبالون
بمن نزل بهم ، وإن كانوا كثر ؛ لأنّهم أعزّة ذو حمية كرماء ، لا تتدنّس أحسابهم .

ب/ قالت الخنساء :

أشمّ أبلج يأتّم الهداة به

كأنّه علم في رأسه نار (٢)

كان صخراً عالي الهمّة يستهدي به الناس ، وهو كالجبل الذي توقد في أعاليه
النار فتصير واضحة .

ج/ قال زهير يمدح هرم بن سنان :

إن تلق يوماً على علّاته هرماً

تلق الساحة منه والندى خلقاً

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ . وديوان حسان بن ثابت ، ص ١٨٠ . وفيه (كريمة)
بدلاً عن (أعفة) ، وجاء فيه بين البيت الأوّل والثاني بيتين .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ . وديوان الخنساء ، ص ٤٩ . وفيه صدر البيت :
(وإنّ صخراً لتأتّم الهداة به) .

أغرّ أبيض فيّاض يفكك عن

أيدي العقاة وعن أعناقها الربعا ^(١)

مدح لهرم بن سنان بأنّه متى ما وجدته وجدت فيه الخلق السمح والكرم ، فهو
طويل أبيض كريم يفدي الأسرى .

د/ قال زهير :

أخو ثقة لا تذيب الخمر ماله

ولكن قد يذهب المال نائله

تراه إذا ما جئته متهللاً

كأنّك تعطيه الذي أنت سائله ^(٢)

أي إنّه كريم لا يشرب بماله الخمر ، ولكنه يبذله للحمد ، وإذا جئت إليه سائلاً
قابلك ببشر ، كأنّك أنت الذي تعطيه .

هـ/ قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح ^(٣)

أنتم يا بني أميّة أفضل من ركب الإبل ، وأكثر العالمين كرمًا وفضلاً .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ . وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الإمام
أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، ثعلب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م
القاهرة ، ص ٥٢ - ٥٣ . وفيه : (العناة) بدلاً عن (العقاة) ، و(الربقا) بدلاً عن (الربعا) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ . وشرح ديوان زهير ، ص ١٤١ - ١٤٢ . وفيه
(أخي) بدلاً عن (أخو) و(تهلك) بدلاً عن (تذهب) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ . وشرح ديوان جرير ، تأليف محمد إسماعيل عبد
الله الصاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ص ٩٨ .

و/ قال الأصمعي :

كل يوم كأنه يوم أضحى

عند عبد العزيز أو يوم فطر ^(١)

مدح لعبد العزيز ؛ لأنّ كل الأيام عنده كأنّها أعياد أضحية أو فطر .

ز/ قال الحطيئة :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا

أقلّوا عليهم لا أباً لأبيكم

من اللوم أو سدوا المكان الذي سدّوا ^(٢)

مدح للقوم الذين إن بنوا أحسنوا ، وإن عاهدوا على أمر أنجزوا ، وإن أرادوا

شيئاً نالوه وإن كان بعيداً ، فدعّوهم وشأنهم ، ولا تبخسوا لهم صنيعهم ، أو كونوا
مثلهم .

١٥/ ما جاء شعراً في باب الذمّ :

أ/ قال حسّان بن ثابت :

أبوك أبوك وأنت ابنه

فبئس البني وبئس الأب

وأمّك سوداء نوبية

كأنّ أناملها العنظب

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥١٥ . والمستطـرف في كل فن مستظرف

ج ١ ، ص ٢١٦ . وقد نسب فيه لأعرابي .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥١٨ . وديوان الحطيئة ، ص ١٤٠ . وفيه تقدّم البيت

الثاني على الأوّل .

يبيت أبوك بها معرساً

كما ساور المهرة الثعلب (١)

المودونة : القصيرة العنق واليدين الناقصة الخلق ، والحنظب : ضرب من الخنافس ، يزمّ الشاعر الابن والأب بالقبح ، وأيضاً الأمّ ؛ لأنها سوداء قصيرة اليدين والعنق ناقصة الخلق ، فهي تشبه الخنافس .

ب/ قال ثعلب :

لله درّك أيما رجل

يبيني أبوك وشأنك الهدم

لو كنت تصعد في السماء كما

تتحطّ قصر دونك النجم (٢)

يتعجّب الشاعر من ذاك الذي يبيني أباه ، وهو يهدم بأفعاله القبيحة ، ولو كان انحطاطه رفعة له لقصر النجم لذلك .

ج/ قال القطامي :

ألا إنّما نيران قيس إذا شتو

لطارق ليل مثل نار الحباب (٣)

ذمّ لقبيلة قيس ، ففي الشتاء عند رؤيتهم لنزير يصيرون كنار الحباب التي تراها العين ولا حقيقة لها .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢١ . وديوان حسان ، ص ٣٦ . وفيه (مودونة) بدلاً عن

(نوبية) ، و(الحنظب) بدلاً عن (العنظب) ، و(الهرة) بدلاً عن (المهرة)

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ . والشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٧٢٦ .

د/ قال حسان بن ثابت :

لا عيب في القوم من طول ومن عظم

جسم البغال وأحلام العصافير (١)

تأكيد لدم القوم بأنهم لا يقلون من طول وعظم ، فهم كالبغال ؛ ولكن لا عقل لهم .

هـ/ قال جرير :

وإنك إن حللت بدار قوم

رحلت بخزية وتركت عارا (٢)

فيه يهجو الفرزدق لأنه نزل بامرأة فأحسن ضيافته ، ثم راودها عن نفسها فخلف عارا وراءه .

و/ قال الحطيئة في أمه :

تتحي فاقعدي مني بعيداً

أراح الله منك العالمينا

ألم أوضح لك البغضاء مني

ولكن لا أخالك تعقلينا

أغربالاً إذا استودعت سراً

وكانونا على المتحدثينا

جزاك الله شراً من عجوز

ولقاك العقوق من البنينا (٣)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ . وديوان حسان ، ص ١٢٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ . وشرح ديوان جرير ، ج ١ ، ص ٢٨١ . وفيه (كنت إذا حللت) بدلاً عن (وإنك إن حللت) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ . وديوان الحطيئة ، ص ٢٧٧ . وفيه تقدّم البيت الثالث على الثاني .

يذمّ الحطيئة أمّه بأن تجلس بعيداً عنه ، ويدعوا عليها بالموت ليرتاح منها
الناس ، فهو كاره لها ، ولكنها لا تعي ذلك ، وهي لا تحفظ السر ، وهي جماً موقداً
على المتحدثين ، فيدعوا عليها مرّة أخرى بالشرّ وعقوق البنين .

١٦/ ما جاء شعراً في باب الحلم وذمّ السفه :

أ/ قال أبو العتاهية :

فيا ربّ هب لي منك حلماً فإنني

أرى الحلم لم يندم عليه حلیم

ويا ربّ هب لي منك عزماً على التقى

أقيم به ما عشت حيث أقيم

ألا إنّ تقوى الله أكرم نسبة

تسامى بها عند الفخار كريم^(١)

أي اطلب من الله أن يهبني حلماً ؛ لأنّ الحلم ينشده الناس ، وأن يهبني تقواه
حيث عشت ، فهي أحسن شيمة يسمو بها الكريم ، ويتباهى بها .

ب/ قال الجرهامي :

أرى الحلم في بعض المواطن ذلّة

وفي بعضها عزّاً يسودّ فاعله^(٢)

أي إنّ الحلم في بعض الأحيان يكون ذلّة لصاحبه ، وفي بعضها يكون عزّاً
يجعل صاحبه سيّداً .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦١٩ . وديوان أبي العتاهية ، ص ٣٩٢ . وفيه تقدّم البيت
الثالث ، على الثاني ، وكلمة (أكبر) بدلاً عن (أكرم) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦١٩ . ونهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

ج/ قال حسان بن ثابت :

ربّ حلم أضاعه عدم الما

ل وجهل غطّى عليه النعيم ^(١)

قد يفنى الحلم بسبب عدم المال ، وقد يخفي النعيم الجهل .

د/ قال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا

أصبت حليماً أو أصابك جاهل ^(٢)

أي إذا أنت لم تتجاوز عن السفه والقبح ، قد تصيب الحليم ، أو يصيبك الجاهل

هـ/ قال حبيب بن أوس الطائي :

إذا جاريت في خلق دنياً

فأنت ومن تجاريه سواء

إذا ما رأس أهل البيت ولّى

بدا لهم من الناس الجفاء ^(٣)

أي إذا وافقت الدني في خلقه تصير مثله دنياً ، وربّ البيت إذا استغلّ برأيه

وجد الجفاء والقطيعة من الآخرين .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ . وديوان حسان ، ص ٢٢٥ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ ، ولباب الآداب تأليف أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ص ١٣٢ . وقد نسب البيت فيه لكعب بن زهير .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ . وديوان أبي تمام ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ . وفيه بين البيتين ، ثلاثة أبيات .

و/ قال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا (١)

أي لا يسفهن أحد علينا فنسفه فوق سفهمهم ، ونجازيهم بسفهمهم جزاء يربى عليه .

ز/ قال ابن المعتز :

ولكل عقل غفوة أو سهوة

والحرّ محتاج إلى التنبيه

والعاقل التحرير محتاج إلى

أن يستعين بجاهل معتوه (٢)

أي إنّ لكل ذي عقل سهو وغفلة ، يكون فيها محتاج لمن ينبهه ، والعاقل الحرز دائماً ما يستعين بجاهل مخبول .

ح/ قال البحتري :

أرى الحلم بؤساً في المعيشة للفتى

ولا عيش إلا ما حباك به الجهل (٣)

يرى الشاعر أن الحلم مدعاة للبؤس في المعيشة ، ورغد العيش يتمرّغ فيه ذو الجهل .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢١ . وشرح المعلفات السبع ، ص ١١٦ . والمستطرف

في كل فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢١ - ٦٢٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ . وديوان البحتري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار

الجيل ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٢١٩ . وفيه (بؤسي) بدلاً عن (بؤساً) .

ط/ قال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهّال جهلك مرّة

فعرضك للجهّال غنم من الغنم

وإن أنت باذيت السفيه إذا بدا

فأنت سفيه مثله غير ذي حلم ^(١)

أي إنّ الجهّال إذا أمنت لهم ، نالوا عرضك ، وكان ذلك غنيمة ونصراً لهم
وإن بادلت السفيه سفهاً صرت سفيهاً مثله ، ونأى عنك الحلم .

١٧/ ما جاء شعراً في باب وصف النساء بالحسن والرفقة :

أ/ قال الأخطل :

قد تكون بها سلمى تحدثني

تساقط الحلي حاجاتي وأسراري ^(٢)

شبه الشاعر حديث سلمى في عذوبته ورقته ، بعقد انقطع فتحدّر لؤلؤه .

ب/ قال الراعي النميري :

لهنّ حديث فاتر يترك الفتى

خفوق الحشا مستهلك اللب طامعا ^(٣)

أي إنّ حديثهنّ عذب يجعل القلب خافقاً والعقل راغباً .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧ . وعيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨ .

ج/ قال جرّان العود ^(١) :

حديث لو أن اللحم يصلّى بحرّه

غريضاً أتى أصحابه وهو منضج ^(٢)

شبه حديثها في صرامته بالنار التي تصلي اللحم ، فتجعله ناضجاً .

د/ قال بشار بن برد :

وحديث كأنه قطع الرو

ض وفيه الحمراء والصفراء ^(٣)

أي إنّ حديثها يفتن الألباب ، كما تفتن العيون بمنظر الرياض وقد كستها
أزهار النرجس وشقائق النعمان .

هـ/ قال بشار بن برد :

ولها جسم كغرّ الأقاحي

وحديث كالوشي وشي البرود ^(٤)

أي إنّ لها مبسماً يشبه ثغر الأقاحي في طيب رائحته ، ووشي البرود في طيب
حديثه .

^(١) هو : عامر بن الحارث النميري ، شاعر وصّاف ، أدرك الإسلام وسمع القرآن ، ومعنى جرّان
العود مقدّم عنق البعير المسن ، وقد جاء به في شعره فعرف به . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨ . وعيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

^(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩ . وديوان بشار بن برد ، شرح حسين حموي ، دار
الجيل ط ١ ، ١٩٦٦ م ، بيروت ، ج ١ ، ص ٥٨ . وفيه عجز البيت : (زهته الصفراء والحمراء) .

^(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩ . وديوان بشار بن برد ، ص ٢٢٦ . وفيه (مضحك)
بدلاً عن (جسم) .

و/ قال علي بن العباس الرومي (١) :
وحديثها السحر الحلال لو أنه
لم يجن قتل المسلم المتحرّر
إن طال لم يمل وإن هي أوجزت
ودّ المحدث أنّها لم توجز (٢)
أي إنّ حديثها في انسياحه كالسحر الحلال ، يعجب له المستمع ، فيودّ لو تطيل
الحديث ، وإن هي أوجزت حديثها منى نفسه لو أنّها أطالت في سحرها .
ز/ قال امرؤ القيس :
وهي هيفاء لطيف خصرها
ضخم الثدي ولما ينكسر (٣)
أي إنّها طويلة نحيفة الخصر ، ذات ثدي ضخم غير مترهل .
ح/ قال الشاعر :
إنّ النساء رياحين خلقن لنا
فكلّنا يشتهي شمّ الرياحين (٤)
أي إنّ النساء كالرياحين عطراً ، ونحن نقبل على شمّ هذه الرياحين .

(١) هو : علي بن العباس بن جريح ، الرومي ، شاعر كبير ، من طبقة بشار والمتنبى
رومي الأصل ، ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ ، ونشأ فيها ، ومات مسموماً سنة ٢٨٣هـ .
الأعلام ، ج ٥ ، ص ١١٠ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩ . وزهر الآداب وثمر الألباب ، ص ٤٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٠ . وعيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣٠ . وفيه نسب البيت
إلى المزار العدوي ، وفيه صدر البيت : (صلته الخدّ طويل جيدها) .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٠ .

ط/ قال الشاعر:

ونحن بنو الدنيا وهنّ بناتها

وعيش بني الدنيا لقاء بناتها (١)

أي إنّ خلق الرجال والنساء من أجل ديمومة الحياة .

ي/ قال عمر بن أبي ربيعة :

لو دبّ ذرّ فوق ضاحي جلدها

لأبأن من آثارهنّ حدورا (٢)

أي إنّها رقيقة إذا مسّ جلدها ذرّ ، على الرغم من دقّته لأظهر وربما في ظاهر جلدها .

ك/ قال الحسن بن هاني :

وكانّ منشور رمان بوجنتها

لو دبّ فيها خيال الذرّ لانجرحا (٣)

شبهه وجنتها في نضارتها بالرمّان ، ولو أنّ خيال ذرّ دبّ فوق تلك الوجنات لأظهر أثراً لديبيه .

١٨/ ما جاء شعراً في باب النوم والسهد :

أ/ قال عبّاس بن الأحنف :

قالوا تنام فقلت الشوق يمنعني

من أن أنام وعيني حشوها السهد (٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١ ، وكتاب الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

قالوا لي : كثير النوم ، وكان ردّي عليهم بأنّ الشوق يمنع عني النوم ، وإنّ
لعينيّ السهد .

ب/ قال علي بن الجهم :

أكثر ما يعرفه القوم

الأكل والراحة والنوم

نوكتي مياسير إذا عددت الـ

أيام لم يعرف لهم يوم^(١)

أي إنّهم قوم يحبون الأكل والاسترخاء والنوم ، فهم حمقى مياسير ، لا يوم لهم
يعرفون به .

ج/ قال الفرزدق :

يقولون طال الليل والليل لم يطل

ولكن من يبك من الشوق يسهد^(٢)

أي إنّهم يرون طول الليل وهو غير ذلك ، وإنّما من يتملّكه الشوق يسهد
ويطول ليله .

د/ قال بشار بن برد :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم

ونفى عني الكرى طيف ألم^(٣)

أي لم استطع النوم بسبب طيف المحبوبة ، بعد أن نزل في ساحتي .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٠ . وكتاب الأمالي ، تأليف أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي
البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩٠ . وديوان بشار بن برد ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

هـ/ قال أبي جندب الهزلي :

تعالوا أعينوني على الليل إنّه

على كل عين لا تنام طويل (١)

يطلب الشاعر الإعانة على الليل ؛ لأنّه طويل عليه ؛ لشوقه وحنينه .

و/ قال عبّاس بن الأحنف :

أيّها النائمون حولي أعينوا

ني على الليل حسبة وإئتجارا

حدثوني عن النهار حديثاً

أوصفوه فقد نسيت النهار (٢)

يستجد الشاعر بالنائمين حوله لإعانتته على الليل ويطلب منهم إخباره عن

النهار ، فقد طال الأمد بينه والنهار ، لطول الليل عليه .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩١ . والعقد الفريد ، ج ٨ ، ص ١١٥ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩٢ . ومحاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٩٣ . وكتاب

الأمالي ، للقالى، ج ١ ، ص ١٠١ .

الفصل الرابع

تحليل الأبواب في كتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس"

ويشمل تمهيد
 وخمسة مباحث

تمهيد

إنّ الأبواب في كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " عديدة ، تجاوزت المائة باب ، وكلّ باب شمل معنى من معاني الدين أو الدنيا ، في مستهلّ كل باب آية قرآنية كريمة ، أو حديث نبوي شريف من أحاديث الرسول ﷺ ، ثمّ يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من قول العجم والروم ، ما قيل في معنى الباب أو اتصل به .

ونلاحظ أنّ ابن عبد البر القرطبي في كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس " يقتفي منهج الأبشيهي في كتابه " المستطرف في كل فنّ مستظرف " ، وابن قتيبة في كتابه " عيون الأخبار " ، وابن عبد ربّه في كتابه " العقد الفريد " ، والجاحظ في كتابيه " البيان والتبيين " و " الحيوان " ، ولكنّه أحياناً يزيد عليهما في ذكره في الباب الواحد المعنى وضده ؛ ليكون أبلغ وأشفى وأمتع .

وثمة ملاحظة أخرى ، هي إنّ الشعر الذي جيء به في الأبواب كلّ من الشعر العفيف ، الذي يمتلئ بالمثل الصالح والحكمة النافعة والقول الشريف ، وذاك هو طابع ابن عبد البر القرطبي في اختياراته التي تظهر لنا شخصيته ، وأيضاً في بعض الآراء التي يعقّب فيها على بعض الأخبار ، فأراؤه في الأبواب يميل فيها إلى العبارات المهدّبة ، والألفاظ التي لا تجرح الحياء ، فنادر ما تجد حكاية فاحشة أو لفظاً ساقطاً ، كما يظهر في الأبواب حرصه الشديد على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر ممّا قيل فيه نظماً ونثراً .

وبمشيئة الله سأتناول الأبواب التي جاء بها ابن عبد البر القرطبي بالتحليل والدراسة والوقوف على المعاني في صدر الأبواب وآراء ابن عبد البر القرطبي ، وما ساقه من شعر وأمثال وحكم وحكايات في تبويبه .

المبحث الأول

١ / باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح :

الحديث في الباب يدور حول أهمية المجالس في حياة الناس ، وتعلم آداب المجالس ، ونحن نعلم بأن أفضل المجالس ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ إنه قال : ((ما جلس قوم مجلساً يقرءون فيه القرآن ويذكرون السنن ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم إلا حفت بهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمن وذكرهم الله فيمن عنده)) (١) .

نجد إن ابن عبد البر القرطبي قد استهلّ الباب بحديث للرسول الكريم ، عن أبي هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : ((من قام من مجلسه ثم رجع ، فهو أحقّ به)) (٢) . وأبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا يقيم أحداً من أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه)) (٣) .

وأحاديث الرسول الكريم أعلاه ، تبيّن أدب المجالسة ، وتميّز لنا المجالس المحمودّة ، فجلوس المرء في المجلس له ما يحكمه ، مثل قيامك عن جليستك دون استئذانه ، وما فيه من قبح ؛ لأنّ جليستك عند استئذانه في الانصراف يعلم إنك راض عنه ، وأيضاً من الآداب في المجالس أن تودّع جلسائك بالسلام ، وإن تلتزم حدود الأدب في هيئة جلوسك فلا تطيل قدميك فتؤذي بهما ، وإن نزع من رأس جليستك أو لحيته أذى ، أن تريه إياه ؛ ليدعو لك بالخير ، ومن المحمود أيضاً في المجالس مجالستك لغير عشيرتك ، فذاك يكثر من علمك بالآخرين ويوطّد صلتك بهم ، ويجعل

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (مسند أبي سعيد الخدري

حديث رقم ، (١١٤٥٧)

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب (الأدب) ، باب (من قام من مجلسه ورجع ، فهو أحقّ به) ، حديث رقم (٣٧٠٧) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب (السلام) ، باب (تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه) حديث رقم (٤٠٤٥) .

لك قدراً بينهما ، واعلم إنّ الاستماع بالعين ، فإذا رأيت عين من تحدّثه ناظرة إليك فإنّه يحسن الاستماع .

فالجليس مطالب باكتساب رضاء الجالسين ، وأن يكون أكرم الجالسين وأنفعهم لجلسائه .

أمّا المجالس المذمومة هي تلك المجالس التي لا تصيب منها خيراً ولا علماً قال معاذ بن جبل : إياك وكل جليس لا يفيدك علماً ^(١)، وقد أوصى ابن شبرمة ابنه قائلاً : يا بني إياك وطول المجالسة ، فإنّ الأسد إنّما تجتري على من أدام النظر إليها ^(٢)، ومن سوء الأدب في المجالسة أيضاً أن تقطع على جليسك حديثه أو تبدّره إلى تمام ما ابتدأ به ، كي تريه إنّك أحفظ له .

ومن جيّد الشعر الذي يبيّن أهميّة المجالس قول لبيد بن أبي ربيعة :
ما عاتب المرء اللبيب كنفسه

والمرء يصلحه الجليس الصالح ^(٣)

وقالت العرب قديماً : إنّ آداب المعاشرة أربعة هي : البشاشة والبشر وحسن الخلق والأدب ^(٤) .

فمثل الجليس الحسن كمثّل العطار إن لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ، ومثل الجليس السوء كمثّل الكبريت إن لم يحرق ثوبك بناره ، أذاك بدخانه ورائحته .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٢) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .

(٣) ديوان لبيد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، وفيه كلمة (الحر الكريم) بدلاً عن (المرء اللبيب) ص ٢٢٤ .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

٢ / باب حمد اللسان وفضل البيان :

الحديث في الباب يدور حول أهمية اللسان ، وإنه ترجمان الفؤاد وحيّة الفم .
الاستهلال للباب جاء بحديث عن معاذ ، قال : قلت يا رسول الله ، أيّ الأعمال
أفضل ؟ قال : ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)) ^(١) .

ويتضح لنا من دراسة الباب إنّ الكلام أفضل من الصمت ، وقد نصّ حديث
الرسول الله ﷺ ألا يزال لسان المؤمن يلهج بذكر الله فهو أفضل له من صمته
وأيضاً لأنّ الصمت لا يعدو صاحبه ، والكلام ينتفع به من سمعه ، ومذاكرة الرجال
تلقح لعقولها ، فربّ كلمة تكون خيراً من إعطاء المال ؛ لأنها تهديك .
وقد قالوا في ذلك : السكوت سلامة ، والكلام بالخير غنيمة ، ومن غنم أفضل
ممنّ سلم ^(٢) .

وأيضاً نجد أنّ خالد بن صفوان ، قد بيّن أهمية اللسان بقوله : ما الإنسان لولا
اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مرسلّة ، أو ضالة مهملة ^(٣) .
ومن جيّد الشعر الذي يبيّن أهمية اللسان ، قول زهير بن أبي سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم ^(٤)

وقال حسان بن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

بمنطلقات لا ترى بينها فصلا

^(١) سنن الترمذي ، كتاب (الدعوات عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في فضل الذكر)
حديث رقم (٣٢٩٧) .

^(٢) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

^(٣) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

^(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى ، في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع
لذي إربة في القول جدًّا ولا هزلاً (١)
وقال أبو العتاهية :
وللناس خوض في الكلام وألسن
وأقربها من كل خير صدوقها (٢)

٣/ باب ذمّ العي وحشو الكلام :

جاء الحديث في هذا الباب مختصراً ، إذ عمد ابن عبد البر القرطبي فيه إظهار كراهية فضول الكلام ، وقد استهله بقول لعمر بن الخطاب يقول فيه : من كثر كلامه كثر سقطه ، وعي صامت خير من عيي ناطق ، والندم على السكوت ، خير من الندم على الكلام (٣) .

والمعروف إنّ أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه ، وإنّ من كثر كلامه كثرت خطاياها ، فعليك بتخيّر الكلام وأحسنه الذي يغنيك قليله عن كثيره ويظهر معناه في لفظه .

يروى إنّ بعض قضاة عمر بن عبد العزيز ، وقد عزل أحدهما فجاءه وقال له : لم عدلتني ؟ قال : بلغني إنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين (٤) .
والجدير بالذكر أن تعلم بأنّ الصمت صون للسان ، وستر للعي وذاك ما قاله الحكماء : من نطق في غير خير فقد لغا ، ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ، ومن

(١) ديوان ، حسان بن ثابت ، ضبط وتصحيح ، عبد الرحمن البرقوني ، دار الأندلس ، ١٩٧٨م ص ٤١٥ . وفيه (بمنقطات) بدلاً عن (بمنطقات) . و(كفى وشفى) بدلاً عن (شفى وكفى) .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤م ، ص ٢٩٣ .

(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعراء ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

سكت من غير فكر فقد لها (١) .

ومن جيّد الشعر في هذا الشأن ، قول الشاعر :

عجبت لادلّال العيي بنفسه

وصمت الذي قد كان بالحق أعلماً

وفي الصمت ستر للعي وإنّما

صحيفة لبّ المرء أن يتكلّم (٢)

وقال أبو العتاهية :

الصمت أليق بالفتى

من منطق في غير حينه

لا خير في حشو الكلام

إذا اهتديت إلى عيونه (٣)

٤/ باب في التعلّم واجتناب اللحن وتعلّم الإعراب :

اشتمل الباب على كثير من الأبيات الشعرية التي تدعو إلى التعلّم واجتناب اللحن ، وتقويم اللسان ، وكان الاستهلال له بكتاب سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، يقول : أمّا بعد ، فتفقهّوا في السنّة ، وتعلّموا العربية رحم الله امرؤ أصلح من لسانه (٤) .

تعلّم العلم حسنات يكتسبها المرء المتعلّم ، وفي دراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، فهو المؤنس في الوحشة والمحدّث في الخلوة والجليس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، وهو دليلك في السراء ، ومعينك في الضراء

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) البيت للحسن بن جعفر في العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ٤٤٩ . وفيه (أجمل) بدلاً عن (أليق) .

(٤) معجم الأدباء ، ج ١ ، ص ٢٣ .

وسلاحك على الأعداء ، به تبلغ منازل الأخيار في الدرجات العلى ، وبه توصل الأرحام ، وتوصل الأحكام ، وتميّز بين الحلال والحرام ، وتستطيع به أن تعرف الله وتوحده وتعبدّه وتطيعه ، وتعلّمه يجنبك اللحن القبيح .

قال عبد الله بن المبارك ^(١) : اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه ^(٢) .

فاللحن هجنة الشريف ، وإن أردت أن تجد في نفسك الكبر فعليك تعلّم النحو لأنّه يقوّم اللسان .

قال الشاعر إبراهيم بن خلف المهراني :

النحو يصلح من لسان الألكن

والمرء تكرمه إذا لم يلحن

والنحو مثل الملح إن ألقيته

في كل ضدّ من طعامك يحسن

وإذا طلبت من العلوم أجّلها

فأجلّها منها مقيم الألسن ^(٣)

قال بعض الحكماء : أفضل العلم وقوف العالم عند علمه ، وليس العلم ما خزنته الدفاتر ، وإنّما ما خزنته الصدور ، وقالوا : العالم يعرف الجاهل ، والجاهل لا

^(١) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، الحنظلي ، التميمي ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف والرحلات ، جمع الحديث والفقه والعربية ، له كتاب في الجهاد ، توفي سنة ١٨١هـ . الأعلام ج ٤ ، ص ٢٥٦ .

^(٢) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٢١ . وقد نسب الكلام إلى عبد الملك بن مروان .

^(٣) الأبيات في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣٠ .

يعرف العالم ؛ لأنّ العالم كان جاهلاً ، والجاهل لم يكن عالماً ^(١) .

٥/ باب في اختلاف عبارتهم عن البلاغة :

لم يستهل ابن عبد البر القرطبي هذا الباب بآية أو حديث ، كعادته ، وإنما استهلّه بالسؤال عن البلاغة .

لنا أسوة حسنة في الرسول الكريم تبين لنا معنى البلاغة ، فإنّه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يتلفّظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة (جوامع الكلم) . وإن كثرت التعريفات للبلاغة إلّا إنّها كلّها تصبّ في الإيجاز وإيصال المعنى بأقل الألفاظ .

قال المفضل الضبي لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل ^(٢) . وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في استحكام الحجج ، والوقوف عند ما يكتفى به ^(٣) . وقيل لبشر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى والتباعد عن حشو الكلام ، ودلالة بقليل على كثير ^(٤) . فالبلغ من يحول الكلام على حسب الأمالي ، ويخيّط الألفاظ على قدر المعاني والكلام البليغ ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكرة ^(٥) ، ومهما يكن من أمر فإنّ البلاغة أساسها الإيجاز وبلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه ، ولكن يجب الاحتراز عن الإيجاز المخل .

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٤) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٥٦ .

٦/ باب من خطب فارتج عليه :

أيضاً في هذا الباب لم يستهلّ ابن عبد البر القرطبي بآية أو حديث .
وإنّما ذكر عدداً من الذين خطبوا في الناس فاستغلق عليهم الكلام .

قال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما بويع : الحمد لله والثناء عليه ثم ارتج عليه ، فقال : وليناكم وعدلنا فيكم ، وعدلنا عليكم خير من خطبتنا فيكم ، فإن أعش يأتكم الكلام على وجهه ^(١) .

وذاك حسن تخلّص منه في استغلق الكلام .

وارتج يوماً على معن بن زائدة وهو على المنبر ، فضرب بيده ثم قال : فتى حرب لا فتى منابر ^(٢) . فالولوج في أمر هو ليس لك يجلب لك الدلل .

وصعد عدي بن أرطأة ^(٣) المنبر فارتج عليه ، فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم ^(٤) .

فعندما يستغلق الكلام يتطلّب حسن تصرّف .

وصعد المنبر عبد الله بن أبي ثور ^(٥) ، فقال : إنّ الله لا يرضى لعباده المعاصي وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقة لا تساوي مائتين وخمسين درهماً فسمي مقوم الناقة ^(٦) .

(١) العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٦٦ .

(٢) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٣) هو : عدي بن أرطأة ، الفزاري ، أبو واثلة ، أمير من أهل دمشق ، من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة ، سنة ٩٩هـ ، وقتله معاوية بن يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ .
الأعلام ، ج ٥ ، ص ٨ .

(٤) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ . وفيه صعد (عدي بن أرطأة) .

(٥) هو : عبد الله بن أبي ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، أبو فريك ، ثائر من الحرورية بالكوفة توفي سنة ٧٣هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٦) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

فالخطبة في الناس تتطلّب من الخطيب التهيؤ لها ، وإعدادها وتمعنّها ، فهي مشوار كثير العثار لمن لا يعد نفسه لها ، وفيها يحب الإيجاز حتى لا يذل الخطيب قال الشعبي : ما سمعت أحداً يخطب إلاّ تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ، ما خلا زياد ، فإنّه لا يزداد إكثاراً إلاّ ازداد إحساناً ^(١) .

٧/ حمد الصمت وذم المنطق :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((من صمت نجا)) ^(٢) ، ينبغي على العاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلاّ كلاماً تظهر المصلحة فيه ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه ، لأنّه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه .

وما يدلّ على حمد الصمت ، ما يروى عن عقبة بن عامر ^(٣) أنّه قال : يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال : يا عقبة أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ^(٤) ، ففي كثرة الصمت تكون الهيبة ، وبكثرة الكلام يكون الزلل ، وإذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك ، وكثرة الكلام لا تحمد إلاّ في ذكر الله سبحانه وتعالى .

ومن جيّد الشعر في هذا الشأن :

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة) ، باب (مسند عبد الله بن عمرو ابن العاص) ، حديث رقم (٦١٩٣) .

(٣) هو : عقبة بن عامر بن عيسى بن مالك ، الجهني ، أمير من الصحابة ، كان رديف النبي شهد صفين مع معاوية ، وولي مصر سنة ٤٤ هـ ، وعزل عنها سنة ٤٧ هـ ، توفي بمصر سنة ٥٨ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٧ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب (الزهد عن الرسول ﷺ) ، باب (ما جاء في حفظ اللسان) ، حديث رقم (٢٢٣٠) .

قول الشاعر :

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغَنَّك إنَّه ثعبان (١)

وأيضاً :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى

إنَّ البلاء موكل بالمنطق (٢)

وأيضاً :

لسان الفتى سبع عليه مراقب

فإن لم يذع من غربه فهو آكله (٣)

وقال آخر :

أيها المرء لا تقولنَّ قـولاً

لست تدري ماذا يجيئك منه

وأخزن القول إنَّ في الصمت حكماً

وإذا أنت قلت قـولاً فزنه

وإذا القوم أكثرُوا في كلام

ليس تعنى بشأنه فـاله عنه (٤)

وقال نصر بن أحمد الخبز أرذني (١) :

(١) البيت للإمام الشافعي ، في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) البيت لصالح بن عبد القدوس ، في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٣) البيت غير منسوب لأحد في لباب الآداب ، ص ٢٧٥ . وفيه (شذاته) بدلاً عن (مراقب) .

(٤) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن جعفر في لباب الآداب ، ص ٢٧٧ . وفيه (الزم الصمت) بدلاً

عن (أخزن القول) .

إذا ما لسان المرء أكثر هزره
فذاك لسان بالبلاء موكل
إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً
فدبر وميز ما تقول وتفعل (٢)

٨ / باب من الأجوبة المسكتة ، وحسن البديهة :

قدم ابن عبد البر القرطبي لهذا الباب بقوله : إنه دخل عبيد الله بن زياد ابن ظبيان ، على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما هذا الذي يقوله الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : إنك لا تشبه أباك ، قال : والله أنا أشبه به من الماء بالماء والغراب بالغراب ، ولكن أدلك على من لا يشبه أباه ؟ قال : من هو ؟ ، قال : ابن عمي سويد بن منجوف ، وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه ولد لستة أشهر (٣) .

وقال الأعمش (٤) : احذروا الجواب فإن عمرو بن العاص قال لعدي ابن حاتم (٥) : متى فقت عيناك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طعنت في أستاذك وأنت مول يوم صفين (١) ، وشهد أعرابي بشهادة عند معاوية على شيء ، فقال له :

(١) هو : نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون ، أبو القاسم ، البصري ، المعروف بالخيز آرذي شاعر أمي ، مجيد ، لا ينتهي ولا يكتب ، توفي سنة ٣٢٧ هـ . معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٧٤٥ .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف ياقوت الحموي الرومي تحقيق د. إحسان عباس ، ج ٦ ، ص ٢٧٤٧ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٣١ _ ٣٢ .

(٤) هو : سليمان بن مهران ، الإمام شيخ الإسلام والمقرئين والمحدثين ، كوفي النشأة ، له ٤٠٠٠ حديث ، توفي سنة ١٤٧ هـ ، وعمره ٨٨ سنة . سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٥) هو : عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، الطائي ، أمير وصحابي ، من الأجواد العقلاء كان رئيس طي في الجاهلية والإسلام ، شهد حرب الردة ، توفي سنة ٦٨ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٨ .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٤ .

كذبت ، قال : الكاذب والله مزمل في ثيابك ، فتبسّم معاوية ، وقال : هذا جزاء من عجل ^(٢) ، وقال عبد الملك بن مروان لبثينة ^(٣) صاحبة جميل : ما رجا منك جميل ؟ قالت : ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها ^(٤) ، وقال ابن الزناد لابن شبرمة في مناظرته له : من عندنا خرج العلم ، فقال ابن شبرمة : ثمّ لم يعد إليكم ^(٥) ، وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم ، فقال عقيل : لكنه في نسائك يا بني عبد شمس أبين ^(٦) ، ومن أطرف الأجوبة المسكتة ما روي عن أبي بكر بن عياش الأبرص وهو يشرب الخمر ، قال لرجل من قريش : قيل لنا : إنّ نبياً من الأنبياء بعث بحلّ الخمر ، فقال الرجل : لا أومن به حتى يري الأبرص ^(٧) ، وقول معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحقّ قومك حين قالوا : ربّنا باعد بين أسفارنا ، أما كان جمع الشمل خيراً لهم ؟ فقال اليماني : قومك يا معاوية أحقّ منهم حين قالوا : اللهم إنّ كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، أفلا قالوا : اللهم إنّ كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا إليه ^(٨) .

فالأجوبة المسكتة وحسن البديهة تتطلّب ذكاء فطري ؛ لأنّ صاحبها لا يفكر كثيراً في الجواب ، ويكون عنده الردّ الشافي المسكت .

(٢) الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ط ، مؤسسة المعارف بيروت ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٣) هي : بثينة بنت جابر بن ثعلبة العذريّة ، شاعرة من بني عذرة ، من قضاة ، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري ، وهو من قومها ، في شعرها رقّة ومتانة ، مات جميل قبلها فرثته ، ولم تعش بعده طويلاً ، توفيت سنة ٨٢ هـ . الأعلام ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٥) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٧٨ . وعيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

(٦) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢١٠ . وفيه : قال معاوية ، لابن عباس .

(٧) العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٨) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧ . والمستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٧٩ .

فعدي بن حاتم كان ردّه مسكتاً وقاسياً لعمر بن العاص ، إذ ذكر له ما يكره .
وفي إجابة معاوية على الأعرابي تظهر العجلة دون تروّ فجرّته إلى ما لا يحمد
عقباه ، وفي قول عبد الملك بن مروان لبثينة ، هو الفضول بذاته فوجد ما أجمه
وفي مناظرة ابن الزناد التي أراد أن يتباهى بقد علمهم وأحقّيتهم له ، وجد ردّاً
مسكتاً له ، وفي قول معاوية لعقيل بن أبي طالب ردّت لمعاوية بحسن بديهة بضاعته
وفي استهزاء ومجون أبا بكر بن عيّاش مفاجأة لما لم يخطر على باله ، وفي قول
معاوية لليمني الذي أراد أن يبيّن فيها غفلة أهل اليمن ، بإجابة مسكتة وحسن بديهة
ردّ اليمني الغفلة لقوم معاوية .

٩/ باب الأدب :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، إنّه قال : ((ما
نحل والد ولده خيراً من أدب حسن))^(١) ، وقال بعض الحكماء في الأدب : العقل
يحتاج إلى مادّة من الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتّها من الطعام^(٢) ، وقال علي
كرّم الله وجهه : الأدب كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، صاحب في المجلس
أنيس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية ، وتحيا به الألباب الميتة ، وينال به
الطالبون ما حاولوا^(٣) ، فمن أدّب ولده وأكرمه يكن زخراً له ، وذاك أبقي من أن
تورّته الدنانير .

قال الخشني :

خير ما ورّث الرجال بنيهم

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب ، (مسند المكيين) ، باب (حديث جد إسماعيل بن أمية) ، حديث رقم
(١٤٨٥٦) .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

أدب صالح وحسن الثناء
هو خير من الدنانير والأو
راق في يوم شدة أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب
الصالح لا تفنيان حتى البقاء ^(١)
حتى العقل لا يصلح إلا بمصاحبة الأدب ، وفي الحكمة : عقل بلا أدب
كشجاع بلا سلاح ^(٢) .
وقد جوّزت العرب أن ينسب المرء نفسه إلى الأدب إذا كان صاحبه ، إذ
يروى أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن ، فقال : ابن من أنت ؟ قال : ابن
الأدب يا أمير المؤمنين ، قال : نعم النسب ما انتسبت إليه ^(٣) ، ولهذا قيل : المرء من
حيث يثبت لا من حيث ينبت ، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد ، قال الشاعر :
كن ابن من شئت واكتسب أدباً
يغنيك محموده عن النسب
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا
ليس الفتى من يقول كان أبي ^(٤)
ومن المحبب في الأدب ألاّ يفتخر المرء بأدبه ، وإذا فاتك الأدب لأيّة سبب
كان فالزم الصمت فإنّه من أعظم الآداب .

(١) الأبيات نسبت للحسين بن علي بن محمد ، في معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١١٣٥ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٤) البيتان بدون نسبة لأحد ، في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

١٠ / باب ترويح القلوب وتنبيهها :

الاستهلال بحديث رواه عبد الله بن مسعود ، قال : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا ^(١) . فالرسول الكريم كان يخاف على الصحابة من السأم فيتعهدهم حيناً بعد حين ؛ لأنه يدرك بأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد .
ومن الشواهد التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في الباب ، قول أبو الدرداء ^(٢) : إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو ، ليكون أقوى لي على الحق ^(٣) وذلك لأن القلوب لها شهوة وإقبالاً وفترة وإدباراً ، وعلينا أن نأخذها عند شهواتها وإقبالها ونتركها عند فترها وإقبالها . وفي صفح إبراهيم عليه السلام ، على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل ، وهذه الساعة عون له على سائر الساعات ^(٤) .

ومن البديهي أن تكون الساعة التي يخلّي فيها بين نفسه ولذاتها هي الأقيم من الأخريات ؛ لأن الملالة تفسخ المودة وتولد البغضة وتنغص اللذة .
ومن نفيس الحديث الذي يدعو لترويح القلوب حتى لا تصدأ ، قول عمر بن عبد العزيز : تحدّثوا بكتاب الله تعالى وتجالسوا عليه ، وإذا ملّتم فحديث من أحاديث

(١) صحيح مسلم ، كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) ، باب (الاقتصاد في الموعظة) ، حديث رقم (٥٠٤٨) . ونهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥م ، القاهرة ، ج ١٨ ، ص ٢٦٠ .

(٢) هو : عويمر بن زيد بن قيس ، إمام قدوة ، قاضي دمشق ، وصاحب رسول الله ، حكيم هذه الأمة ، وسيّد القراء ، روى عن الرسول ﷺ عدداً من الأحاديث . سير أعلام النبلاء ج ٤ ، ص ١٤ .

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، شرح ، د. زكي مبارك ، ط ٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ص ١٠٦٢ .

(٤) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

الرجال حسن جميل ^(١) ، فعمر يدرك إنَّ السَّام إنَّ أَلَمَّ عمي القلب ؛ لذا طلب الترويح بأحاديث الرجال على أن تكون من الأحاديث المبتغاة .

١١ / باب قولهم في وصف العيش وما تتمناه النفس :

الاستهلال من ابن عبد البر القرطبي لهذا الباب بحديث الرسول الكريم ﷺ إنه قال : ((من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسمه ، معه قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا)) ^(٢) ، فالحديث في الباب يدور حول العيش السعيد وما تتمناه نفس الإنسان ، وإن كان العيش السعيد يتمثل في امتلاك المال والدار والزوجة الصالحة والنفس متى ما امتلكت قوتها اطمأنت .

والتمني مباح للنفس ، وليس في هذا معارضة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، ومعنى هذا عند العلماء تمني الرجل مال أخيه أو امرأة أخيه ، وذاك التمني المكروه .

ومما يدور في فلك وصف العيش ، قول مسلمة بن عبد الملك ^(٤) : العيش في ثلاث : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم ^(٥) ، وذاك ما يراه مسلمة من وجهة نظره هو ؛ لأنَّ آخرين يرون إنَّ الولد الصالح والمال الواسع، هما لذة العيش ومن قول الحكماء : كثرة الالتفات سخف ، ومجالسة الحمقى تورث النوك

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ) ، باب (في التوكل على الله) ، حديث رقم (٢٢٦٨) .

(٣) سورة النساء ، الآية ٣٢ .

(٤) هو : مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمير قائد ، من بني أمية بدمشق ، يلقب بالجرادة الصفراء ، له فتوحات مشهورة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ . الأعلام ، ج ٨ ، ص ١٢٢

(٥) انظر : الكامل في الأدب ، ج ١ ، ٤٦ .

وكثرة المنى تخلف العقل ، وتفسد الدين ، وتتفي القناعة ^(١) ، ويرون أيضاً إنَّ أسوأ الناس حالاً ، من اتسعت أمنيته ، وضافت مقدرته ، وبعدت همته ^(٢) .

قال أبو العتاهية :

الله أصدق والآمال كاذبة

وجلّ هذي المنى في القلب وسواس ^(٣)

ويبقى إنَّ أطرف ما ذكر في باب وصف العيش ومنى النفس ، ما قاله امرئ القيس ، عندما سئل عن طيب العيش ، فقال : بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشبوبة باللحم مكروبة ^(٤) .

وأيضاً عندما سئل الأعشى : أيّ العيش الذّ ؟ قال : صهباء صافية ، تمذجها ساقية من صوب غادية ^(٥) ، وعندما سئل طرفة ، قال : مطعم شهى ، وملبس زهى ومركب وطئ ^(٦) .

١٢ / باب اختلاف الهمم في أنواع المال :

قدم ابن عبد البر القرطبي للباب أن الرسول ﷺ ، كان ((يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، ويأمر المساكين باتخاذ الدجاج)) ^(٧) .
وذكر ابن عبد البر القرطبي أن هناك من يتنعم بالمال في البناء والأثاث

(١) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ٢٢٩ .

(٤) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٧) سنن ابن ماجه ، كتاب (التجارات) ، باب (اتخاذ الماشية) ، حديث رقم (٢٢٩٨) .

وعندما بلغ عمر بن الخطّاب ، إنّ من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمّروا الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض ، فإنّ شحمها في وجهها (١) فعمر لم يرضى بما قام به الصحابة من عمران للأرض خوفاً من تميّزهم عن الخلق فيحسدون .

ومما جاء في هذا الشأن وصيّة سهل بن حنيف (٢) ، لأحد بني عبد الرحمن بن عوف ، قال له : إنّك أحبّ إخوتك إليّ ، وإنّي لموصيك : اعلم إنّّه لا عيلة على مصلح ، ولا مال مع الخرق " الحمق والغفلة " واعلم إنّ خير المال العقل ، وخيره ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ ، واعلم إنّ الرقيق ليسوا بمال ولكنهم جمال ، واعلم إنّ الماشية إنّما هي مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعته انتفعت بها ، وإلاّ لم ترزءك شيئاً ، قال : فحفظت نصيحته فكانت لي أنفع ممّا ورثت (٣) ، ومن وصية سهل يظهر لنا أيّ أنواع الأموال أفضل ، فلا فضل لمال مع حمق وغفلة ، ولا مع رقيق ، ولا غيرهم ، وإنما في الزرع .

ومن الشواهد التي تبين أنّ أفضل المال في الزراعة والتجارة ، قول الليث ابن سعد (٤) : لما أفتتحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال فسألوا بعض من كانوا هناك ، فرفعوا شجرة زيتون ، وأخذ منها عوداً وأراهم إيّاه وقال : من هذا جمعنا هذه الأموال ، نصيب الزيتون فيأتونا أهل البحر والبر

(١) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ .

(٢) هو : سهل بن حنيف بن وهب ، الأنصاري ، الأوسي ، صحابي من السابقين ، شهد بدرأ وثبت يوم أحد ، وأخى النبي بينه وبين علي بن أبي طالب ، توفي سنة ٣٨ هـ . الأعلام ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(٤) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، ولد سنة ٩٤ هـ ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، توفي سنة ١٧٥ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ١١٥ .

والصحراء يبتاعون منا ، فمن ثمّ كثرت أموالنا ^(١) .
ويبقى إنّ أفضل المال ، ما جاء من عمل اليد مأدوماً بالعرق ، فقد كان داوود عليه السلام يصنع القفاف الخوص ، وكان نوحاً نجّاراً وزكريا ، عليهما السلام ^(٢) .

١٣ / باب التجارة :

أخذت أحاديث الرسول ﷺ الحظ الوافر في هذا الباب ، ودارت كلّها حول الكسب الحلال والتاجر الصدوق والقبيح في التجارة ، وكان أول ما استهلّ به ابن عبد البر القرطبي هذا الباب حديث يقول فيه الرسول ﷺ : ((أفضل الكسب عمل اليد وكلّ بيع مبرور)) ^(٣) ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : ((التاجر هم الفجار)) ^(٤) وقال ((يا معشر التجار إن بيعكم هذا يحضره الحلف ، فشوّبوه بالصدقة)) ^(٥) وقال : ((التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة)) ^(٦) .
نستشفّ من أحاديث الرسول الكريم أعلاه ، إنّ كسب اليد أطيب ، ولأنّ العمل بالتجارة خير إلّا المنافقين والخلّافون والمحتكرون .
وممّا جاء في هذا الشأن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : فرقوا بين المنايا

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٢) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، كتاب (مسند الشاميين) ، باب (حديث رافع بن خديج) ، حديث رقم (١٦٦٢٨) .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، كتاب (مسند المكيين) ، باب (حديث عبد الرحمن بن شبل) ، حديث رقم (١٥١١٦) .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب (البيوع) ، باب (في التجارة يخالطها الحلف واللغو) ، حديث رقم (٢٨٩٠) .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب (التجارات) ، باب (الحث على المكاسب) ، حديث رقم (٢١٣٠) .

واجعلوا الرأس رأسين ^(١) ، وقوله هذا يدعو إنّه إذا اشترت الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالي في الثمن ، واشتر بثمن الرأس الواحدة رأسين ، إذا مات الواحد بقي الآخر ، كأنك فرقت بين المنية .

وقول الزبير ، عندما قيل له : بما بلغت هذا المال ؟ قال : إنّي لم أرد ربحاً ولم اشتر عيباً ^(٢) ، وذاك لأنّ الغبن في الرداءة أو الغلاء ، وإذا استجبت فقد سلمت منها .

١٤ / باب الرزق :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي هذا الباب بآيتين كريمتين من الكتاب ، الأولى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٣) ، والثانية ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ ^(٤) ، والآيتين موافقتين تماماً لما جاء في الباب من الاقتناع بالرزق المقسوم على العبد ليناله في حياته ، والإيمان التام بأنّ الله يرزق من يشاء من عباده بتفاوت يقدره الله تعالى .

والمحبيب في طلب الرزق أن يكون باكراً ، فقد قيل : بكرّوا في طلب الرزق فإنّ النجاح في التكبير ، وقالوا : إنّ الرزق رزقان : رزق لا يأتيك إلاّ بالتسبب ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب ^(٥) .

ومما يدلّ على أنّ رزقك يأتك ، قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

(١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ . وفيه القول لعبد الرحمن ابن عوف .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٧١ .

(٥) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

لو كان في صخرة في البحر راسية
صمّاء ملمومة ملبس نواحيها
رزق لعبد يراه الله لانفلقت
حتى يؤدّي إليه كلّ ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مطلبها
لسهّل الله في المرقى مراقيها
حتى تؤدّي الذي في اللوح خطّ له
إن هي أنته وإلاّ سوف يأتيها ^(١)
وقال ابن الأعرابي ^(٢) :
الحمد لله ليس الرزق بالطلب
ولا العطايا لذي عقل ولا أدب
إنّ قدر الله شيئاً أنت طالبه
يوماً وجدت إليه أقرب السبب ^(٣)
وقال علي بن هشام :
المرء يسعى ويسعى الرزق يطلبه
وربّما اختلفا في السعي والطلب

(١) ديوان ، علي بن أبي طالب ؑ ، طبعة محققة ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٩٣ .

(٢) هو : محمد بن زياد ، أبو عبد الله ، راوية ، ناسب ، علامة باللغة ، من أهل الكوفة ، من تصانيفه : " أسماء الخيل وفرسانها " و " تاريخ القبائل " و " معاني الشعر " . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ .

(٣) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

حتى إذا قدّر الرحمن جمعهما
للاتفاق أذاك الرزق عن كذب (١)

١٥ / باب الحرص والأمل :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بإثبات أنّ الحرص مذموم وقبيح
وإنّه آفة الحرمان ، وهو ينقص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .
وذاك حديث حسن وسليم ، ومما يؤيّده قولهم : الحرص على أكل الشجرة
أخرج سيدنا آدم من الجنة (٢).

ومن الشواهد أيضاً في ذمّ الحرص قول الشاعر :
إذا طاوعت حرصك كنت عبداً

لكلّ دنيئة تدعى إليها (٣)

وقول آخر :

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب
إنّ الحريص على الدنيا لفي تعب (٤)
وأيضاً من جيّد الشعر الذي يذمّ الحرص ، قول محمود الورّاق :
علام يشقى الحريص في طلب الرز
ق بطول الرواح والدلج
يا قارع الباب ربّ مجتهد
قد أدمن القرع ثمّ لم يلج

(١) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٢) لباب الآداب ، ص ٢٥٤ .

(٣) البيت بدون نسبة لأحد في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤) البيت بدون نسبة لأحد في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ .

وربّ مستولج على مهل

لم يشق من قرعه ولم يهج

فاطوِ على الهمّ كشح مصطبر

فآخر الهمّ أوّل الفرّج (١)

والحكّماء يقولون : الرزق مقسوم والحريص محروم ، والحسود مغموم
والبخيل مذموم (٢) .

وممّا سبق يتضح اتفاق الشعراء والحكّماء في آفة الحرص وإنّه غمّ الدنيا
ويسير الأمل بذات خطي الحرص فيذمّ أيضاً ، قال الحكّماء : إياكم وطول الأمل فإنّ
من ألّهاه أمله أخذاه عمله (٣) .

وقال عبد الصمد بن المعدّل :

ولي أمل قطعت به الليالي

أراني قد فنيت به وداما (٤)

فالحرص على الدنيا والأمل فيها هما مستدعيات غمّ الإنسان وتكدره ، وعلى
الإنسان ألاّ يحرص ويأمل في ما نهايته إلى زوال وفناء .

١٦ / باب الطمع واليأس :

الاستهلال للباب بحديث لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّه قال : ما شيء أذهب لعقول
الرجال من الطمع (٥) .

الطمع مذموم وقبيح ، وعلى الإنسان إن أراد العيش حرّاً فلا يسكن قلبه الطمع

(١) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٢) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤) البيت في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٥) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ .

لأنّه إن سكن صار شره النفس ذليلاً ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : في اليأس الغني وفي الطمع الفقر ، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء ^(١) .

فعمر رضي الله عنه يبيّن إنّ المكرمة والظفر ما بأيدي الناس واليأس منها غنى النفس ويحذر من الطمع ؛ لأنّه فقر حاضر ، ويدعو للعزلة التي هي راحة وسعادة من قرناء السوء .

قال فيلسوف : العبيد ثلاثة : عبد رق ، وعبد شهوة ، وعبد طمع ^(٢)

ومن جيّد الشعر الذي جاء في ذمّ الطمع ، قول أبو العتاهية :

أطعت مطامعي فاستعبدتني

ولو أنّي قنعت لكنت حرّاً ^(٣)

وقال محمود الورّاق :

وما زلت أسمع إنّ النفوس

مصارعها بين أيدي الطمع ^(٤)

وقال إسماعيل بن قطري القراطيسي :

حسبي بعلمي إن نفع

ما الذلّ إلّا في الطمع

من راقب الله نزع

عن سوء ما كان صنع

(١) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٦٨ .

(٤) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

ما طار طير وارتفع

إلا كما طار وقع ^(١)

وقال محمود الورّاق :

حدثت باليأس عنك النفس فانصرفت

واليأس أحمد مرجو من الطمع

فكن على ثقة إنني على ثقة

ألا أعل نفسي منك بالخدع ^(٢)

١٧ / باب ذمّ السؤال :

الحديث في الباب يدور حول ذمّ السؤال ، إلا إذا جاءتك عطية دون مسألة
فذلك يدعى رزقاً ساقه الله لك .

وقد استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ ، إذ قال
ثوبان ^(٣) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا تسألوا الناس)) ^(٤) ، قال : فما سألت
أحدًا شيئاً بعدها ، فكان سوطه يسقط من يده ، فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه ^(٥) .
فسؤال الناس مذموم لأنه يريق ماء الوجه ، ولقمان الحكيم عندما أوصى ابنه

(١) الأبيات في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ٩٧ .

(٢) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) هو : ثوبان بن يجدد ، أبو عبد الله مولى رسول الله ﷺ ، أصله من أهل السراة بين
مكة واليمن ، اشتراه النبي وأعتقه ، وما زال يخدمه إلى توفي سنة ٥٤ هـ . الأعلام
ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب (الزكاة) ، باب (كراهة المسألة للناس) ، حديث رقم (١٧٢٩) .

(٥) المستظرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

قال له : يا بني إِيَّاكَ والسؤال ، فإنَّه يذهب ماء الحياء من الوجه ، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك (١) .

قيل لأعرابي : ما السقم الذي لا يبرأ ، أو الجرح الذي لا يندمل ؟ قال : حاجة الكريم إلى اللئيم (٢) .

وقال الرسول ﷺ : ((لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه)) (٣) .

وما سبق يدلّ على وضاعة السائل ، ولكنّ إذا كان لا بدّ من السؤال في أمر لا بديل له غير أن تسأل ، فمن المحبب أن تسأل الصالحين الخيرين ، أو ذوي السلطان وممّا يدلّ على قبح سؤال الناس ، قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا كانت لأحدكم إلّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها ، فإنّي أكره أن أرى في وجه أحدكم ذلّ المسألة (٤) .

ومن جيّد الشعر الذي جاء في ذمّ سؤال الناس ، وتحبب سؤال الله ، قول سلم الخاسر (٥) :

إذا أذن الله في حاجة

أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (١٠٠٣٣) .

(٤) العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٥) هو : سلم بن عمرو بن حمّاد ، مولى بني تميم بن مرّة ، شاعر عبّاسي ، لقّب بالخاسر لإنفاقه على الأدب جلّ ماله توفي سنة ١٨٦هـ . معجم الأدباء . ج ٣ ، ص ١٣٨٢ - ١٣٨٤ .

ولكن سل الله من فضله ^(١)
وقول ربيعة الرقي ^(٢) :
ولا تسأل الناس ما يملكون
ولكن سل الله واستكفه
ولا تخضعن إلى سفيه
وإن كانت الأرض في كفّه ^(٣)

١٨ / باب انتظار الفرج :

يستهل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((انتظار الفرج بالصبر عبادة)) ^(٤) ، والعبد إن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، فما
له إلا الصبر ، وصبره عبادة يتقبلها الله تعالى ويجازيه بالفرج بعد الضيق .
وانتظار الفرج من الله تعالى يتناوله ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب كله
من الشعر ، مثل قول أبي محجن الثقفي :
عسى فرج يأتي به الله إنه

(١) البيتان في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٢ .
(٢) هو : ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار الأسدي ، شاعر غزلي ضرير ، كان الرشيد يأنس به
وله معه ملح ، توفي سنة ١٩٨ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٦ .
(٣) انظر : البيتان في الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، لأبي
العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق د. محمد رضوان الدايدة ، دار الفكر
المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ودار الفكر دمشق ، سوريا ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، ج ٢ ، ص ١٢٣٩ .
(٤) سنن الترمذي ، كتاب (الدعوات عن رسول الله ﷺ) ، باب (في انتظار الفرج وغير ذلك) ،
حديث رقم (٣٤٩٤) .

له كل يوم في خليقته أمر^(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا الحادثات بلغن المدى

وكادت لهنّ تذوب المهج

وحلّ البلاء وقلّ الوفاء

فعند التناهي يكون الفرّج^(٢)

وقال محمد بن حازم الباهلي^(٣) :

هوّن عليك فكلّ الأمر ينقطع

وخلّ عنك عنان الهمّ يندفع

فكلّ همّ له من بعده فرّج

وكلّ أمر إذا ما ضاق يتّسع

إنّ البلاء وإن طال الزمان به

فالموت يقطعه أو سوف ينقطع^(٤)

وقال أبو العتاهية :

هي الأيام والغير

وأمر الله منتظر

أتبأس أن ترى فرجاً

(١) البيت بدون نسبة لأحد في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٤٣ ، وأيضاً في ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٢) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٣) هو : محمد بن حازم بن عمرو ، الباهلي ، شاعر مطبوع ، كثير الهجاء ، لم يمدح من الولاة سوى المأمون العباسي ، ولد ونشأ بالبصرة ، وتوفي بها سنة ٢١٥ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٠٣

(٤) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

فأين الله والقدّر (١)

وقال الإمام الشافعي :

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلماً استحكمت حلقاتها

فرجت وكان يظنها لا تفرج (٢)

فنلاحظ أنّ كلّ الشعر الذي سبق يحدّث على الصبر عند النائبات ؛ لأنّه بعدها يأتي الفرج واليسر ، والفرح والسرور بعد ذلك البؤس ، والله سبحانه وتعالى قال وهو خير القائلين في كتابه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٣) .

١٩ / باب الجدّ والحدّ :

الجدّ يعني : البخت والحظوة والرزق (٤) ، والحدّ يعني : المنع (٥) .

استهّل ابن عبد البر القرطبي بحديث للرسول ﷺ يقول فيه : ((لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع ، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ)) (٦) .
تطرّق ابن عبد البر القرطبي في الباب للجدّ والحدّ ، أي الرزق والمنع ، وذلك

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص ٢١٩ . وفيه (العبر) بدلاً عن (الغير) .

(٢) البيتان للإمام الشافعي في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٢٨ .

(٤) لسان العرب ، مادة ، (جدد) .

(٥) المرجع السابق ، مادة (حدد) .

(٦) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الشاميين) ، باب (حديث معاوية بن أبي سفيان) ، حديث رقم

(١٦٢٩٠)

هو دأبه إذ إنه كثيراً ما يجمع بين المعنى الواحد وضده ، ليكون حديثه أبلغ وأشفي وأمتع ، ومما جاء به موافقاً للجدّ ، استشهاده بقول أكثم بن صيفي : جدّك لا كدّك ^(١) ، وذلك لأنّ الرزق مقدّم على الكدّ والاجتهاد .

قال أبو الأسود الدؤلي :

المرء يحمد سعيه من جدّه

حتى يزين بالذي لم يعمل

وترى الشقي إذا تكامل حدّه

يرمي ويقذف بالذي لم يفعل ^(٢)

فعرّ الدنيا وشرفها عند الحظوة والرزق ، والشقاوة والبؤس عند المنع ، فهما أي الجد والحد ، غير مقترنين بذی العقل والعلم ، فقد يجدّ الجاهل الأحمق ، ويحدّ العالم الفطن .

قال صالح بن عبد القدّوس :

وليس رزق الفتى من حسن حيلته

لكن جدود بأرزاق وأقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد

يرمي فيرزقه من ليس بالرامي ^(٣)

(١) محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .

(٢) البيهقي في كتاب الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٦٩م ، ج ٣ ، ص ٥٠ . وفيه : (المرء يسعى ثم يدرك مجده) بدلاً عن (المرء يحمد سعيه من جدّه) . و(غيّه) بدلاً عن (حدّه) .

(٣) البيهقي في خريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الأصفهاني ، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

٢٠/ باب المال حمداً وذمّاً :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ يقول فيه : ((نعم المال الصالح للرجل الصالح)) (١) .

المال يحمد إذا كان مؤدياً للأمانات ، وسبباً لإيصال الرحم ، والاستغناء به عن سؤال الناس ، قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) ، وقال شاعر :
واطلب المال بحرص

وأسرع المشي إليه

كلّ من كان غنياً

سلّم الناس عليه

وإذا كان فقيراً

فقد البرّ لديه (٣)

وقال آخر :

إنّ الدراهم في المواطن كلّها

تكسو الرجال مهابة وجمالاً

فهي اللسان لمن أراد فصاحة

وهي السلاح لمن أراد قتالاً (٤)

وعلى المرء السعي لكسب المال ؛ لأنّه به يصبح أعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد ، خطؤه صواب ، وسيئاته حسنات ، وقوله مقبول لا يملّ حديثه ، قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يا بنيّ عليكم بالمال

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الشاميين)، باب (بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ) حديث رقم (١٧١٣٤) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٤٦ .

(٣) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٤) البيتان بدون نسبة لأحد في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢١ .

واصطناعه ، فإنَّه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم^(١) .
وعلى النقيض تماماً يذمّ المال إذا جعلك عبداً له ، قال الحسن البصري : لكلّ
أمة وثن يعبدونه ، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم^(٢) ، فلا خير في مال لم يكفّ
وجه صاحبه ، ويقطع منه للفقير ، فإن لم يكن ذو المال متقطن ورع ، يصير ماله
فتنة .

قال ابن الأعرابي :

المال يغشى رجلاً لا طباح لهم

كالسيل يغشى أصول الدندن البالي^(٣)

ومن الجميل أن يأتي ابن عبد البر القرطبي في ختام الباب بما يدلّ على أن
هناك غنى من دون مال ، وأنس بلا أنيس ، وعزّة من دون عشيرة ، وذاك هو
رضاء الله عنك ، فينقلك من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة ، وقد مثّل لنا هذا محمود
الوراق في قوله :

هاك الدليل لمن أرا

د غنى يدوم بغير مال

وأراد عزّاً لم توط

ده العشائر بالقتال

ومهابة من غير سل

طان وجاهاً في الرجال

فليعتصم بدخوله

في عزّ طاعة ذي الجلال

(١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) البيت في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

وخروجه من ذلّ الـ

معاصي له في كل حالي (١)

فإنّ نسأله أن يهبنا من هذا الغنى ، وما أطيبه من غنى .

٢١ / باب جامع القول في الغنى والفقر :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الحديث عن الغنى مستشهداً بحديث الرسول ﷺ : ((أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس ، واجتنب ما حرّم الله عليك تكن أروع الناس)) (٢) .
ومن حديث الرسول ﷺ ، نجد أنّ الغنى في القناعة ، والعمل على مرضاة الله يجعلك عبداً صالحاً ، ونهي النفس عن المحرمات يجعلك عبداً ورعاً والغنى أيضاً هو غنى النفس عن مسألة الآخرين والتذلل لهم ، وهو أيضاً العطف والشكر وزينة الفتى ، وهو الشرف في التواضع والكرم في التقوى .
قال محمود الورّاق :

الفقر في النفس وفيها الغنى

وفي غنى النفس الغنى الأكبر (٣)

وقال الحطيئة :

يقولون يستغني ووالله ما الغنى

من المال إلّا ما يعفّ وما يكفي (٤)

(١) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ) ، باب (من اتقى المحارم فهو أعبد الناس) حديث رقم (٢٢٢٧) .

(٣) البيت في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

(٤) ديوان الحطيئة ، ص ٣٢٠ .

وقال عروة بن الورد :
دعيني للغنى أسعى فإنني
رأيت الناس شرّهم الفقير (١)

قال أبو تمام :
لا تتكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي (٢)

وقال بكر بن أذينة :
كم من فقير غني النفس نعرفه
ومن غني فقير النفس مسكين (٣)

فنلاحظ إنّ ابن عبد البر القرطبي ، قد ساق هذه الشواهد الشعرية ليدلّل على ماهيّة الغنى ، إن كان بالنفس أو العفة أو الجود والإجلال .
ثمّ تناول الفقر مادحاً له ، ويرى أنّه زينة المؤمن ، وإنّ الفضيلة والعفاف زينة للفقير ، وكان في حديثه هذا يتلمّس خطي النبي ﷺ في قوله : ((يدخل فقراء أمّتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً)) (٤) .

وممّا سبق في هذا الباب نلاحظ إنّ ابن عبد البر القرطبي ، يحامي ويدافع وينصر الفقر أكثر من الغنى ، ويكاد لسان حاله يقطع بأنّ الفقراء أحبّاء الله تعالى .

(١) البيت في ديوانا عروة بن الورد ، والسؤال ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٤٥ .

(٢) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزّام ، دار المعارف ١٩٦٤م ، ج ٣ ، ص ٧٧ .

(٣) البيت منسوب لعروة بن أذينة في الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، شرح الأستاذ عبد أ - علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ط ٢ ، ج ١٨ ، ص ٣٣٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند الأنصار) ، باب (أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ) ، حديث رقم (٢٢٠٢٤) .

٢٢ / باب الدين :

الحديث في هذا الباب موجز ، اكتفى فيه ابن عبد البر القرطبي بإيراد ما يقطع بقبح الدين ، وقد استهله بحديث الرسول ﷺ : قال رجل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله مقبلاً غير مدبر ، أيكفر الله عني خطاياي ؟ قال : ((نعم ، إلا الدين ، بذلك أخبرني جبريل)) (١).

ومن حديث الرسول الكريم نستشف إن صاحب الدين بجهاده واستشهاده يكفر الله عنه خطاياهم كلها عدا الدين ، فلا تكفير له إلا وفاءه ، والحديث عن الدين تقشعر له الأبدان ؛ لأن صاحبه محبوس عن الجنة حتى يوفى دينه ، وقال الحكماء عنه : هم بالليل وذل بالنهار وغل جعله الله في أرضه ، وإذا أراد الله أن يذل عبداً جعل له ديناً في عنقه (٢) .

ومن جيد الشعر الذي يبين قبح الدين ، قول الشاعر :

ألا ليت النهار يعود ليلاً

فإن الصبح يأتي بالهموم

حوائج ما نطيق لها قضاء

ولا دفعاً وروعات الغريم (٣)

وعلى الرغم من إيجاز هذا الباب إلا أن ابن عبد البر القرطبي قد استوفى موضوعه وأبان ما أراد أن ينقله لنا بعناية ، تتمثل في التحذير من الدين ، ونحن نسأل الله تعالى من غلبة الدين وقهر الرجال ، وندعوه أن يوفّي عنا دين الدنيا بالميسرة ، ودين الآخرة بالمغفرة .

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند الأنصار) ، باب (حديث أبي قتادة الأنصاري) ، حديث رقم (٢١٥٠٢) .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٣) البيتان غير منسوبان لأحد في الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٥٢م ، ط ١ القاهرة ، ص ٣٩١ . وفيه (رداً) ، بدلاً عن (دفعاً) .

المبحث الثاني

١ / باب الاقتصاد والرفق :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بآية كريمة يقول فيها تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ ^(١) ، استشهد ابن عبد البر القرطبي بهذه الآية ؛ ليؤكد ذمّ البخل والإسراف ، ثمّ تلى ذلك الحديث عن الاقتصاد في الإنفاق والرفق فيه مبيناً أنّه جميل وحسن ، والدليل على ذلك من الشعر قول المتلمس :

وإصلاح القليل يزيد فيه

ولا يبقى الكثير مع الفساد ^(٢)

ثمّ عرض ابن عبد البر القرطبي شعراً رقيقاً لصالح بن عبد القدوس ، ساقه برهاناً ودليلاً لمدح الرفق ، إذ يقول :

إنّ الترفق للمقيم موافق

وإذا يسافر فالترفق أوفق

لو سار ألف مدجج في حاجة

لم يلحقها إلّا الذي يتـرفق ^(٣)

ومن بين سعي الألف مدجج لقضاء الحاجة وعدم ظفرهم بها وبين ظفر الواحد المترفق بها يتّضح مدى أهميّة الرفق ولينه .

٢ / باب السفر والاغتراب :

الاستهلال للباب بحديث الرسول ﷺ : ((السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الرجوع إلى أهله)) ^(٤) ، فحديث الرسول ﷺ ، يوجد

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٩ .

(٢) البيت في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

(٣) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب (الحج) ، باب (السفر قطعة من العذاب) ، حديث رقم (١٦٧٧) .

العذاب مع السفر ، ويأمر المسافر عند قضاء حاجته العودة إلى أهله ، والسفر المقصود هنا من غير هوان أو ذلّ في الأوطان ، قال زهير بن أبي سلمى :
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم (١)

أي إنّ من سافر واغترب يحسب الأعداء أصدقاء له ؛ لأنّه لم يجربهم ، ومن لم يكرم نفسه يتجنّب الدنيا لم يكرمه الناس .

وقال محمود الورّاق أيضاً :

فلم أر عزّ المرء إلاّ عشيرة

ولم أر ذلاًّ مثل ناي عن الأهل (٢)

أي إنّ العزّة الكرامة للمرء بين عشيرته وموطنه ، وكلّ الذلّ للذي يغترب بعيداً عن أهله .

أمّا إذا كان السفر والاعتراب من الأوطان لسبب وجود الذلّ والهوان فيه يكون محبوباً ، جاء في الأثر : سافروا تغنموا (٣) ، وفي الأمثال : البركات مع الحركات (٤) وفي الحكم : السفر يسفر عن أخلاق الرجال (٥) .

وممّا قيل في ترك الإقامة بدار الهوان ، قول الفرزدق :

وفي الأرض عن دار القلي متحوّل

(١) شرح ديوان زهير ، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، ثعلب المكتبة العربية ، ١٩٤٤م ، ص ٣٢ .

(٢) البيتان في البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٣٥ . وفيه (لم أر عزّاً لامرئ كعشيرة) ، بدلاً عن (فلم أر عزّ المرء إلاّ عشيرة) .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣ .

وكلّ بلاد أوطنتك بلاد^(١)

فالفرزدق يدعو إلى ترك بلاد البغض والحقد ، وأنّى تضع قدميك تكون بلادك موطنك ، وقالت العرب : ليس بينك وبين بلاد نسب ، فخير البلاد ما حملك^(٢) .
وقال عروة بن الورد :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى

تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا^(٣)

فهو يريد منا أن نجوب بلاد الله سعياً للكسب ، والعيش في يسار ، أو تأخذك المنية وتعذر لعدم اكتسابك الغنى .

ويبدو لي أنّ ابن عبد البر القرطبي يميل إلى التمسك بالوطن ، ويبين لنا بأنّ موطنك يسعك على الرحب إن كنت تراه قد ضاق عليك ، متمثلاً قول ابن الهيثم^(٤) :
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكنّ أخلاق الرجال تضيق^(٥)

٣ / باب التوديع والفرار :

الاستهلال للباب بحديث للرسول ﷺ ، وقد خرج عمر بن الخطاب في مسيرة

(١) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ج ١ ، ص ١٦٠ . وفيه (ذي الجور) بدلاً عن (دار القلى) ، و(منأى ومذهب) بدلاً عن (متخول) ، و(بلادي) ، بدلاً عن (بلاد) .

(٢) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

(٣) ديوانا عروة بن الورد والسمؤال ، ص ٤٤ .

(٤) هو : العباس بن محمد ، أبو الهيثم ، كاتب من أهل بغداد ، تولى الكتابة للمقتدر العباسي وطمع في الوزارة ، فاعتقله الوزير علي بن عيسى إلى أن مات سنة ٣٠٢هـ . الأعلام ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٥) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ١٩ .

إلى العمرة ، حيث قال : ((يا أخي لا تنسنا من دعائك)) ^(١) ، حديث الرسول ينصّ على تحقيق أن يودّع المسافر إخوانه ويغتنم دعاءهم .

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تَوَاقَّة وإلى مسقط رأسها مشتاقَّة ^(٢) ، ومن الابتلاءات التي يبتلى بها العبد مفارقة الأحباب وما يصاحبها من حزن وأسى .

قال الشاعر :

أقيم وتظعنين وأنت روعي

وهل جسد يعيش بغير روح

لئن كان الفراق غداً فإنّي

سأحمل لا أشكّ إلى ضريحي

تعالى بعد فرقتنا لنبكي

فإنّي نائح أبداً فنوحي ^(٣)

فهي أبيات تتقطّر أسى على الفراق .

قال أبو الطيّامير في الوداع :

أقول له حين ودّعته

وكلّ بعشرته مبلس

لئن رجعت عنك أجسامنا

لقد سافرت معك الأنفس ^(١)

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند العشرة المبشرين بالجنة) ، باب (أول مسند عمر ابن الخطاب) حديث رقم (١٩٠) .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٣) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

فهذا يختلج الحزن في نفسه عند الوداع ، وكلّ منهما ساكت على ما في نفسه ويؤكد بأنّ التي عادت للدار هي الأجسام ، والروح قد صحبتته سفيراً .
أيضاً من الملاحظ في هذا الباب استيفاء موضوعه الذي أبان فيه أنّ التوديع والفراق من المعاني التي تكاد تزهق الأرواح .

٤ / باب الزيارة والعيادة :

أيضاً الاستهلال للباب بحديث للرسول ﷺ : ((من زار أخاً له في الله ، أو عاده خاض الرحمة حتى يرجع ، وقال الله عزّ وجلّ له طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً)) (١) ، فالرحمة تساق لك في زيارتك وعيادتك لإخوانك وتجد الثناء من الله تعالى بتبوأك جنته .

ومن السنة المؤكدة ، تخفيف الجلوس في العيادة ، حتى إنه إذا دخل العوّاد على المريض وعلموا أنّه لاحظهم دعوا لهم وانصرفوا ، فالعيادة فضلها مشهور وشرفها مذكور ، بها تعظم الأمور ، وعلى الإنسان المحافظة عليها عند اقتضائها جاء في المثل : لولا الوئام هلك الأنام (٢) ، أي لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذ عمّتهم الوحشة .

وإن مرض أخاً لك واستحالت عليك عيادته ، فادعوه له بقولك : كشف الله عنك ما بك من السقم ، وطهّرك بالعلّة من الخطايا ، ومتّعك بأنس العافية ، وأعقبك دوام

(١) البيهقي في العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٤٠٩ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب (البر والصلة عن رسول الله ﷺ) باب (ما جاء في زيارة الإخوان) حديث رقم (١٩٣١) .

(٣) مجمع الأمثال ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

الصحة (١) .

وهكذا الباب جلّه حتّى على الزيارة والعيادة ، لما فيهما من فضل ، ففي الزيارة تقوية لأواصر الصداقة ، وفي العيادة ثواباً لك عظيم ، واعلم إنّ أفضل العيادة أخفّها .

٥/ باب الحجاب :

الاستهلال للباب بحديث للرسول ﷺ : ((من ولي من أمور الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته وخلقه وفاقتة)) (٢) الحديث تحذير ووعد للذي يستعمل حاجباً يحجب له الرعاية من قضاء حاجتها ، ولا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية ، من شدة الحجاب .

قيل لبعض الحكماء : ما الجرح الذي لا يندمل ؟ قالوا : حاجة الكريم إلى اللئيم في حاجة ، ثمّ يردّ يغير قضائها ، قيل : وما الذي أشدّ منه ؟ قالوا : وقوف الشريف بباب الدنيء ثمّ لا يؤذن له (٣) .

فالاحتجاب مذموم ، والراشد من اقتفى أثر وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر ، قائلاً : يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم فتكون أنت الذي تأذن وتحجب ، وأنس من دخل عليك بالحديث فينبسط إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر ، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها (٤) وهناك من الأمراء من يتعلل لاستخدامه الحاجب بقلة المال ، وهو تعلل مرفوض

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الأنصار) ، باب (حديث معاذ بن جبل) ، حديث رقم (٢١٠٦١) .

(٣) المستظرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ص ٢٦٧ .

قال عبد الله بن طاهر (١) :

إذا كان الجواد قليل مال

ولم يعذر تعلق بالحجاب (٢)

فالأفضل للأمير قليل المال أن يقابل إلحاح الرعية في السؤال بالشفافية والصدق وهما خصلتين كافيتين لهزيمة الإلحاح عند السؤال ، وهما خيراً من الاحتجاب .

وللشاعر محمود الورّاق أبيات جيّدة في ذمّ من يستعمل الحاجب ويغلق بابه يقول فيها :

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه

وردّ ذوي الحاجات دون حجاب

ظننت به إحدى ثلاث وربّما

نزعت بظنّ واقع بصوابه

فقلت به مسّ من العيّ قاطع

ففي إذنه للناس إظهار ما به

فإن لم يك عيّ اللسان فغالب

من البخل يحمي ماله عن طلابه

فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبة

يصدّ عليها عند إغلاق بابه (٣)

(١) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق ، الخزاعي ، أمير خراسان ، من أشهر الولاة في العصر العباسي ، توفي بـ " مرو " سنة ٢٣٠هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٢) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٢٣ . وفيه (الكريم) بدلاً عن (الجواد) .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٨٤ . وفيه (ظاهر) بدلاً عن (قاطع) .

وأيضاً من جيّد الشعر الذي يصف الجود عند الولاية والأمرء ، قول بشّار
ابن برد :

يسقط الطير حيث ينتثر الحبّ

وتغشى منازل الكرماء ^(١)

وقوله أيضاً :

يزدحم الناس على بابه

والمنهل العذب كثير الزحام ^(٢)

٦/ باب المصافحة وتقبيل اليد والفم :

الاستهلال للباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((إذا التقى المسلمان وتصافحا
تحانت ذنوبهما ، كما يتحات الشجر)) ^(٣) ، فالحديث حثّ للمصافحة بين المسلمين
فهي تسقط عنهم الذنوب ، كما يسقط ورق الشجر .

ثم تطرّق ابن عبد البر القرطبي في الباب إلى إنّ المصافحة تجلب المحبة
والوئام ، حتى بين المتخاصمين ، ومن المحبب فيها عدم المبادرة بنزع اليد من يد
الآخر ، قال الشاعر :

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم

ودّ فيزرعه التسليم واللف ^(٤)

أمّا التقبيل ، فقد حدد ابن عبد البر القرطبي له مواضع محدده ، فقال : قبلة
الرجل زوجته الفم ، وقبلة الوالد ولده الرأس ، وقبلة الأمّ للولد الخد ، وقبلة الأخت

(١) ديوان بشّار ، شرح حسين حموي ، دار الجيل ، ١٩٩٦م ، ط١ ، بيروت ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٩ . وفيه (المورد) بدلاً عن (المنهل) .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) باب (في المصافحة) ، حديث رقم (٤٥٣٥) .

(٤) البيت في المحاسن والمساوي ، لإبراهيم البيهقي ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت
للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ ، بيروت ، ص ٥٦٥ . وفيه (حيناً) بدلاً عن (دهرًا)

للأخ العنق ، وذاك تمشيّاً لقول علي بن أبي طالب عليه السلام : قبلة الوالد عبادة وقبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، قبلة الرجل أخاه دين (١) .

وابن عبد البر القرطبي يرفض تقبيل اليد مستشهداً بذلك بقول عمر بن الخطاب عندما تناول أبو عبيدة بن الجراح يده ليقبلها ، فقبضها عمر ، فتناول رجله فقال عمر : ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه (٢) .

والعرب ترى إن تقبيل اليد إذا فعله عربي ، فهو هلوع ، وإن فعله أعجمي فهو خدوع (٣) .

وهذا الحديث الطيب والشواهد الدامغة التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في باب المصافحة وتقبيل اليد والفم ، ليست بالغريبة عنه وهو الفقيه المحدث العالم ببواطن الأمور .

٧/ باب الرسول :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ : ((إذا أبردتم إليّ بريداً أو بعثتم رسولاً فليكن حسن الوجه ، حسن الاسم ، وإذا سألتهم الحوائج ، فاسألوا حسان الوجوه)) (٤) ، وفيه يطلب الرسول الكريم من الذين يرأسونه أن يكون رسولهم حسن الخلقة جميل الوجه مسمّى بأفضل الأسماء ، ويأمرهم إذا سألوا فليكن السؤال لحسن الوجه ، فالحديث ينصّ على تخيّر المرسل ؛ لأنه إن كان دميماً قبيحاً يجلب التشاؤم ممّا يحمله ، وإن كان حسناً جميلاً ينتظر منه الخير ، فالرجل الصالح يجيء دائماً بالخبر الصالح ، والرجل السوء يأتي بالخبر السوء .

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند الأنصار) ، باب (حديث بريدة الأسلمي) ، حديث رقم (٢١٨٦٨) .

ومن الشواهد الحسنة في هذا الموضع ما كان يفعله عبد الملك بن مروان فإنه كان إذا ولّى رجلاً البريد ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته ، وقال ذلك لأنّ كذبه يشكك في صدقه ، وشره يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم على ما يندمه ويؤثمه (١) .

ومن جيّد الشعر في هذا الشأن قول عمر بن أبي ربيعة :

من رسولي إلى الثريا فإني

ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

هي مكنونة تحيّر منها

في أديم الخدين ماء الشباب

أبرزوها مثل المهاة تهادا

بين خمس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبّها ؟ قلت بهراً

عدد القطر الحصى والتراب (٢)

فقال له ابن أبي عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري ، فارتحل من المدينة حتى أتى مكّة ، فصادف الثريا (٣) في الطواف ، فقالت له : يا ابن أبي عتيق ما جاء بك وليس هذا أوان الحجّ ؟ فقال : أبيات لعمر ، فقالت : أنشدني ، فأنشدها

(١) انظر : البصائر والزخائر ، أبو حيّان التوحّيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني

ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، ص ٥٩ - ٦٠ . وفيه بين البيتين الأول والثاني أربعة أبيات ، وبين البيت الثاني والثالث ، ثلاثة أبيات . وفيه كلمة (النجم) بدلاً عن (القطر) في البيت الأخير .

(٣) هي : الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس بن مناف الأموية ، كانت موصوفة بالجمال والحسن ، تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ونقلها إلى مصر . الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، ص ٧ .

الأبيات حتى أتى على آخرها ، فقالت : أدّى الله أمانتك ، فقد أدّيت ، قال : فضرب راحلته ورجع ^(١) .

وأيضاً ممّا يصبّ في هذا المنحى ، قول الزبير بن عبد المطلب :
إذا كنت في حاجة مرسلًا

فارسل حكيمًا ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى

فشاور لبيباً ولا تعصه ^(٢)

وقال آخر :

إذا ما كنت متخذاً رسولاً

فلا ترسل سوى حرّ نبيل

فإن النجح في الحاجات يأتي

لطالبها على قدر الرسول ^(٣)

نلاحظ في هذا الباب إنّ ابن عبد البر القرطبي قد أجاد فيه وأحسن ، وخاصّة فيما ساقه شاهداً في طرفة ابن أبي عتيق والثريا .

٨ / باب الهدية :

الاستهلال من ابن عبد البر القرطبي للباب بحديث للرسول الكريم ﷺ :
((الهدية رزق من الله ، فمن أهدي إليه شيء فليقبله ولا يردّه وليكافئ عليه)) ^(٤)
والحديث برهان قاطع على جواز قبول الهدية ؛ لأنّها أصلاً رزقاً من الله ساقه إليك .

(١) انظر : الأغاني ، ج ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٢) الأبيات في كتاب جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الشاميين) ، باب (حديث خالد بن عدي الجهني عن النبي)
حديث رقم (١٧٢٥٧) .

وقد جاء في الأثر : إنّ الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر ^(١) .
قال الفضل بن سهل ^(٢) : ما استرضى الغضبان ، ولا استعطف السلطان
ولا سلبت السخائم ، ولا دفعت المغارم ، ولا استميل المحبوب ، ولا توقي المحذور
بمثل الهدية ^(٣) .

وهكذا الباب جلّه يدور حول عظمة مكانة الهدية في القلوب ، وقد أورد ابن
عبد البر القرطبي حديثاً آخر للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((تهادوا فإنّ الهدية تذهب
وحر الصدر)) ^(٤) ، إنّ نصّ الحديث بيّن ؛ إذ إنّ دعوة من الرسول الكريم ﷺ إلى
التهادي بين المسلمين لأنّه يذهب الضغينة .

ومن جيّد الشعر في الهدية ، قول الشاعر :

هدايا الناس بعضهم لبعض

تولّد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوى ووداً

ويكسوهم إذا حضروا جمالا ^(٥)

وقال ابن عبّاد :

^(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

^(٢) هو : الفضل بن سهل ، السرخسي ، وزير المأمون ، وصاحب تدبيره ، أسلم علي يده سنة
١٩٠ هـ ، كان مجوسياً ولقب بـ " ذي الرياستين " (الحرب والسياسة) ، ولد سنة ١٥٤ هـ
وتوفي سنة ٢٠٢ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

^(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

^(٤) سنن الترمذي ، كتاب (الولاء والهبة عن رسول الله ﷺ) ، باب (في حث النبي على التهادي)
حديث رقم (٢٠٥٦) .

^(٥) البيتان في ديوان أبي العتاهية ، ص ٣٨٥ . وفيه (القلوب) بدلاً عن (الضمير) .

رويت في السنة المشهورة البركة

إنّ الهدية في الإخوان مشتركة ^(١)

ومن الطريف في هذا الباب ، قول أبو عوانة ^(٢) ، إنّ قال للأعمش :

يا أبا محمد إنّ عندي بطّة سميّة ، أفتكون عندي في الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائي ، أبعث بها إليّ في الدار ^(٣) .

ومهما يكن من أمر فإنّ الهدية تجلب المحبة بين الناس إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى ، وإن كانت غير ذلك فهي قبيحة مذمومة ، قال عمر بن عبد العزيز : كانت الهدية فيما مضى هديّة ، أمّا اليوم فهي رشوة ^(٤) .

٩/ باب الجار :

استهله ابن عبد البر القرطبي بقول الرسول الكريم ﷺ : ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)) ^(٥) ، وحديث الرسول الكريم يبين أهميّة الجار والتوصي به خيراً ، وذلك يستقى من وصيّة جبريل عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ .

ومن الملاحظ في الباب ميل ابن عبد البر القرطبي لأهل الجاهلية في حسن

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ص ٤٦٨ .

(٢) هو : الوضّاح بن خالد ، اليشكري من حفاظ الحديث الثقات مات بالبصرة ، سنة ١٧٦هـ — . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٤) البصائر والزخائر ، طبعة مكتبة أطلس ، مطبعة الإنشاء دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب (البر والصلة والآداب) ، باب (الوصية بالجار والإحسان إليه) ، حديث رقم (٤٧٥٧) .

الجوار ، كتقليد حسن شائع بين أهل الجاهلية .
وقد أورد أبياتاً حسان عن الجار للشاعر مسكين الدارمي ^(١) ، يقول فيها :
ناري ونار الجار واحدة
وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرّ جار لي أجاوره
ألا يكون لبيته ستر
أعمى إذا ما جارتني برزت
حتى يـواري جارتني الخدر ^(٢)
فالأبيات جمعت كلّ القيم النبيلة التي تراعي حقّ الجار على جاره .
والأصمعي له رأي آخر يوضّح فيه إنّ أفضل ما قيل في حسن الجوار قول
الشاعر :

جاورت شيبان فاحلولى جوارهم
إنّ الكرام خيار الناس للجار ^(٣)
وذلك لتخصيصه الكرام بخيرهم على الجار .
وقال بشر بن بشر المجاشعي :
وإنّي لعفّ عن زيارة جارتني
وإنّي لمشنوء لديّ اغتياها
إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها

(١) هو : ربّعة بن عامر بن أنيف ، من بني دارم ، شاعر مجيد ، توفي سنة ٨٩هـ . الشعر
والشعراء ، ج ١ ، ص ٥٤٤ .

(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ج ١ ، ص ٥٤٥
وفيه (بابه) بدلاً عن (لبيته) ، و(يغيب) بدلاً عن (يواري) .

(٣) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

زؤوراً ولم تأنس إليّ كلابها
لم أك طلاباً أحاديث سرّها
ولا عالماً من أي جنس ثيابها ^(١)
وهذا حديث حسن عن صون حق الجار الغائب .
والدين الإسلامي والسنة النبوية جاء فيهما ما ينصّ على بسط المعروف للجار
والكفّ عن أذاه .
وقد ختم ابن عبد البر القرطبي الباب بما يسمّى بحسن الختام ، إذ أورد حديثاً
عن تذاكر أهل البصرة من ذوي الآداب والأحساب في أحسن ما قاله المولدون في
حسن الجوار ، من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي ^(٢)
غالب ابن عبد القدوس ، وهما :
نزلت على آل المهلب شاتياً
غريباً عن الأوطان في زمن محل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم
وبرهم حتى حسبتهم أهلي ^(٣)
وما أطيب أن تنزل شتاء في زمن الجذب ، وتجد من يكرمك ويتفقدك ، حتى
تخال إنك وسط عشيرتك .

(١) الأبيات في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ . وفيه (فكاهة) بدلاً عن (زيارة)
و(حوك) بدلاً عن (جنس) .

(٢) هو : أبي الهندي غالب بن عبد القدوس بن شيث بن ريعي ، الرياحي ، اليربوعي ، شاعر
مطبوع ، أدرك الدولتين (الأموية والعباسية) ، جزل الشعر ، سهل الألفاظ ، لطيف المعاني
توفي سنة ١٨٠ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٠٣ .

(٣) نسبت هذه الأبيات إلى بكير بن الأخنس في البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٠٠ . وفيه (فقيراً)
بدلاً عن (غريباً) ، و(الدار) بدلاً عن (الأوطان) ، و(سنة) بدلاً عن (زمن) ، و(الطافهم) بدلاً عن
(إكرامهم) ، و(إكرامهم) بدلاً عن (برهم) .

١٠ / باب الضيف :

بدأه ابن عبد البر القرطبي بقول الرسول الكريم ﷺ : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ولا يؤذ جاره)) ^(١) ، وهذا يعني أنّ إكرام الضيف وحسن معاشرته مدعاة للإيمان بالله واليوم الآخر .

ثم تحدّث ابن عبد البر القرطبي في الباب عن أنّ إحدى موجبات الرحمة إطعام الأخ المسلم الجائع ، وأنّ من كان مضيافاً وسّع الله عليه ، ومن آداب المضيف أن يقوم بخدمة أضيافه ويظهر لهم الغنى ويبسط الوجه ، فالبشاشة في الوجه خير من القري ، وأنّ يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم ، ولا ينام قبلهم ، ولا يشكو الزمان بحضورهم ، وأنّ يبشّ عند قدومهم ، ويتألّم عند وداعهم ، وألاّ يغضب على أحد بحضورهم ، ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ، ولا يعبس بوجهه ، ولا يظهر نكداً ولا ينهر أحداً ولا يشتمه ، بل يدخل على قلوبهم السرور بكلّ ما أمكن ، وأنّ يراعي خواطرهم كيفما أمكن .

ولعمري هذا حديث طيّب ، ولو أنّ كل مضيف عمل بما فيه لساد اللئام بين الناس وروعي حق الضيافة بالوجه الأكمل .

^(١) صحيح البخاري ، كتاب (الرفاق) ، باب (حفظ اللسان ، وقول النبي من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ، حديث رقم (٥٩٩٤) .

قال العلوي صاحب الزنج (١) :

يستأنس الضيف في أبياتنا أبداً

فليس يعلم خلق أيّنا الضيف (٢)

وقول الشاعر :

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا

نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل (٣)

ومن الجدير بالذكر في هذا الباب إغفال ابن عبد البر القرطبي جانب موجبات المضيّف ، وتركيزه على المضيّف ، فمن واجبات المضيّف عدم كثرة الأكل المفرط وعدم التطلّع للباب ظناً منه أنّ كلّ ما دخل طعام ، وعدم ترك اللقمة في الفم فيرتشفها فيسمع لها حين البلع صوتاً ، وعدم الأكل ممّا لا يليه بامتداد يده للآخرين وعدم استعجال صاحب الدار للأكل ، وعدم شكوى الجوع (٤) .

١١ / باب المعروف :

قدّم ابن عبد البر لهذا الباب بحديث للمصطفى ﷺ بقوله : ((كل معروف صدقة)) (٥) ، الحديث من الرسول الكريم يبيّن أن فعل أي معروف صدقة يجازي بها فاعلها .

(١) هو : علي بن محمد الورزنين ، العلوي ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي ، يرى رأي الأزارقة ، قتله الموفق بالله سنة ٢٧٠هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

(٢) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(٣) البيت بدون نسبة في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب (الأدب) ، باب (كل معروف صدقة) ، حديث رقم (٥٥٦٢) .

قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتق الشتم يشتم ^(١)

فمن يصنع المعروف بقي عرضه ، وأنّ الذي لا يتجنّب السب ببذل المعروف
يسب ، كأن يقال : في كلّ شيء سرف إلاّ في المعروف ^(٢) .

وكما يتوخّى للوديعة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغي أن يتوخى للمعروف
أهل الوفاء والشكر ، ولا يجوز بذله للئيم الذي لا يحمّد لك معروفك ، فأعطاء
المعروف للفاجر يقوّيه على فجوره ، قال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّداً ^(٣)

أي في إكرامك الكريم تجد الثناء ، ويحفظ لك ذلك ، ولكن اللئيم يتكّرر لك
ولا يحفظ لك صنيعك .

ومن كلام الحكماء في هذا الموضع : إذا سألت كريماً حاجة ، فدعه يفكّر
فإنّه لا يفكّر إلاّ في خير ، وإذا سألت لئيماً حاجة فعاجله ، لأنّ لا يشير عليه طبعه ألاّ
يفعل ^(٤) .

ومما جاء شعراً في هذا الباب ، قول أبي العتاهية :

أبل من شئت ثقله

عن قليل لفعله

(١) شرح ديوان زهير ، ص ٣٠ .

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٣) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوني ، مطبعة السعادة ، ج ٤ ، ص ١٩١ .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

ضاع معروف واضع الـ

عرف في غير أهله ^(١)

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس ^(٢)

١٢ / باب الشكر :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث المصطفى ﷺ : ((من أهدى إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاك الله خيراً ، فقد أبلغ في الثناء)) ^(٣) فحديث الرسول الكريم ينصّ على شكر من يصنع لك معروفاً ، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله وأفضل الشكر الحمد ، وفي قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ^(٤) ، إنّه نوح عليه السلام ، فقد كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوباً ، ولا يأكل ولا يشرب إلاّ حمد الله وأثنى عليه .

ومن الأشعار الواردة في هذا الباب ، قول كلثوم بن عمرو العتابي :

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد

لعزّة ملك أو علوّ مكان

لما ندب الله العباد لشكره

فقال اشكروني أيّها الثقلان ^(٥)

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ديوان الحطيئة ، ص ٢٨٤ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب (البر والصلة عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في الثناء) ، حديث رقم (١٩٥٨) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٣ .

(٥) البيتان في عيون الأخبار، ج ٣ ، ص ١٦١. وفيه (سيّد) بدلاً عن (ماجد) و(أمر) بدلاً عن (ندب)

وقال الحسن بن هاني :
أنت امرؤ أوليتني نعماً
أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تحدثن إليّ عرفة
حتى أقوم بشكر ما سلفا (١)

وقال أبو تمام :
والحمد شهد لا يرى مشتاره
يجنيه إلا من نقيع الحنظل (٢)
وقال البحتري :
من لا يقوم بشكر نعمة حبه
فمتى يقوم بشكر نعمة ربه (٣)

١٣ / باب في طلب الحاجات :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول عليه أفضل الصلاة
والسلام إذ يقول : ((اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء)) (٤)
فحديث الرسول يبيّن لنا أنّ من عبّده الله من هم مسخرون لقضاء حوائج الناس

(١) ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ، ص ٤٢٧ . وفيه (لا تسدين) بدلاً عن (لا تحدثن)
و(جللتني) بدلاً عن (أوليتني) .

(٢) ديوان أبي تمام ، ج ٣ ، ص ٤٢ .

(٣) ديوان البحتري ، تحقيق وشرح وتعليق ، حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ١٩٦٣م
مصر ، القاهرة ، ص ١٦٣ . وفيه (لا يؤدّي) بدلاً عن (لا يقوم) ، و(خلّة) بدلاً عن (حبه)
و(يؤدّي) بدلاً عن (يقوم) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب (الزكاة) ، باب (التحريض على الصدقة والشفاعة فيها) ، حديث
رقم (١٣٤٢)

رضي عنهم الله عزّ وجلّ .

وقد أورد ابن عبد البر القرطبي، قولاً طيباً في قبول العذر لمن صعب عليك قضاء حاجته، وذلك في قول محمد بن واسع، لقتيبة بن مسلم: إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك (١) .

ثم أورد ابن عبد البر القرطبي ، هذا القول بحكمة طيبة لخالد بن صفوان يقول فيها : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقّونها منها ، فإنّ من طلب ما لا يستحقّ استوجب الحرمان (٢) . وهناك من يخشون سؤال الناس حياءً تيمناً مع قول : أصل العبادة ألاّ تسأل سوى الله حاجة ، ولا تشكو إلاّ إليه .

ومما جاء شعراً في هذا الباب ، قول أبو العتاهية :

أقض الحوائج ما استطعـــــــــــــــــ

ت وكن لهمّ أخيك فارح

فلخير أيام الفتى

يوم قضى فيه الحوائج (٣)

قال القطامي :

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الذلل (٤)

(١) عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٩ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ١١٠ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

وقال الصلتان العبدى :
نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقي (١)

١٤ / باب السلطان والسياسة :

الاستهلال للباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع عليهم ومسؤول عنهم ، والمرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عنه)) (٢) ، فالحديث من الرسول الكريم وضّح وبَيّن مسؤولية كل إنسان عن رعيته ، وخصّ المرأة لأهميّة رعايتها .
قال أردشير لابنه : الملك والدين أخوان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أسّ ، والملك حارس ، فما لم يكن له أسّ فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع (٣) .
نلاحظ أنّ وصيّة أردشير لابنه عن الملك بمثابة دستور ومرجع يستمدّ منه ولكن يبقى رغم ذلك أنّ الملك كالنار من تباعد منه لم ينل من دفتها شيئاً ، ومن تقرب منه أحرقتة ، وقد اتفق حكماء العرب والعجم على النهي من صحبة السلطان وقالوا : ثلاثة لا يسلم عليها إلّا القليل : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السم على التجربة (٤) ، وكان يقال : قد خاطر بنفسه من ركب

(١) البيتان في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ١٣٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب (الأحكام) ، باب (قول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾) حديث رقم (٦٦٠٥) .

(٣) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٥ .

(٤) المستطرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ١١٩ .

البحر ، وأعظم منه خطراً من صاحب السلطان ^(١) ، وأيضاً الحكماء يقولون :
صاحب السلطان كراكب الأسد ، يخافه الناس ، وهو لمركوبه أخوف ، وإن سفّ
التراب ، وقضم العظم ، خير من الدنو من أبواب السلاطين ^(٢) ، وأيضاً قيل
لأعرابي : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه
السلطان ، وكان في كفاف وغنى ^(٣) .

ومن الأشعار الواردة في هذا الباب ، قول الغزال :
وإن أعطيت سلطاناً

فحاذر صولة الزمن

أخو السلطان موصوف

بحسن الرأي والفظن

فساعة ما يزاوله

رماه الناس باللعن ^(٤)

قال عبد الله بن محمد بن يوسف ^(٥) :

ما يشتهي قرب السلاطين

غير ضعيف العقل مجنون

لا تكذب عنهم فما صحبتهم

(١) المستطرف في كل فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

(٤) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ، الحافظ ، أبو الوليد بن الفرضي
القرطبي ، ولد سنة ٣٥١هـ ، له " كتاب تاريخ الأندلس " ، و " أخبار شعراء الأندلس " ،
و " كتاب المؤتلف والمختلف " ، بقي في داره ثلاثة أيام مقتولاً ، قتله البربر في الفتنة ، توفي سنة
٤٠٣هـ . الوافي بالوفيات ، ج ١٧ ، ص ٢٨٧ .

منهم على دنيا ولا دين ^(١)

ولكن رغم التحذيرات العديدة والشواهد القيّمة التي تنصّ على الابتعاد عن السلطان ، يجوز لنا أن نقول بأنّ خير الأمور أوسطها ، أي عدم الابتعاد عن السلطان نهائياً ؛ لأنّه مسؤول عنك ، وأيضاً لا يجوز التقرب والتودّد له فيحرقك بناره .

١٥ / باب الكتاب والكتابة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بحديث للرسول ﷺ : ((نحن أمة أمّية لا نكتب ولا نحسب)) ^(٢) ، فالحديث ينصّ على أنّ العرب أمّيون ؛ لأنّ الكتابة كانت فيهم قليلة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا ، حساب النجوم وتسييرها ، فلم يكونوا يعرفون من ذلك إلاّ اليسير ، لذا علّق الرسول الكريم ، حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب حركة النجوم والكواكب .
والحديث في الباب عامّة يدور على الحثّ على الكتابة وتحسينها ، وقد ذكر ابن عبد البر القرطبي ، حديثاً قيماً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لكاثبه عبيد الله بن أبي رافع ، يرشده فيه ، بقوله : إذا كتبت فألن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرّج بين السطور ، وقارب بين الحروف ^(٣) ، والقول من علي رضي الله عنه ، دليل على اهتمام العرب بالكتابة وتجويدها .

والعرب تسمّي كل صانع قيناً إلاّ الكاتب ، وذلك رفعة له ، وقالوا : القلم أحد

(١) البيهقي في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب (الصوم) ، باب (قول النبي : لا نكتب ولا نحسب) ، حديث رقم (١٧٨٠) .

(٣) معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ .

اللسانين ^(١) ، رفعة للقلم ، وقالوا : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً ^(٢) ، وذلك حثّ لتجويد الخط ، وقال المأمون : الخطّ لسان اليد ^(٣) .

قال ابن القرية : خطّ القلم يقرأ بكل مكان ، وفي كلّ زمان ، ويترجم بكلّ لسان ، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان ^(٤) .

ونخلص من هذا جلّه بالاعتناء بالكتابة والخط ، فالكتابة باقية يقرأها كل إنسان في أي زمان ، وهي أبقي من الحديث الذي لا يجاوز الآذان ، وتحسن إن كانت بخطّ جميل حسن .

ومن الجميل أن يورد ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، حكمة بالغة عن بعض الحكماء ، يوصون أبناءهم : يا بنيّ تزينوا بزي الكتاب ، فإنّ فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة ^(٥) .

١٦ / باب الظلم والجور :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بآية كريمة، يقول الله تعالى :
﴿...وَمَنْ يَظْلَمْ مِّنْكُمْ نُدْفِعْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ^(٦)، الآية الكريمة تنهي عن الظلم لسوء عاقبته
والظلم في وضع كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه ، وأخذ المرء
ما ليس له ^(٧) ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أي ما وضع الشبه في غير
موضعه ، وكلّ مسيء ظالم ، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة : أظلم من

^(١) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٥٧ .

^(٢) نهاية الأرب ، ج ٧ ، ص ١٤ . والقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

^(٣) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٩٧ .

^(٤) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٥٧ .

^(٥) عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٤٦ .

^(٦) سورة الفرقان ، الآية ١٩ .

^(٧) لسان العرب ، مادة (ظلم) .

حيّة ، وأظلم من ذئب (١) ، قال عمرو بن بحر : لأنّ الحيّة لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهي تقصد كلّ بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام ، فيهرب أهله عنه ويخلونه لها خوفاً منها (٢) .

وأيضاً ذكر ابن عبد البر القرطبي ، إنّ العرب تقول : إنّ المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان ، كتب من الظلمة (٣) ، وكيف لا يكون ظالماً وهو يميّز بين تلاميذه فالمعلم إنّ لم يكن عدلاً مشّت روح العدالة بينهم وفنيت .

وذكر أيضاً أنّ يوم القيامة يسلّط الله على أهل النار الجرب ، فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام ، فيقال لهم : هل يؤذيكُم هذا ؟ فيقولون : أي والله ، فيقال لهم : هذا ما كنتم تؤذون به المؤمنون (٤) .

وممّا جاء شعراً في هذا الباب ، قول عبيد بن أيوب العنبري (٥) ، وكان قد تاب فظلم ، فهمّ بمراجعة الضلال ، يقول :

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي

فتبت فازمعو أن يظلموني

فلست بصابر إلا قليلاً

فإن لم يرفعوا راجعت ديني (٦)

وقال زهير :

(١) مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ٦١٩ .

(٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

(٣) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٤) المستطرف في كل فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٥) هو : عبيد بن أيوب العنبري ، من بني العنبر ، من شعراء العصر الأموي ، كان لصّاً حاذقاً ، أبيح دمه ، وبرئ منه قومه فهرب في مجاهيل الأرض واستصحب الوحوش . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٣٤٠ .

(٦) البيتان في المحاسن والمساوي ، للشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٤٧٨ .

ومن لم يزد عن حوضه بصلاحه

يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم^(١)

وقال دريد :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه

وعزّ عنه جانباه واحتمى^(٢)

وقال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة فلعلّة لا يظلم^(٣)

وهذه الشواهد التي ساقها ابن عبد البر القرطبي تمثل أخلاق الفسّاق الذين لم يتأدّبوا بأدب القرآن ، ولا استنوّا بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة .

١٧/ باب العفو وكظم الغيظ :

استهلّ ابن عبد البر الباب ، بحديث للرسول ﷺ : ((من لا يرحم لا يرحم))^(٤) ، الحديث من الرسول الكريم يحثّ على رحمة العباد الموجبة لرحمة الله تعالى .

كان المأمون - رحمه الله - يحبّ العفو ويؤثره ، ويقول : لقد حُبب إليّ العفو حتى إنّي لأخاف أن لا أثاب عليه ، وكان يقول : لو علم أهل الجرائم لذّتي في العفو لارتكبوها ، وقال : لو علم الناس حبي للعفو ، لما تقرّبوا إليّ إلاّ بالجنايات^(١) .

(١) شرح ديوان زهير ، ص ٣٠ .

(٢) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(٣) ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ، ضبط وتصحيح ، مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (في قبلة الرجل ولده) ، حديث رقم (٤٥٤١) .

(١) المستطرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : إذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه ، وقال : أقبلوا ذوي المروءات عثراتهم ، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه ، وقال : إن أول عوض الحليم عن حلمه ، إن الناس أنصار له على الجاهل (٢) .

فالعفو محمود ، وله لذة يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفي يلحقها ذمّ الندم ، قال رجل لرجل سبه : إياك أعني ، فقال له : وعنك أعرض (٣) .

ومن عادة الكريم إذا قدر غفر ، وإذا رأى زلة ستر ، وليست من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام ، والذي يجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى ألا يجعل العقوبة شيمته ، وإن كان لا بدّ من الانتقام ، فليرفق في انتقامه ، إلا إن كان حدّاً من حدود الله تعالى .

قال محمد بن علي بن حسين : من كظم غيظاً يقدر على إمضائه ، حشا الله قلبه إيماناً (٤) ، فكظم الغيظ أيضاً من المعاني المحببة ، ويروى أن زياداً أمر بضرب عنق رجل ، فقال : أيها الأمير إن لي بك حرمة ؟ قال : وما هي ؟ قال : إن أبي جارك بالبصرة ، قال : ومن أبوك ؟ قال : يا مولاي إني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي ، فردّ زياد كمّه على فمه ، وضحك وعفا عنه (٥) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

١٨ / باب الغضب :

استهله ابن عبد البر القرطبي بحديث للرسول ﷺ يقول فيه : ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب)) ^(١) ، الحديث من الرسول الكريم يبين أنّ القوي ليس من يصرع الناس فيلقاهم أَرْضاً ، ولا يصرعونه ، وإنما ذاك الذي يملكه الغضب فيملك نفسه ، ولا يجعل غضبه قائداً له .

واستطرد ابن عبد البر القرطبي ليؤكد بأنّ الغضب يعمي القلوب ويجعل من الإنسان الضعيف أداة يحركها الغضب ، ويصبح بعدها نادماً متحسراً ، ثمّ أورد قولاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، يقول فيه : إنما يعرف الحلم ساعة الغضب ^(٢) ، فحقاً إنّ حلم الإنسان يبين ويظهر عند الغضب ، فيعفي ويتجاوز ، والغضب عدو للعقل وذلك بانقيادك له ، فكل العطب في الغضب .

قليل للشعبي : لأي شيء يكون السريع الغضب سريع الفئنة ، ويكون بطيء الغضب بطيء الفئنة ؟ قال : لأنّ الغضب كالنار ، فأسرعها وقوداً ، وأسرعها خموداً ^(٣) ، ويروى أيضاً أنّ المنصور ، أرد خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له جعفر بن محمد ^(٤) : يا أمير المؤمنين ، إنّ سليمان أعطي فشكر ، وإنّ أيوب ابتلي فصبر ، وأن يوسف قدر فغفر ، وقد جعلك الله من قبيل الذين يعفون ويصفحون ، فطفى غضبه وسكت ^(٥) .

(١) موطأ الإمام مالك ، كتاب (الجامع) ، باب (ما جاء في الغضب) حديث رقم (١٤٠٩) .

(٢) انظر المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٤) هو : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المعروف بالصادق رضي الله عنهما ، ولد سنة ٨٠ هـ ، قال عنه أبو حنيفة النعمان : " ما رأيت أفقه من جعفر ابن محمد " . الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، ص ٩٨ .

(٥) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

ومن الطيّب أن يكون الحليم قريب من سريع الغضب ، كي يكفكف من غلوائه ويبيصره ؛ لأنّ الغضب يعمي وصاحبه مغيباً لعقله ، والحكمة تقول : إذا غضب الرجل فليستلق ^(١) ، فخرج الرجل من مسرح الغضب واستلقائه على الفراش مساحة تخمد ما اشتعل من نار الغضب .

١٩ / باب الرجاء والخوف :

الاستهلال من ابن عبد البر القرطبي للباب بحديث للرسول ﷺ الذي يقول فيه عندما دخل على أحد أصحابه يعود ، فقال : ((كيف نجدك ؟ قال : أجدني أرجو وأخاف ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ما اجتمعتا في قلب رجل إلا أعطاه الله خير ما يرجو منه ، وأمنه من شرّ ما يخاف)) ^(٢) ، حديث الرسول الكريم يبجل فيه الرجاء والخوف ، فرجاء المؤمن وخوفه أفضل له ، وبهما يثاب من الله تعالى .

ذكر ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب وصيّة لقمان لابنه ، قال : يا بني أرج الله رجاءاً لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تيأسنّ فيها من رحمته فقال : كيف استطيع ذلك ولي قلب ؟ فقال لقمان : يا بني إنّ المؤمن كذي قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به ^(٣) ، وأيضاً قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خذوا عني هذه الكلمات ، فلو رحلتُم فيها المطي حتى أنضيتُموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلا ربّه ولا يخاف إلا ذنبه ^(٤) ، ومما ذكر من وصيّة لقمان وقول علي رضي الله عنه ، يتبين لنا أنّ من خاف ربّه ورجاه ، آمنه خوفه ولم يحرمه الله تعالى رجاءه ، ومن الطيّب ذكر ابن

(١) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب (الجناز عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء إنّ المؤمن يموت بعرق الجبين) ، حديث رقم (٩٠٥) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

عبد البر القرطبي قول بعض العلماء : إنّ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء
ومن لم يخف الله ، أخافه الله من كل شيء ^(١) ، وما أطيب قول العلماء هذا ، الذي
يبين أن مخافة الله تجعل كل الأشياء تخاف منه ، وعدمها تجعلك تخاف من كل
شيء .

ومن الشواهد الشعرية في هذا الباب ، قول الشاعر :
خف الله وأرجوه لكل عزيمة
ولا تطع النفس اللجوج فتندما
وكن بين هاتين من الخوف والرجاء
وأبشر بعفو الله إن كنت مسلماً ^(٢)

وقال الشاعر :
إذا ما اتقى الله امرؤً لأن جانبه
وقارب بالإحسان من لا يقاربه
يقول الفتى أرجو وأرجو وما له
نزوع عن الذنب الذي هو راكمه
ألا ليس يرجو الله من لا يخافه
وليس يخاف الله من لا يراقبه ^(٣)
ومن المؤمل في هذا الباب ربط ابن عبد البر القرطبي الرجاء بالخوف .

(١) انظر : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤٤٨ .

(٢) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(٣) الأبيات في المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

٢٠ / باب العافية والبلاء :

استهّل ابن عبد البر القرطبي هذا الباب ، بحديث للرسول الكريم ﷺ :
((سلوا الله العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، فإنه لم يؤت عبد بعد اليقين بالله بأفضل من المعافاة)) ^(١) ، حديث الرسول الكريم ، أبان بأن يسأل المؤمن الله تعالى العافية والقوة ، والمعافاة في حياته وآخرته ، وهي أفضل ما يسأل به العبد الله بعد اليقين به .

وفي حديث آخر للرسول ﷺ يقول فيه : ((من يرد الله به خيراً يصب منه)) ^(٢) ، وذلك لأنّ البلاء امتحان إن صبرت عليه ثبت ، وإن لا فلا قال عيسى عليه السلام : إنّما الناس مبتلى ، ومعافى ، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم ، وسلوا الله العافية ^(٣) ، وذاك حضّ على الرحمة للمبتلى ، وطلب العافية له والمؤمن يبتلى ويعافى ، فيكون بلاؤه كفّارة واستعتاباً ، والكافر يبتلى ويعافى ، فيكون مثل بعير عقل لا يدرّ فيم عقل ولا لم أرسل .

قال أكنم بن صيفي : العافية الملك الخفي ، أي أنّ المعافى كالملك قادر متقن ومن لا يريد أن يكون ملكاً ^(٤) .

ومن الشواهد الشعرية في هذا الباب ، قول منصور الفقيه :

رأيت البلاء كقطر السماء

وما تتبت الأرض من نامية

(١) سنن الترمذي ، كتاب (الدعوات عن رسول الله ﷺ) باب (في دعاء النبي) ، حديث رقم (٣٤٨١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب (المرضى) ، باب (ما جاء في كفارة المرضى) ، حديث رقم (٢٥١٣)

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

فلا تسألن إذا ما سألت

إلا هك شيئاً سوى العافية (١)

وقال بشار بن برد :

إنني وإن كان جمع المال يعجبني

فليس يعدل عندي صحّة الجسد

المال زين وفي الأولاد مكرمة

والسقم ينسبك ذكر المال والولد (٢)

وختم ابن عبد البر الباب بهذا البيت الذي يخبرنا ماذا نفعل إن رأينا مبتلى :

فإذا رأيت أخا البليّة فاستعذ

بالله من شرّ البلاء النازل (٣)

ونزيد على ذلك حديث الرسول الكريم ﷺ ، والذي هو بمثابة الدواء لكل

مبتلى ، إذ يقول فيه : ((ما من مسلم يمرض مرضاً أو يبتلى ابتلاءً إلا حطّ الله من خطاياه ، كما تحط الشجرة أوراقها)) (٤) .

٢١/ باب المرض والطب :

الاستهلال لهذا الباب من ابن عبد البر القرطبي بحديث الرسول الكريم ﷺ :

((من خير ما تداويتم به الحجابة)) (٥) ، كان الرسول ﷺ يدرّى الدواء ويوصي به

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(٢) ديوان بشار ، ج ٢ ، ص ١٨٨ . وفيه (ما يعدل) بدلاً عن (فليس يعدل) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (١٤٦١٣) .

(٥) مسند الإمام أحمد ، كتاب (أول مسند البصريين) ، باب (من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ) حديث رقم (١٩٣١٢) .

وفي الحديث يوصي بالحجامة ، وأيضاً كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، معرفة بالداء والدواء ، إذ ذكر له ابن عبد البر القرطبي ، قولاً فيه كلّ الشفاء ، أنّ قال : من ابتداء غداؤه بالملح أذهب الله عنه كلّ دائه ، ومن أكل إحدى وعشرين زبينة كل يوم ، لم ير في جوفه شيئاً يكرهه ، واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ولبنها دواء ، وسمنها شفاء ، والشحم يخرج مثله من الداء ، وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمك يذيب البدن ، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب والسواك وقراءة القرآن يذهب البلغم ، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء ، وليقلّ غشيان النساء ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، ما خفة الرداء ؟ قال : خفة الدين ^(١) .

والملاحظ إنّ ما أورده ابن عبد البر القرطبي ، فيما قاله علي بن أبي طالب عليه السلام يعدّ نصائح خالصة ، ودواءً شافياً على الإنسان الاسترشاد به .
والعرب تقول : طول انطباق الفم يورث البخر ^(٢) .

ومن الطريف في باب المرض والطب ، ما رواه ابن عبد البر القرطبي ، عن الأبخر الذي تزوّج امرأة ، وعندما ضاجعها عافته ، وتولّت عنه بوجهها ، ثمّ أنشدت تقول :
يا حبّ والرحمن إنّ فاكا

أهلكني فولني قفاكا

إذا غدوت فاتخذ مسواكا

من عرفط إنّ لم تجد أراكا

لا تقربني بالذي سواكا

إنّي أراك ماضغاً خراكا ^(٣) ^(٤)

(١) المحاسن والمساوي ، ص ٢٩٦ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٣) الأبيات في المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

ومما يدور في هذا الشأن أيضاً ، ما قاله الحارث بن كلدة ، طيب
العرب عندما سئل عن الدواء الذي لا داء فيه ؟ فقال : ألا يدخل بطن طعام
وفيه طعام (١) .

٢٢ / باب الطاعة والمعصية :

الاستهلال من ابن عبد البر القرطبي للباب بآية كريمة ، يقول تعالى فيها :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٢) ، فالآية
تبين وجوب طاعة العبد لله تعالى ، ورسوله الكريم ، وولاة أمور المسلمين .
من قواعد الشريعة المطهرة ، إن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية ، وإن
طاعة السلطان تؤلف شمل الدين ، وتنظم أمور المسلمين ، وعصيانهم يهدم أركان
الملة ، وإن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان ، ففي طاعته عصمة من كل فتنة
وبطاعته تقام الحدود وتؤدى الفروض ، وتحقق الدماء ، وتؤمن السبل ، والدليل على
هذا قول العلماء : إن طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها ، وإن الخارج من
طاعة السلطان منقطع العصمة بريء من الذمة ، وإن طاعة السلطان حبل الله المتين
ودينه القويم ، والخروج منها خروج من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ومن
غش السلطان ، زلّ وضلّ ، ومن أخلص له المحبة والنصح حلّ من الدين والدنيا في
أرفع محل (٣) ، وذكر أيضاً ابن عبد البر القرطبي ، قولاً حسناً من العتبي (٤) ، إذ

(١) المحاسن والمساوي ، ص ٢٩٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٤) هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، أديب ، كثير الأخبار حسن
الشعر ، من أهل البصرة ، له " كتاب أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن " و " الأخلاق والخيل "
توفي بالبصرة سنة ٢٢٨ هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

قال : خطب يزيد بن الوليد ^(١) فأوجز ، وقال : أيّها الناس ، الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فاطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم ^(٢) .

وهكذا يسرد ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب حديثاً جليلاً يدور حول الطاعة ولزومها على المؤمنين .

أمّا ما جاء في المعصية فقد أورد ابن عبد البر القرطبي قولاً لهند ، قالت فيه : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلّت آثاره ، والمعصية مقرونة بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مستك رحمته ، ونالك معروفه ^(٣) فحديثها درر لمن أراد أن يعرف المعصية وقبحها .

ومهما يكن من أمر فإنّ ابن عبد البر القرطبي ، قد أدار هذا الباب بحسن تصرف وتفنن ، لا يكون إلّا لمن امتلك ذخيرة وافرة في ماهية الطاعة والمعصية وهو أمر لا نستغربه ؛ لأنّه من عالم جليل له ناصية البيان .

(١) هو : يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ولد سنة ٨٦ هـ ، من ملوك الدولة مروانية الأموية ، توفي بدمشق سنة ١٢٦ هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٤٨ .

(٢) انظر : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

المبحث الثالث

١ / باب الغيبة والنميمة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بآية كريمة ، يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَيَلْ لَّكُلْ هُمْزَةٌ لُّمَزَةٌ ﴾ ^(١) ، أي الويل والثبور للطعان الآكل لحوم الناس .
وأيضاً ذكر ابن عبد البر القرطبي حديثاً للرسول ﷺ يقول فيه : ((من أقال عشرة أقاله الله يوم القيامة)) ^(٢) ، والحديث ترغيب للمسلم بأن لا ينال من أعراض المسلمين ؛ لينجيه الله تعالى يوم القيامة من عثرته ، وسئل الحسن البصري ، من رجل : إني اغتبت فلاناً ، وإنني أريد أن أستحلّه ، فقال له الحسن : لم يكفك إن اغتبتته حتى تريد أن تبهته ^(٣) .

من الملاحظ في هذا الباب كثرة الأدلة التي جاء بها ابن عبد البر القرطبي لبيان وضاعة من يتصف بالغيبة والنميمة ، وقد وفق في ذلك أيما توفيق ، إذ إن الباب كلّ واضح العبارة فيما سعى إليه ابن عبد البر القرطبي .
وكان لا بدّ أن نقف على بعض ما ساقه من شواهد تدل على بغض الغيبة والنميمة ، قال حذيفة بن اليمان ^(٤) : كفارة من اغتبتته أن تستغفر له ^(٥) .
قال عدي بن حاتم : الغيبة مرعى اللئام ^(٦) ، وقال أبو حاتم ^(٧) : أربح التجارة

(١) سورة الهمزة ، الآية ١ .

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (مسند أبي هريرة) حديث رقم (٧١٢٢)

(٣) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٤) هو : أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، العبسي ، حليف بني عبد الأشهل ، صاحب سر رسول الله ﷺ ، كان أبوه من سادات الصحابة المهاجرين ، توفي سنة ٣٦ هـ . الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، ص ٢٥١ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٩٨ .

(٦) محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ . والقول لقتيبة بن مسلم .

(٧) هو : محمود بن الحسن أبو حاتم القذويني ، فقيه شافعي ، ومتكلم حافظاً للمذاهب ، توفي سنة ٤٦٠ هـ . الوافي بالوفيات ، ج ٢٥ ، ص ١٤٨ .

ذكر الله ، وأخسر التجارة ذكر الناس ^(١) ، وقال الفضيل بن عياض ^(٢) : ذكر الناس داء ، وذكر الله شفاء ^(٣) ، وقال قتبية بن مسلم ، وقد سمع رجلاً يغتاب آخر : لقد مضغت مضغة طالما لفظها الكرام ^(٤) .

كلّ ذلك حديث طيّب وشواهد دامغة تبيّن قبح صفتي الغيبة والنميمة .

٢ / باب البغي والحسد :

استهله ابن عبد البر القرطبي بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((ما من ذنب هو أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)) ^(٥) ، حديث الرسول الكريم إنذار بمعاقبة الباغي وقاطع الرحم في الدنيا دون أن ينقص له عقاب الآخرة .

في هذا الباب أقف عند قول جاء به ابن عبد البر القرطبي عن ابن مسعود إنه قال : لا تعادوا نعم الله عزّ وجلّ ، قيل له : ومن يعادي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ^(٦) ، وذلك قول طيّب واستشهاد أطيب من ابن عبد البر القرطبي ، بياناً ودليلاً لاجتناب البغي والحسد ، وأيضاً ذكر حديثاً عن

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

(٢) هو : أبو الفضل بن عياض بن موسى بن عياض بن عمرو ، عالم بالنجوم واللغة ، وكلام العرب وآيهم وأنسابهم ، ولد سنة ٤٧٦ هـ ، وتوفي سنة ٥٤٤ هـ . وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٣) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٦٣٠ .

(٤) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٥ . وفيها (تلمظت بمضغة) بدلاً عن (مضغت مضغة) .

(٥) سنن الترمذي ، كتاب (صفة القيامة ، والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ) ، باب (منه) حديث رقم (٢٤٣٥) .

(٦) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

أنس بن مالك إنه مرّ على ديار خربة خاوية ، فقال : هذه أهلكها ، وأهلك أهلها البغي والحسد ، إنّ الحسد ليطفئ نور الحسنات ، والبغي يصدّق ذلك أو يكذّبه ، فإذا حسدتم فلا تبغوا ^(١) ، وسياقة قول أنس بن مالك يبيّن أنّ البغي والحسد عند أهل الدار موجبة بخرابها وهلاكها .

قيل : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكماء الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمقاتلة الجبن ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد ^(٢) . قال علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبغي ، فإنّهما يعدلان الشراك ^(٣) .

ومن الجميل في هذا الباب قولاً أورده ابن عبد البر القرطبي عن أبي الليث السمرقندي ^(٤) ، قال فيه : تصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود : أولاها غم لا ينقطع ، والثانية مصيبة لا يؤجر عليها ، والثالثة مذمة لا يحمد عليها ، والرابعة سخط الربّ ، والخامسة يغلق عنه باب التوفيق ^(٥) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٤) هو : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، السمرقندي ، الملقّب بإمام الهدى ، من أئمة الحنفية ، من تصانيفه : " تفسير القرآن " و " تفسير سورة الحاقة " و " عمدة العقائد " . الأعلام ج ٨ ، ص ٣٤٨ .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

٣ / باب السباب والمشاتمة :

استهل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ يقول فيه : ((إياكم والفحش ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش)) ^(١) ، حديث الرسول الكريم ﷺ نهي عن فعل القبح ، والذي نهى الله تعالى عنه ، كأن يقال : الغالب في الشر مغلوب .

وذكر أيضاً ابن عبد البر القرطبي ، قولاً لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، يخبرنا فيه عن الصفح عن المسيء ، والتجاوز عن سقطات المشاتم ، إذ جاء : شتم رجل أبا ذرّ فقال له : يا هذا لا تغرقن في شتمنا ، ودع للصالح موضعاً ، فإننا لا نكافي من عصا الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ^(٢) ، وذكر أيضاً ابن عبد البر القرطبي ، قولاً حسناً لأبي مسلم صاحب الدعوة ، يقول : عصابة الأشراف تظهر بأفعالها ، وعصابة الأذنياء تظهر بألسنتها ^(٣) .

الملاحظ في هذا الباب إن ابن عبد البر القرطبي ، بعد أن جاء بشواهد تنهى عن السباب والمشاتمة بين الناس ، أورد حديثاً طيباً عن سوء الظنّ ، وأطيب ما في ذلك سرده لحديث ابن عباس رضي الله عنهما ، يقول فيه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلّها سوء الظنّ بالله عزّ وجلّ ^(٤) .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالاً ؟ قالوا : من اتسعت معرفته وضاقّت قدرته ، وبعدت همّته ، وأسوأ منه حالاً ، من لم يثق بأحد لسوء ظنّه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله ^(٥) .

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة) ، باب (مسند عبد الله بن عمرو ابن العاص) ، حديث رقم (٦٥٠٢) .

(٢) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ١ ، ص ٤١٨ .

(٤) نهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٢١ .

(٥) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي ، في الظنّ قول
المتنبّي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدّق ما يعتاده من توهم^(١)

وفي تأملنا لهذا الباب نلاحظ تعدد الموضوعات التي عالجها ابن عبد البر
القرطبي ، بعناية تامّة إذ بدأ الباب بفضاعة السباب والمشاتمة ، وجاء فيهما بما لا يدع
مجالاً للشكّ في قبّحهما ، وقد أوفاهما حقهما كاملاً ، ثمّ تطرّق لسوء الظنّ ، وقد جاء
فيه بحديث طيّب ، يبيّن قبّحه .

٤ / باب الظنّ والركانة :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ ، يقول فيه :
((إياكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث))^(٢) ، حديث الرسول الكريم ﷺ
يحذّرنا من الظنّ ؛ لأنّه يؤدّي إلى الكذب والخديعة .

ثمّ سرد بعد ذلك ابن عبد البر القرطبي ، حديثاً طيباً يدور كلّه حول قبّح
الظنّ ، ويدعو في نفس الوقت إلى حسن الظنّ الذي إذا حسن أحسن به العمل ، وقد
بيّن ابن عبد البر القرطبي ، بصورة واضحة في هذا الباب الفرق بين الظنّ السيء
المنهي عنه ، والظنّ الحسن المرجو منه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حسن الظنّ بالله ألا ترجو إلا الله ، ولا تخاف
إلا ذنبك^(٣) .

(١) شرح ديوان المتنبّي ، وضعه عبد الرحمن البرقوني ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٢) موطأ الإمام مالك ، كتاب (الجامع) ، باب (ما جاء في المهاجرة) ، حديث رقم (١٤١٢) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ .

أما الزكّانة ، فهي الفهم والتفرّس ، أو الظنّ بمنزلة اليقين ^(١) ، وهي محمودة وخير من المماراة ، أي الشكّ والجدل ، ومما ساقه ابن عبد البر القرطبي لتأكيد هذا الأمر ، قول عبد الله بن الحسين بن علي رضي الله عنهم : المرء رائد الغضب فأخذى الله عقلاً يأتيك به الغضب ^(٢) .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك ^(٣) .

وذاك كلّ حديث طيّب من ابن عبد البر القرطبي ، وفق فيه أيما توفيق في توضيح ما تعذّر وصعب فهمه لنا ، ومن الملاحظ أيضاً إنّ ابن عبد البر القرطبي أكّد أنّ المرء يفسد الصداقة بين الصديقين ، وهو أحد أسباب القطيعة بين المتواصلين .

٥ / باب الكبر والتيه :

استهل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ يقول فيه : ((لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاء)) ^(٤) ، الحديث نهى عن الكبر والخيلاء ، وقد ذكر ابن عبد البر القرطبي قولاً لمحمد بن علي بن الحسين يقول فيه : يا عجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفة ، ثمّ يصير جيفة ، ثمّ لا يدري بعد ذلك ما يفعل به ^(٥) ، وإنّ مثل هذا القول كاف لكل مختال وصاحب تيه ، أن يرشد ويكف عن خيلائه ؛ لما تضمنه القول من بيان أصل الفخور وما سيصير إليه .

^(١) لسان العرب ، مادة (زكن) .

^(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٠٨ . .

^(٣) مجمع الأمثال ، الميداني ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ .

^(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة) ، باب (مسند عبد الله بن عمر ابن

الخطاب) ، حديث رقم (٤٦٥٢) .

^(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

وأفضل ما يمثّل لنا هذا الباب شعراً ، قول أبو العتاهية :

ما بال من أوّله نطفة

وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما

يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الأمر إلى غيره

في كل ما يقضى وما يقدر ^(١)

وأيضاً كان يقال : لولا ثلاث سلم الناس : شحّ مطاع ، وهوى متّبّع ، وإعجاب المرء بنفسه ^(٢) ، وأيضاً قال بعض الحكماء في هذا الشأن : البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها : العجب ، والنعمة التي لا يحسد عليها : التواضع ^(٣) . وقالوا أيضاً : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً ، كان جديراً ألاّ ينزل به مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والتواني ، والعجب ^(٤) .

هكذا على هذا النسق يسير الباب كلّ ذمّ للكبر والنتيه ، والتخويف منه ، وقد ختمه ابن عبد البر القرطبي ، بأبيات تحمل كلّ معاني الكبر والنتيه وما تصنعه لصاحبها .

قال منصور الفقيه :

قولوا لذواء الكنف

والمنشئين من نطف

(١) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٧٨ .

(٢) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ . والقول فيه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٤) لباب الآداب ، ص ٤٤٣ .

يا جيفاً من الجيف

ما لكم وللصلف (١)

وقال نصر بن أحمد :

ومن أمن الآفات عجباً برأيه

أحاطت به الآفات من حيث يجهل (٢)

وأعظم من ذلك كله ، إنّ الله تعالى حرّم الجنة على المتكبرين ، حيث قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ... ﴾ (٣) فقرن الله تعالى الكبر بالفساد .

٦/ باب التواضع والإنصاف :

استهله ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((ما تواضع عبد لله إلا رفعه الله)) (٤) ، كما وضّح الحديث فإنّ الذي يتواضع يرفع الله من قدره وشأنه ، قيل : التواضع سلّم الشرف (٥) .
ومن بديع ما ذكره ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قوله : لبس مطرف بن عبد الله (٦) الصوف ، وجلس مع المساكين ، فقبل له في ذلك ، فقال : إنّ أبي كان

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٢) البيت في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٣) سورة القصص ، الآية ٨٣ .

(٤) موطأ الإمام مالك ، كتاب (الجامع) ، باب (ما جاء في التعفف عن المسألة) ، حديث رقم (١٥٩٠) .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٦) هو : مطرف بن عبد الله الشخير الحرشي ، العامري ، زاهد من كبار التابعين ، له كلمات في الحكمة مأثورة ، ثقة فيما رواه من الحديث ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وأقام وتوفي بالبصرة سنة ٨٧هـ . الأعلام ، ج ٨ ، ص ١٥٤ .

جَبَّاراً ، فأحببت أن أتواضع لربي ، لعلّه أن يخفف عن أبي تجبّره ^(١) ، وقال مجاهد : إنّ الله تعالى لما أغرق قوم نوح ، شمخت الجبال ، وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال ، وجعل قرار السفينة عليه ^(٢) . ومن طريف ما ذكره ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول عبد الله بن المبارك : التعزز على الأغنياء تواضع ^(٣) .

ومن الشواهد الشعرية في هذا الباب ، قول أبو العتاهية :

إذا اصطحب الأقوام كان أدلّهم

لأصحابه نفساً أبرّ وأفضلاً

وما الفضل في أن يؤثر المرء نفسه

ولكنّ فضل المرء أن يتفضّل ^(٤)

أمّا ما جاء في الإنصاف ، استشهاد ابن عبد البر القرطبي ، بقول عبد الملك ابن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوّة ^(٥) .

وهذا حديث طيّب لمن عرف التواضع والإنصاف وقدرهما ، كان يقال : من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك ، وتنصف من هو مثلك ، وتنبّل على من هو فوقك ^(٦) .

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٤) ديوان أبي العتاهية ، ص ٣٤٥ .

(٥) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ .

ومن الشواهد الشعرية للإنصاف في هذا الباب ، قول معن بن أوس :
إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل ^(١)

وقال آخر :

آخ الكرام المنصفين وصلهم

وأقطع مودة كل من لا ينصف ^(٢)

والطريف في ختام هذا الباب ما ذكره ابن عبد البر القرطبي ، لجعفر بن سعد حين قال : ما أقلّ الإنصاف ، وما أكثر الخلاف ، الخلاف موكلّ بكلّ شيء ، حتى القذاة في رأس الكوز إذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردت أن تصبّ من رأس الكوز لتخرج ، رجعت ^(٣) .

٧ / باب الرأي والمشورة :

الاستهلال للباب بحديث للرسول ﷺ : ((المستشار مؤتمن)) ^(٤) ، الحديث من الرسول ﷺ حثّ للتشاور بين الناس ؛ ليعصمهم الله ويهديهم إلى حسن السبيل .
والمعروف إنّ الله لم يأمر نبيه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة ، على الرغم من أنّ الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وإن كان عالماً ، كما قيل : ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، ومن أعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعقله زلّ ^(٥) .

(١) البيت في العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ .

(٢) البيت بدون نسبة لأحد في البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤٩٨ .

(٣) انظر : كتاب الحيوان ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (في المشورة) ، حديث رقم (٤٤٦٣) .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٨ .

قال حكيم : المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي ^(١) .
وفي متن الباب أورد ابن عبد البر القرطبي سؤالاً ، كان لازماً أن يسأله بعد
هذا الحديث الطيب عن أهمية المشورة ، ألا وهو : من الذي يشاور ؟
وقد حدّد ابن عبد البر القرطبي ، لنا مسلكاً واحداً ، هو أن نشاور من نلتمس
فيه الخير الذي يخاف الله عزّ وجلّ .

ومن الشواهد التي ساقها ابن عبد البر القرطبي ، في اختيار المشاور ، قوله :
إنه مرّ حارثة بن زيد ، بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا إنك عجلان لشاورتك في
بعض الأمر ، فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع
والعطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يطلق ، والمضلل حتى يجد ، والراغب حتى
يمنح ^(٢) ، وقيل : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإنّ العاقل
يتقي على رأيه الذلل ، كما يتقي الورع على دينه الحرج ^(٣) ، وقال ابن المقفع : ثلاثة
لا آراء لهم : صاحب الخفّ الضيق ، وحاقد البول ، وصاحب المرأة السليطة ^(٤)
وقيل : لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصر فعلك ، ولا جباناً فيخوفك ما لا تخاف ، ولا
حريصاً فيعدك ما لا يرجى ^(٥) ، وقال ابن هبيرة ^(٦) ، لولده : لا تشر على مستبد
ولا على عدو ، ولا متلون ، ولا على لجوج ، ولا تكونن أولّ مستشار ، ولا أولّ
مشير ، وإياك والرأي الفطير ، وخف الله في المستشير ، فإنّ التماس موافقته لؤم

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ . ونهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٧٦ .

(٣) انظر : البصائر والزخائر ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٤) انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

(٥) نهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٧٦ .

(٦) هو : أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقيين ، بطلاً شجاعاً جواداً فصيحاً
اشتهر بكثرة الأكل وحبّه له ، قتل سنة ١٣٢ هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ٣٣٢ .

وسوء الاستماع منه خيانة (١) .

فلعمري هذا حديث حسن أجاد فيه ابن عبد البر القرطبي ، وأوفاه حقّه كاملاً .

٨ / باب كتمان السر وإفشائه :

استهل ابن عبد البر القرطبي الباب بقوله تعالى : ﴿ ... لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ (٢) ، فالآية تحض على كتمان الأمر عن إخوة سيدنا يوسف ، حتى لا يؤذى ، وفي هذا قال الصلتان العبدي :
وسرّك ما كان عند امرئ

وسر الثلاثة غير الخفي (٣)

وذكر ابن عبد البر القرطبي أيضاً قولاً لعمر بن العاص ، يقول فيه : ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنني كنت به أضيق صدراً ، حين استودعته إياه (٤) .

والسرّ تعرفه طائفة ، بأنّه : هو ما أسررتّه في نفسك ، ولم تبدّه إلى أحد ، فإذا أبديته لضيق صدرك عليه ، فلا تلوم من يفشه ، وخير ما يمثّل هذا القول شعراً قول الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه

فصدر الذي يستودع السرّ أضيق (٥)

(١) العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٥ .

(٣) البيت في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٥) البيت بدون نسبة لأحد في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

وطائفة أخرى ترى أنّ إفشاء السرّ نجاة من الغمّ والضيق ، معتمدين على ذلك
بقول سحيم الفقعسي (١) :

لا أكتُم الأسرار لكن أذيعها

ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي

وإنّ ضعيف العقل من بات ليلة

تقلّبه الأسرار جنباً إلى جنب (٢)

ومهما يكن من أمر فإنّ الرأي عند الطائفتين أعلاه جانب الحق ، إذ إنّ الحقّ
في حديث الرسول ﷺ ، في استهلاكية الباب ، والذي بيّن من خلاله أنّ السرّ يسرّ به
الإنسان إلى أخيه ، على نية ألاّ يفشه ، فإنّ إفشاه لم يصبح سرّاً .
ومن الطريف في هذا الباب إنّ ابن عبد البر القرطبي ، قد أبان وأوضح أنّ
النساء لا يحفظنّ سرّاً ، فإيّاك من السرّ إلى النساء ، في قوله : لا تطلعوا النساء على
سرّكم يصلح لكم أمركم (٣) .

ويبقى إنّ أفضل ما قيل في كتمان السرّ : كتمان الأسرار يدلّ على جواهر
الرجال ، كما أنّه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها ، فكذلك لا خير في إنسان لا
يمسك سرّاً (٤) .

(١) هو : سحيم الفقعسي ، شاعر رقيق الشعر ، كان عبداً نوبياً ، أعجمي الأصل ، اشتراه بنو
الحساس ، رآه النبي وكان يعجب بشعره ، قتله بنو الحساس وأحرقوه ، لتثيبه بنسائهم ، توفي
سنة ٤٠هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٢) البيتان في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .

(٤) المستظرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

٩/ باب الحرب والشجاعة والجبن :

استهلّ ابن عبد البر الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((لا تمنّوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فأصبروا)) ^(١) ، وحديث الرسول ﷺ يحثّ على تجنب الأعداء وإن جاء بهم القدر أمرنا بأن نثبت للقائهم ولا نوليهم الأدبار .

ثم ذكر ابن عبد البر القرطبي ، قولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إلى خالد بن الوليد : اعلم أنّ عليك عيونا من الله ترعاك وتراك ، فإذا لقيت العدو احرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تغسل الشهداء من دمائهم ، فإنّ دم الشهيد يكون له نوراً يوم القيامة ^(٢) ، فالشجاعة عماد الفضائل ، من فقدّها لم تكمل فيه فضيلة ، ويعبّر عنها بالصبر وقوّة النفس ، قال بعض الحكماء : أصل الخير كلّ في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه : الوجه الأوّل : إذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران ، وتكالتحت الأحداق بالأحداق برز من الصفّ إلى وسط المعترك يحمل ويكرّ وينادي : هل من مبارز ؟ والوجه الثاني : إذا نشب القوم واختلطوا ، ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت ، يكون رابط الجأش ، ساكن القلب ، حاضر اللبّ لم يخالطه الدهش ، ولا تأخذه الحيرة ، فيتقلّب تقلّب المالك لأمره ، القائم على نفسه والوجه الثالث : إذا انهزم أصحابه يلزم مؤخر الجيش ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوّهم ، فتقوى قلوب أصحابه ، ويرجى الضعيف ، ويمدّهم بالكلام الجميل ، ويشجّع نفوسهم ، من وقع أقامه ، ومن وقف حمّله ، ومن كبا به فرسه حماه ، حتى ييأس العدو منه ، وهذا أحمدهم شجاعة ^(٣) .

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (١٠٣٥٦) .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

هذا بمثابة دستور للشجاعة في الحرب ، وقد وُقِّع فيه ابن عبد البر القرطبي .
أمّا ما جاء عن الجبن ، فيكفي فيه استعادة الرسول ﷺ منه في قوله : ((اللهم
إني أعوذ بك من الهمّ والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن
والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) ^(١) .

ومن علامات الجبن التي ذكرها ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب
وصف الجبان بأنه إن أحسّ بعصفور طار فؤاده ، وإن طنت بعوضة طال سهاذه
يفزع من صرير الباب ، ويقلق من طنين الذباب ، إن نظرت إليه شذراً أغمى عليه
شهرًا ، يحسب خفوق الرياح قعقة الرماح ^(٢) ، ولكن يبقى إن أفضل ما يمثل حال
الجبن ، قول أبو دلامة عندما طلب منه روح بن حاتم المهلب ^(٣) القتال معهم ضدّ
الخرسانيين ، فأنشأ يقول :

إني أعوذ بروح أن يقربني

إلى القتال فيخزي بي بنو أسد

إنّ الدنو من الأعداء أعلمه

مما يفرّق بين الروح والجسد ^(٤)

فاستغفاه روح بن حاتم ، وأمر له بجائزة ^(٥) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب (الصلاة) ، باب (في الاستعاذة) ، حديث رقم (١٣٣٠) .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٣) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، الأزد ، أمير من الأجواد الممدوحين ، كان حاجباً
للمنصور ، وولى السند ثم البصرة والكوفة ، توفي سنة ١٧٤ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

(٤) الأبيات في معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٣٢٨ . وفيه (يقدمني) بدلاً عن (يقربني) ، و(البراز)
بدلاً عن (القتال) . و(البراز) بدلاً عن (الدنو) في البيت الثاني . و(الأقران) بدلاً عن (الأعداء) .

(٥) وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

١٠ / باب الاعتذار :

استهل ابن عبد البر الباب بحديث للرسول ﷺ : ((من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره ما لم يعلم كذبه)) ^(١) ، حديث الرسول الكريم ﷺ يأمرنا بقبول العذر من المسلم إلا إذا كان المعتذر كاذباً ، وإن علمنا بكذبه ، فلا قبول لعذره .
في متن هذا الباب ذكر ابن عبد البر القرطبي أنه معجب بقول الحسن ابن علي رضي الله عنه ، الذي يقول فيه : لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إليّ في أذني هذه لقبلت عذره ^(٢) ، وقول الحسن رضي الله عنه فيه كلّ السماحة للمسيء وقد حقّ لابن عبد البر القرطبي إعجابه بهذا القول ، لما فيه من سماحة .

قال الشاعر :

قيل لي قد أساء إليك فلان

وقعود الفتى على الضيم عار

قلت قد جاءنا فأحدث عذراً

ديّة الذنب عندنا الاعتذار ^(٣)

الباب كلّ على هذا المنوال يدور حول تحبب العذر إذا أخطأ الإنسان ، وكان التذكير لمن جاءك يعتذر أن تلقاه بالبشر والترحاب وتقبل عذره .
ومن الجيد في العذر الذي ذكره ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول الرشيد لأعرابي : بم بلغ فيكم هشام بن عروة ^(٤) هذه المنزلة ؟ قال : بحلمه عن سفيها ، وعفوه عن مسيئنا ، وحمله عن ضعيفنا ، لا منان إذا وهب ، ولا حقود إذا غضب ، رحب الجنان ، سمح البنان ، ماض اللسان ، قال : فأوماً الرشيد إلى كلب

^(١) صحيح البخاري ، كتاب (المغازي) ، باب (حديث كعب بن مالك) ، حديث رقم (٤٠٦٦) .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

^(٣) البيتان في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

^(٤) هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب إمام ثقة ، ولد سنة ٦١ هـ ، وتوفي سنة ١٤٦ هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ٢٠٩ .

صيد كان بين يديه ، وقال : والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحقَّ بها السؤدد ^(١)
وقال الأحنف : إياكم ورأي الأوغاد ، قالوا له : وما رأي الأوغاد ؟ قال : الذين
يرون الصفح والعفو عاراً ^(٢) .

ومن الأبيات الشعرية التي تدعو إلى الاعتذار في هذا الباب ، قول الشاعر :

إذا اعتذر الجاني محاذي العذر ذنبه

وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب ^(٣)

١١ / باب المواعيد :

الاستهلال للباب جاء بثناء الله عزّ وجلّ على سيدنا إسماعيل عليه السلام
بقوله : ﴿ ... إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴾ ^(٤) ، وروي أنّ رسول الله ﷺ انتظر
رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها ^(٥) ، وقال المثنى بن حارثة
الشيبياني ^(٦) : لئن أموت عطشاً أحبّ إليّ من أن أخلف موعداً ^(٧) .

هكذا الباب كلّه يدور حول منوال حمد المواعيد وإنجازها ، فيحيى بن خالد ابن
برمك يبيّن المواعيد وإنجازها بقوله : المواعيد شباك الكرام ، يصيدون بها محامد
الأخوان ، ألا تراهم يقولون : فلان ينجز الوعد ، وفي الضمان ، ويصدق في المقال

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) البيت في العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(٤) سورة مريم ، الآية ٥٤ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

(٦) هو : المثنى بن حارثة بن سلمة ، الشيباني ، صحابي ، من كبار القواد الفاتحين ، أسلم سنة

٩هـ ، وغزا بلاد فارس ، توفي سنة ١٤هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ١٥٨ .

(٧) نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ . والقول فيه لبعض قرناء العرب .

فلولا حسن موقع الوعد لبطل حسن مدحه (١) .

ومن الباب كله نخلص إلى أنّ الوفاء بالوعد من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة ، والخلال الحميدة ، يعظم المنجز في العيون ، وتصديق فيها خطرات الظنون والوعد وجه والإنجاز محاسنه ، والوعد سحابة والإنجاز مطره .

والقبح كلّ القبح في خلف المواعيد ، كما يقال : مواعيد عرقوب (٢) .

وقال كعب بن زهير متمثلاً مواعيد عرقوب (٣) في خلف الوعد :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وما مواعيدها إلّا الأباطيل (٤)

وتمثّلها أيضاً جبيهاء الأشجعي (٥) في قوله :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة

مواعيد عرقوب أخاه بيترب (٦)

(١) نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .

(٢) هو : عرقوب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، جاهلي ، يضرب به المثل في إخلاف المواعيد . الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٦ .

(٣) وعرقوب هذا رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له : إذا طلع نخلي ، ولمّا طلع أتاه فقال : إذ بلح ، فلمّا بلح أتاه ، فقال له : إذا زهى ، فلمّا زهى أتاه ، فقال : إذا رطب ، فلمّا أرطب أتاه ، فقال : إذا ثمر ، فلمّا ثمر جزّه ليلاً ، ولم يعطه شيئاً ، فضرب به المثل في خلف المواعيد . عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .

(٤) شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري المكتبة العربية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ص ٨ .

(٥) هو : يزيد بن خثيمة بن عبيد الأشجعي ، شاعر بدوي إسلامي ، من شعراء المفضليات ، يلقّب بـ(جبيهاء) . الأعلام ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(٦) البيت في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .

ومن جيّد الشعر في هذا الباب ، قول زياد الأعجم :

لله درك من فتى

لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا

د وحبّذا صدق البخيل ^(١)

وقال صالح بن جناح ^(٢) :

وإن جمع الآفات فالبخل شرّها

وشرّ من البخل المواعيد والمطل ^(٣)

وقال المثقّب العبدى ^(٤) :

لا تقولنّ إذا ما لم ترد

أن يتمّ الوعد في شيء نعم

وإذا قلت نعم فاصبر لها

بنجاح الوعد إنّ الخلف ذمّ ^(٥)

ومهما يكن من أمر فإنّ أفضل ما يزيّن باب المواعيد قول الحكماء : من

خاف الكذب أقلّ المواعيد ^(٦) .

(١) البيتان في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .

(٢) هو : صالح بن جناح ، اللخمي ، شاعر دمشقي ، من الحكماء ، أدرك التابعين ، تنسب له العديد من المقطوعات اللطيفة . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٣) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٤) هو : العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس ، شاعر جاهلي اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ، وممدوح أيضاً النعمان بن المنذر ، توفي سنة ٣٥ ق هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

(٥) البيتان في المفضليات ، المفضل الضبي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٢٩٣ . وفيه (القول) بدلاً عن (الوعد) وبين البيت الأول والثاني بيتين .

(٦) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤٩٢ .

١٢ / باب عيون من المدح :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((أرحم أمّتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأفضاهم علي بن أبي طالب ، وأقراهم أبي بن كعب ^(١) ، وأفرضهم زيد بن ثابت ^(٢) وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح)) ^(٣) ، والحديث من الرسول ﷺ مدح شاف لصحابته بالسمات التي ميّزتهم عن غيرهم .

والمدح وصف الممدوح بما يتحلّى به من أخلاق حميدة ^(٤) ، وقد مدح الله تعالى نبيّه أيّوب علي الصلاة والسلام بقوله : ﴿ ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٥) وأيضاً مدح نبيّه محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٦) ومدح المؤمنين بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(٧) .

(١) هو : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ، شهد العقبة وبدر ، من أخذ فقهاء الصحابة ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ . الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٢١ .
(٢) هو : زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ، أبو سعيد الأنصاري الخزرجي ، النجاري المدني الفرضي ، أحد كتّاب رسول الله ﷺ ، تعلّم له السريانية في ١٧ يوماً ، وأعتد عليه أبو بكر وعمر وعثمان في جمع القرآن وكتابة المصحف ، توفي بالمدينة سنة ٥٦هـ . الوافي بالوفيات ج ١٥ ، ص ١٥ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب (المقدمة) ، باب (فضائل خباب) ، حديث رقم (١٥١) .

(٤) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٥) سورة ص ، الآية ٤٤ .

(٦) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٧) سورة المؤمنون ، الآيتان ١ ، ٢ .

أما قول الرسول ﷺ : ((إذا رأيتم المادحين فأحثوا في وجوهه التراب))^(١)
قال عنه العتبي : هو المدح الباطل والكذب^(٢) ، لأنّ الرسول نفسه مدح الأنصار^(٣)
وقد مدح حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، الرسول ﷺ ، ولم يحثو التراب في
وجهيهما .

ومن أبلغ المدح مدح ساريا الدثلي^(٤) ، لرسول الله ﷺ :
فما حملت من ناقة فوق ظهرها
أبرّ وأوفى ذمة من محمد^(٥)

ومدحه حسان بن ثابت بقوله :
وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء

(١) صحيح مسلم ، كتاب (الزهد والرقائق) باب (النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه
فتنة) ، حديث رقم (٥٣٢٣) .

(٢) نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٣) مدحهم بقوله : ((يا معشر الأنصار ، إنكم لتكثرلون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع)) انظر
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٤) هو سارية بن زعيم الكناني ، الدثلي ، صحابي ، من الشعراء القادة الفاتحين ، اشتهر بالسرعة
والعدو ، أمره سيدنا عمر بن الخطاب على جيش إلى بلاد فارس سنة ٢٣هـ ، وهو الذي ناداه
سيدنا عمر في خطبته وناداه بقوله يا سارية الجبل . الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء
من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ٤
١٩٧٩م ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٥) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

خلقت مبراً من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء (١)

ومدحه عبد الله بن رواحة بقوله :

لو لم تكن فيه آيات مبيّنة

كانت بديهته تنبيك بالخبر (٢)

وكيف لا يمدح سيّد الخلق ، وقد مدحه الله تعالى وأثنى عليه ، فوالله لو أنّ
البحار مداد ، والأشجار أقلام ، وجميع الخلائق كتاب ، لما استطاعوا أن يجمعوا
النذر اليسير من بعض صفاته ، ولكلوا عن الإتيان ببعض معجزاته ، ﷺ .

ومن عيون ما قيل في هذا الباب شعراً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه أعفة أحسابهم

شمّ الأنوف من الطراز الأوّل (٣)

ومدح زهير بن أبي سلمى هرم بن سنان :

أخو ثقة لا تذهب الخمر ماله

ولكنه قد يذهب المال نائله

تراه إذ ما جئته متهللاً

كأنك تعطيه الذي أنت سائله (٤)

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص ٦٦ .

(٢) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، ص ٦٨ .

(٤) ديوان زهير ، ص ٦٨ . وفيه (أخي) بدلاً عن (أخو) ، و(لا تتلف) بدلاً عن (لا تذهب)
و(يهلك) ، بدلاً عن (يذهب) .

١٣/باب عيون من الذم :

الاستهلال لهذا الباب بحديث للسيدة عائشة رضي الله عنها : استأذن رجل على رسول الله ﷺ ، وأنا معه في البيت ، فقال : ((ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ، ثم قال : إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ، أو تركه الناس لشره)) (١) الحديث يدل على قبح الشر في الناس لدرجة أن يترك صاحبه ، ولا يؤذن له بالدخول والعاطفة التي تملي الذم هي عاطفة الحقد والكره والعداوة ، والذم يتلخص في البخل والغدر والجبن ووضاعة الأصل .

ومن أفذع أنواع الذم ما سرده ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، حكاية عن أعرابي ، قيل له : ما تتقم من أميرك ؟ قال : يقضي بالعشوة ، أي متخبطاً ويأكل الرشوة ، ويطيل النشوة (٢) ، وذم رجل آخر ، فقال : كان والله سيئ الروية قليل النقية ، شديد السعاية ، ضعيف النكاية (٣) ، وقال آخر : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف ، وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تنتظر نظر حسود وتعرض إعراض حقود (٤) .

ومن الشواهد الشعرية التي ذكرها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول القطامي ، في ذم قبيلة قيس :

ألا إنّما نيران قيس إذا شتوا

لطارق ليل مثل نار الحباب (٥) (٦)

(١) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (في حسن العشرة) ، حديث رقم (٤١٥٩) .

(٢) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٥١ .

(٥) الحباب : اسم رجل بخيل ، لا يوقد إلا ناراً ضعيفة ، مخافة الضيفان ، ف ضربوا بها المثل فقالوا : نار الحباب . الصحاح ، للجوهري ، مادة (حبب) .

(٦) البيت في الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٧٢٦ .

وقال حسان بن ثابت :

لا عيب في القوم من طول ومن عظم

جسم البغال وأحلام العصافير^(١)

وقال آخر :

فخير منك ما لا خير فيه

وخير من زيارتك القعود^(٢)

وقال حسان بن ثابت :

كأن ريحهم من قبح فعلهم

ريح الكلاب إذا ما مسّها المطر^(٣)

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الذمّ الذي قاله الحطيئة في أمّه يعدّ أقذع أنواع الذمّ

وأفبحه ، إذ إنّّه قال :

تتحي فاقعدي مني بعيداً

أراح الله منك العالمينا

ألم أوضح لك البغضاء مني

ولكن لا أخالك تعقلينا

أغربالاً إذا استودعت سرّاً

وكانونا على المتحدثينا

جزاك الله شرّاً من عجوز

ولقّاك العقوق من البنينا^(٤)

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص ٢٧٠ . وفيه (لا بأس) بدلاً عن (لا عيب) .

(٢) البيت لسهل بن هارون في كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

(٣) ديوان حسان ، ص ٢٨٣ . وفيه (بلّها) بدلاً عن (مسّها) .

(٤) ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان أمين ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٨م ، القاهرة

ص ٢٧٧ . وفيه تقدّم البيت الثالث على الثاني .

١٤ / باب العقل والحمق :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، إنّ الله تعالى أوحى إلى سيدنا موسى عليه السلام : أتدري لم رزقت الأحمق ؟ قال : لا ، قال : ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال ^(١) .

وابن عبد البر القرطبي ، يورد في الباب صفات العاقل والأحمق ، فيورد قولاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، عن العاقل ، يقول فيه : العاقل من لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة ^(٢) ، وقال أيضاً يوصي ابنه : لا مال أعوذ من العقل ولا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة كالمشاورة ، ولا حسب كحسن الخلق ^(٣) .

ومهما يكن من أمر فإن قول العتبي ، الذي أورده ابن عبد البر القرطبي ، عن العقل هو الداعي إلى التدبّر والتمحيص ، إذ إنه قال : العقل نوعان : أحدهما ما تفرّد الله بصنّعه ، والآخر ما يستقيده المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركّب ، فإنّهما إذا اجتمعا ، قوى كل منهما صاحبه ، كما أنّ النار في الظلمة نور للبصر ^(٤) ، ومما قيل في العقل :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها

إذا لم يزن حسن الجسوم عقول ^(٥)

أمّا ما جاء به ابن عبد البر القرطبي في الحمق ، فهو ما لا يحمله كتاب من

(١) نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٦١ ، وانظر : المستطرف في كل فن مستظرف ج ١ ، ص ٢٢ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ .

(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(٤) أنظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٥) البيت في البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ .

كثرتة ، إلا أنني اختصره فيما جاء تعريفاً له ، مثل قول أيوب ابن القريّة (١) : إن
تكلّم عجل ، وإن حدّث وهل ، وإن استنزل عن رأيه نزل (٢) ، وقال ابن الأعرابي :
سمّي الرجل أحمقاً ؛ لأنّه لا يميّز كلامه من رعونته (٣) .
ومن الشواهد التي ساقها ابن عبد البر في هذا الباب عن العقل والحمق ، قول
الشاعر :

عدوك ذو العقل أبقي عليك
من صاحب الجاهل الأحمق
وذو العقل يأتي حسان الأمور
ويعمد للأرشد الأوفق (٤)
وقال دعبل بن علي الخزاعي :
عداوة العاقل خير إذا
حصّلتها من خلّة الأحمق
لأنّ ذا العقل إذا لم يرع
عن حلمه استحيا فلم يخرق
ولن ترى الأحمق يبقى على
دين ولا ودّ ولا يتّقي (٥)

(١) هو : أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة بن سلمة ، والقريّة جدّته ، كان أعرابياً أمياً
ولكنّه يعدّ من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، قتله الحجاج سنة ٨٤هـ . وفيات
الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٤٧٧ .
(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ .
(٤) البيتان في المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ .
(٥) ديوان دعبل الخزاعي ، شرح مجيد طرّاد ، دار الجيل ، ١٩٩٨م ، بيروت ، ط ١ ، ص ١١٦
وفيه (يزع) بدلاً عن (يرع) .

قال بشار :

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا

صحوت وإن ماق الزمان أموق ^(١)

وقال قيس بن الخطيم :

وبعض الداء ملتمس دواه

وداء النوك ليس له دواء ^(٢)

ومن أطرف ما قيل في هذا الباب ، قول هشام بن عبد الملك في معرفة الأحق ، قوله : يعرف حمق الرجل بأربع : طول لحيته ، وشناعة كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته ، فدخل عليه ذات يوم رجل طويل العثون ، فقال هشام : أما هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاثة ؟ قالوا له : ما كنيته ؟ قال : أنا أبو الياقوت الأحمر ، قالوا : فما نقش خاتمك ؟ قال : وجاءوا على قميصه بدم كذب ^(٣) .

١٥/ باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السفهاء وألفاظ النوكى والجهلاء :

نلاحظ في هذا الباب إنه جاء على غير ما اعتمد ابن عبد البر القرطبي في استهلال الأبواب إذ إنه لم يستهله بآية أو حديث عن الرسول الكريم ﷺ ، وإنما استهله بإجابات النوكى والحمقى والجهلاء ، معتمداً على الطريف منها ، مثل ذكره : أرسل رجل من بني عجل بن لجيم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال مزهواً لابنه : يا بني بأي شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت أفقاً عينه وسمه الأعور ^(٤) ، وقيل لبرذعة الموسوسر : أيماً أفضل : غيلان ، أم معلّى ؟ قال : معلّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال :

(١) ديوان بشار ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ . وفيه (وما كنت) بدلاً عن (وما أنا) .

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ، عن ابن السكيت وغيره ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، مطبعة

المدني ، ط ١ ، ١٩٦٢م ، ص ١٦٢ . وفيه (شفاه) بدلاً عن (دواه) .

(٣) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٤) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

لأنّه لمّا مات غيلان ذهب معلّى إلى جنازته ، ولمّا مات معلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته (١) ، اشترى باقل ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة ، عنزاً بأحد عشر درهماً فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيّه ، وفرّق أصابعه ، وأخرج لسان ، يريد أحد عشر درهماً ، فلمّا عيروه قال : يلومون في حمقه باقلاً

كأنّ الحماقة لم تخلق

فلا تكثرُوا العزل في عيّه

فالعيّ أجمل بالأحمق

خروج اللسان وفتح البنان

أحبّ إلينا من المنطق (٢)

ومن الطريف أيضاً في أخبار الحمق ما ذكره الصولي (٣) عن ابن الجوهري إذ كان له تسبيح ظريف يسبحه إثر كل صلاة ، ويقول فيه : سبحانك يا عالمين والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلاّ الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين وأزواجه أمّهات المؤمنين ، ونسأل الله عوائق الأمور (٤) ، وأيضاً من الطريف في هذا الباب ، قول طحطاح لابنه يوماً : ما الذي تشتهيّه ؟ فقال : رأسى كبش ، فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأس كبشين (٥) ، وذكر أنّه قيل لمخنّث : ما لكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إنّ البرد ، وهي خيل البريد ، لا تعرف إلاّ بحنق أذناها ، أي تقصّ أذناها لتعرف فتسهل مهمّتها (٦) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .

(٢) الأبيات في المحاسن والمساوي ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ . وفيه (بالأموق) بدلاً عن (بالأحمق)

(٣) هو : محمد بن يحيى ، النديم ، كاتب مشهور . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٣٠٣ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

١٦/ باب الملح ، وما به النفس ترتاح من مباح المزاج :

أيضاً الباب جاء على غير عادة ابن عبد البر القرطبي ، إذ استهلّه بقول الأصمعي : وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح ^(١) .

ومن حسان الملح التي أوردها ابن عبد البر القرطبي ، ما كان من أشعب ، مع صديقه سالم بن عبد الله بن عمر ^(٢) ، إذ أتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، فمنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله ، وقال : إنهم يأكلون ، فمال عن الباب وتسوّر عليهم الحائط ، فلما رآه سالماً ، قال : سبحان الله يا أشعب ، علي عيالي وبناتي تتسوّر ؟ فقال له أشعب : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ، فقال سالم : انزل يأتك من الطعام ما تريد ^(٣) ، ويروى أن قوماً أخذوا في قطع فقدّموا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحد وقال : الله الله فيا ، فوالله ما كنت في شيء ممّا كانوا فيه ، وإنما كنت أشرب معهم وأغني لهم ، فقالوا : هاتِ فغنّ لنا فارتجت عليه الأشعار إلا قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي ^(٤)

فقالوا : صدق ، اضربوا عنقه ^(٥) ، ويروى أيضاً أن الشعبي ، كان يوماً جالساً في مجلسه ، والناس يتناظرون في الفقه عنده ، ومعهم شيخ يطيل السكوت ف قيل له : لو سألت عن مسألة تنتفع بها ، فقال : إنني لأجد في قفاي حكمة ، أفترى لي

(١) كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ .

(٢) هو : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشي العدوي ، أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين العلماء ، توفي بالمدينة ، سنة ١٠٦ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

(٣) انظر : كتاب الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٤٨ .

(٤) البيت في العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

أن أحتجم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي صيّرنا من الفقه إلى الحجامة ^(١) ، ويروى أن رجلاً جاء ومعه كلب ، يمرّان بابن أبي عتيق ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : وثّاب قال وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو ، فقال ابن أبي عتيق : وا خلافاه ! ^(٢) ، وأنشد يقول :

ولو هياً له الله

من التوفيق أسبابا

لسمّي نفسه عمراً

وسمّي الكلب وثّاباً ^(٣)

ومن أطرف الملح التي ختم بها ابن عبد البر القرطبي الباب ، ما يروى عن أبو القطف ، إذ إنّه خطب امرأة من قوم ، فأجابوه ، وقالوا له : لها من الضياع والمال كذا وكذا ، فما مالك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإنّ ما لها يكفيني وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالي ^(٤) .

١٧ / باب المزاح إباحة وكراهة :

استهل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((... قالوا : يا رسول الله إنّك تداعبنا ، قال : وإنّي لا أقول إلّا حقّاً)) ^(٥) فالرسول الكريم ﷺ كان يمزح ، ولا يقول في مزاحه إلّا حقّاً .

(١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٣) البيتان في كتاب الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦٤ .

(٥) سنن الترمذي ، كتاب (البر والصلة عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في المزاح) ، حديث رقم (١٩١٣) .

والخليل بن أحمد يقول : الناس في سجن ما لم يمازحوا ^(١) ، مزح الشعبي يوماً فقيل له : يا أب عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متناً من الغم ، فداء داخل وهواء خارج ^(٢) ، وقال جماعة من الناس لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمتّل :
نبئت أنّ فتاة كنت أخطبها

عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول ^(٣)

ثمّ قام ابن سيرين واستقبل القبلة وكبّر مفتتحاً صلاته ^(٤) .

ولكن يبقى إنّ كثرة المزاح تذهب الهيبة ، وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء ، كان يقال : لكلّ شيء بدء ، وبدء العداوة المزاح ^(٥) وقال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح ، فإنّه يذهب بماء الوجه ^(٦) ، وقد أوصى قتيبة ابن مسلم بنيه قائلاً : لا تمازحوا فيستخفّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترقّ أخلاقكم ولا تبخلوا فيزدرىكم أكفأؤكم ^(٧) .

ومن الملاحظ أنّ أهل الأدب أكثرهم نظم في المزاح ، ولكن هنالك من كرهوا المزاح ودمّوه ، وحسبنا منه ، عدم الإكثار فيه ، حتى لا يذهب بماء الوجوه ، وخير ما يمثّل هذا القول ، قول منصور الفقيه في نهيه الإكثار من المزاح ، بقوله :

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٣) البيت في العمدة ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٦) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٧) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

لا تكثرن من الفكا
هة في حديثك والدعابة
ودع الغريب من الكلا
م لأهله عن الخطابة
وإذا أصبت فكل ما
أغفلته دون الإصابة (١)

١٨ / باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول الكريم ﷺ
يقول فيه : ((المنافق إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أُوْتِمِنَ خان)) (٢)
الحديث من الرسول ﷺ ، يبيّن صفات المنافق .

ومما جاء حمداً في هذا الباب لصفتي الصدق والأمانة ، قولهم : لكلّ شيء
حلية وحلية النطق الصدق ، فهو محمود من كل إنسان ، وهو عمود الدين ، وركن
الأدب ، وأصل المروءة (٣) ، وقال عامر العدوانى ، في وصيته : إنّي وجدت صدق
الحديث طرفاً من الغيب ، فاصدقوا (٤) ، والصدق مطلوب وإن كنت تراه يوردك إلى
هلاك ، فإنّه ينقذك ، وخير ما يمثّل هذا ، خطبة الحجاج التي أطل فيها ، فقام رجل
وقال : الصلاة ، فإنّ الوقت لا ينتظرك ، والربّ لا يعذرك ، فأمر الحجاج بحبسه
فأتاه قومه ، وزعموا أنّه مجنون ، وسألوه أن يخلي سبيله ، فقال : إن أقرّ بالجنون
خليّته ، فقبل له ذلك ، فقال : معاذ الله لا أزعم إنّ ابتلاني ، وقد عافاني ، فبلغ ذلك

(١) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب (الإيمان) ، باب (بيان خصال المنافق) ، حديث رقم (٨٩) .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

الحجاج فغفى عنه (١).

أمّا ما جاء عن الكذب ، فمعروف أنّه يهدي إلى الفجور ، والفجور يقود إلى النار ، يقال : راوي الكذب أحد الكذابين ، وعمود الكذب البهتان (٢) ، وأيضاً إنّ الذي يلزم الكذب ويعوّده لسانه لا ينفك عنه ، كما قال يحيى بن خالد : رأينا شارب خمر نزع ، ولصّاً أفلع ، وصاحب فواحش رجع ، ولم نَرَ كذاباً صار صادقاً (٣) .
والشاهد على أنّ تعوّد الكذب يتجسّد المرء ، قول الأصمعي لكذاب : أصدقت قط ؟ قال : لولا أنّي أخاف أن أصدق في هذا لقلت لك : لا (٤) .

وجاء في ختام هذا الباب جواز الكذب في بعض المواضع ، إذ أنّ ابن عبد البر القرطبي أورد قولاً لبعض الحكماء مفاده : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه (٥) ، فالكذب يحمّد إذا وصل بين المتخاصمين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ، أو في حالة الحرب .

١٩ / باب الحق والباطل :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((رحم الله عمر بن الخطاب تركه الحق ليس له صديق)) (٦) ، حديث الرسول ﷺ يدلّ على عدم بطلان الحق ، وإنّ قدم فمراجعتة خير من التماذي في الباطل ، والحق في موطن الحق يعظّم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، قالوا : الحكمة تدعو إلى الحق

(١) المستطرف في كلّ فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٥) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٧ . والقول فيه لميمون بن ميمون .

(٦) سنن الترمذي ، كتاب (المناقب عن رسول الله ﷺ) ، باب (مناقب علي بن أبي طالب)

حديث رقم (٣٦٤٧) .

والجهل يدعو إلى السفه ، كما إنّ الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح ، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد ^(١) ، قال بعض الحكماء : لا يعدّ الرجل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً : إعطاء الحقّ من نفسه في حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه وألاً ترى له زلة عند ضجره ^(٢) .

ومهما يكن من أمر فإنّ أفضل ما قيل في هذا الباب عن الحقّ والباطل ، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى معاوية : أن إلزم الحقّ ، ينزلك الحقّ في منازل أهل الحقّ ، يوم لا يقضى إلاّ بالحقّ ^(٣) .

ومن الشواهد السابقة يتبيّن لنا إنّ لزوم الحقّ نجاة للإنسان .

ومن الشواهد الشعرية الواردة في هذا الباب قول لبّيد بن أبي ربيعة :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل ^(٤)

وقول أبو العتاهية :

الباطل الدهر يلقي لا ضياء له

والحقّ أبلج فيه النور يأتلّق ^(٥)

وقال الصلتان العبدي :

وللحقّ بين الناس راض وجازع

وللأذناب فيه للرءوس توابع

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

(٤) ديوان لبّيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، ١٩٦٦م ، بيروت ، ص ١٣٢ .

(٥) ديوان أبي العتاهية ، ص ٢٨٦ .

وليس الذنابي كالقدامى وريشه

وما تستوي في راحتين الأصابع ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بين الحقّ والبا

طل فرقاً لا يحيل

وعلى نيّة ذي القو

ل من القول دليل

فقل الحقّ وإنّ قيبـ

ل لك الحقّ ثقيل

فاتق الله إذا

شوورت وانظر ما تقول

لا يضرّتك إنّ قا

ل من الناس جهول

إنّ قول المرء فيما

لم يسئل عنه فضول ^(٢)

٢٠ / باب الحياء والوقار :

استهّل ابن عبد البر الباب بحديث للرسول ﷺ ، : ((لكلّ دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء)) ^(٣) ، فالحياء هو زينة المسلم ونهجه ، وهو نظام الإيمان ، فإذا انحلّ النظام ذهب بما فيه .

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٥٨٦ .

(٢) الأبيات في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٦ .

(٣) سنن ابن ماجّة ، كتاب (الزهد) ، باب (الحياء) ، حديث رقم (٤١٧١) .

يقال : الوجه المصون بالحياء ، كالجوهر المكنون في الوعاء ^(١) ، كما القناعة دليل الأمانة ، والأمانة دليل الشكر ، والشكر دليل الزيادة ، والزيادة دليل بقاء النعمة ، والحياء دليل الخير كله ^(٢) .

وإنّ أفضل ما قيل في الحياء والوقار في هذا الباب ، قول السيدة عائشة رضي الله عنها : مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق اللسان ، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الذمام للجار ، وحفظ الذمام للصاحب ، وقرى الضيف ، وأسهنّ الحياء ^(٣) .

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : ((إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)) ^(٤) ، واقتبس أبو تمام حديث الرسول الكريم ﷺ فقال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي

ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير

ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير

ويبقى العود ما بقي اللحاء ^(٥)

والوقار من الله ، فمن رزقه الله الوقار ، فقد وسمه بسيماء الخير .

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب (أحاديث الأنبياء) ، باب (حديث الغار) ، حديث رقم (٣٢٢٥) .

(٥) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف ، ١٩٦٤ م ، القاهرة ، مصر ج ٤ ص ٢٩٧ . وفيه البيت الأول ، هو الأخير .

قال صالح بن جناح ، عن الحياء والوقار :
إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه

ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه ^(١)

وقالت ليلي الأخيلية ^(٢) عنهما :

ومخرق عنه القميص تخاله

وسط البيوت من الحياء سقيما ^(٣)

نلاحظ إنّ ابن عبد البر القرطبي ، بما ساقه من شواهد في باب الحياء والوقار
قد أبان وأوضح وأوفاهما حقهما كاملاً .

٢١ / باب حسن الخلق وسوئه :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول عليه أفضل الصلاة
والسلام إذ يقول : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) ^(٤) ، الحديث يوضّح إنّ
الإيمان لا يكتمل إلّا بحسن الخلق ، والله تعالى لم يثني على نبيّه الكريم من فضائله
بمثل ما أثني عليه بحسن الخلق ، وأنّه على خلق عظيم .

فخلق النبي ﷺ القرآن ، يغضب لغضبه ، ويرضى لرضائه والحكمة تقول :
الرفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق ، والوحدة خير من جليس السوء
والجليس الصالح خير من الوحدة ^(٥) .

ويبقى على الإنسان المسلم أن يتأسّى بخلق الرسول ﷺ ، والذي بيّنه الحسن

(١) البيت في لباب الآداب ، ص ٢٨٥ .

(٢) هي ليلي بنت عبد الله الأخيلية ، شاعرة مشهورة ، تعدّ من أشعر النساء ، لا يقدّم عليها غير
الخنساء ، توفيت في عشر الثمانين من الهجرة . الوافي بالوفيات ، ج ٢٥ ، ص ٦ .

(٣) البيت في الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

(٤) سنن الدارمي ، كتاب (الرفاق) ، باب (في حسن الخلق) ، حديث رقم (٢٦٧٢) .

(٥) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ .

بن علي عليه السلام ، في قوله : الرسول أكرم ولد آدم على الله عزّ وجلّ ، أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله ، أوتي مفاتيح الدنيا فاختر ما عند الله تعالى وكان يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ويقول : أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ، ولا يأكل متكئاً ، ولا على خوان ، وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ، ويأكل القثاء بالرطب ، ويقول : برد هذا يطفئ حرّ هذا ، وكان أحبّ الطعام إليه اللحم ، ويقول : هذا يزيد في السمع ويحبّ الدباء " القرع " ، ويقول : يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيه من الدباء ، فإنّها تشدّ قلب الحزين ، وكان يكتحل بالإثمد ، ولا يفارقه في سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والإبرة يخطب بها ثوبه بيده ، وكان يضحك من غير قهقهة ، ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله ، تقول عائشة : سابقته فسبقته ، ولمّا كثر لحمي ، سابقته فسبقني وقال : هذه بتلك ، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكّل أو مشرب ولا ملبس (١) .

وساق ابن عبد البر لهذا الباب شعراً ، قول أبو العتاهية :

عامل الناس برأي رقيق

والق من تلقى بوجه طليق

فإذا أنت جميل الثنا

وإذا أنت كثير الصديق (٢)

(١) المستطرف في كل فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص ٢٨٥ .

٢٢/ باب حمد الحلم وذم السفه :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي هذا الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((يا أشجّ عبد القيس أو يا منذر ، فيك خصلتان يرضاها الله ورسوله : الحلم والأناة))^(١) وحديث الرسول ﷺ يبيّن صفتي الحلم والأناة وأنهما خصلتان يرضاها الله ورسوله الحلم محمود ، وقيل : إنه أرفع من العقل ، لأنّ الله تسمّى به ، وفيه قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة^(٢) .

ومن الطيّب في هذا الباب ممّا أورده ابن عبد البر القرطبي ، عن الحلم وذمّ السفه ، سؤال الرشيد لأعرابي : بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة ؟ قال : بحلمه عن سفيها ، وعفوه عن مسيئنا ، وحمله عن ضعيفنا ، لا منان إذا وهب ، ولا حقوق إذا غضب ، رحب الجنان ، سمح البنان ، ماض اللسان^(٣) .

ومن الملاحظ أنّ ابن عبد البر القرطبي أكثر في هذا الباب من الأبيات الشعرية الداعية إلى الحلم ، وذمّ السفه ، مثل قول أبو العتاهية :

فيا رب هب لي منك حلماً فإنني

أرى الحلم لم يندم عليه حلیم^(٤)

قال كعب بن زهير :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا

أصبت حلماً أو أصابك جاهل^(٥)

(١) صحيح مسلم ، كتاب (الإيمان) ، باب (الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين) حديث رقم (٢٤) .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) المستطرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٤) ديوان أبي العتاهية ، ص ٣٩٢ .

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير ، ص ٢٥٧ . وفيه (تقصر) بدلاً عن (تعرض) .

ومن الطريف في باب حمد الحلم وذم السفه ما سرده ابن عبد البر القرطبي عن عبد الله بن عمر في أنه كان يصطحب معه سفيهاً في سفره كي يردّ عنه إذا ما قابل سفيهاً (١) .

قال صالح بن جناح :
لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني
إلى الجهل في بعض الأحايين أخرج
وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً
ولكنني أرضى به حين أخرج (٢)
وقال أيضاً :

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً
وخيّرت أني شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا انصفت من ليس منصفاً
ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل (٣)

٢٣/ باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم :

استهلّ الباب ابن عبد البر القرطبي بحديث للمصطفى ﷺ يقول فيه : ((إياكم والشحّ ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة ففجروا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا)) (٤) ، حديث الرسول ﷺ تحذير من البخل وما يورد إليه .
والجود ، بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه ، وقيل : إنّ الجود والسخاء والإيثار معنى واحد ، فمن أعطى بعضاً وأمسك بعض ، فهو صاحب سخاء

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٢) البيت الأول في الصناعتين ، ص ٣٤٦ .

(٣) البيتان في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب (الزكاة) ، باب (في الشح) ، حديث رقم (١٤٤٧) .

ومن بذل الأكثر ، فهو صاحب جود ، ومن أثر غيره بالحاضر ، فهو صاحب إيثار ^(١) .

وأطيب ما أورده ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول الزبير بن العوام في خطبته بالبصرة ، التي قال فيها : أيّها الناس إنّ النبي ﷺ أخذ يوماً بعمامتي من ورائي ، وقال يا زبير إنّ الله يقول : أنفق ، أنفق عليك ولا تبخل فأبخل عليك ، أوسع يوسع عليك ، ولا تضيق فيضيق عليك ، واعلم يا زبير إنّ الله يحبّ الإنفاق ولا يحبّ الإقتار ، ويحبّ السماحة ، ولو على فلق تمرّة ، ويحبّ الشجاعة ولو على قتل حيّة أو عقرب ، واعلم يا زبير إنّ الله كنوز أموال سوى الأرزاق التي قسمها بين العباد محتبسة عنده لا يعطي أحداً منها شيئاً إلّا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله ^(٢) ، وبعض الحكماء يرون : إنّ أصل المحاسن كلّها الكرم ، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام ، وجميع خصال الخير من فروعه ^(٣) .

أمّا ما جاء عن البخل ، فهو جامع لمساوي القلوب ، وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء ، قالت أمّ البنين ، أخت عمر بن عبد العزيز ، عن البخل : أفّ للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ظريفاً ما لبسته ^(٤) .

ومما ساقه ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب شعراً ، قول زهير ابن

(١) المستطرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٢) لباب الآداب ، ص ١٧٢ .

(٣) المستظرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

على قومه يستغن عنه ويذمم^(١)

وقول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(٢)

وقول جرير :

إنّ الكريمة ينصر الكرام ابنها

وابن اللئيمة للنائم نصور^(٣)

٢٤/ باب المروءة :

استهّل ابن عبد البر القرطبي هذا الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ بقوله :
(حسب المؤمن دينه ، وكرمه تقواه ، ومروءته عقله)^(٤) ، الحديث من
الرسول ﷺ يبيّن أنّ مروءة المؤمن عقله .

وأورد ابن عبد البر القرطبي بعد حديث الرسول ﷺ بعض الشواهد على
فضل المروءة ، فقال : سئل عبد الله بن عمر عن المروءة والكرم والنجدة ، فقال :
أمّا المروءة فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعتة ، وحسن
المنازعة وإفشاء السلام ، وأمّا الكرم : فالتبرّع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال
والإطعام في المحل ، وأمّا النجدة : فالذبّ عن الجار ، والصبر في المواطن

(١) شرح ديوان زهير ، ص ٣٠ .

(٢) ديوان المتنبي ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٣) ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٣٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم
(٨٤١٩) .

والإقدام على الكريهة ^(١) ، والأحنف يرى المروءة : التفقه في الدين ، وبرّ
الوالدين والصبر على النوائب ، ويقول : لا مروءة لكذوب ^(٢) ، وروي عن الفضيل
ابن عياض : إنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة ، فقال : الكامل من برّ
والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح
ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته ^(٣).

ومن رقيق الشعر الذي أورده ابن عبد البر القرطبي في باب المروءة ، قول
رجل من بني قريع :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً

فمطلبها كهلاً عليه شديد ^(٤)

وقول الأحنف بن قيس :

فلو مدّ سروي ^(٥) بمال كثير

لجدت وكنت له باذلاً

فإنّ المروءة لا تستطاع

إذا لم يكن مالها فاضلاً ^(٦)

(١) انظر : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) انظر البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ .

(٤) البيت للمعلوط في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٥) السرو : المروءة والشرف ، لسان العرب ، مادة (سرا) .

(٦) البيتان ، في البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

المبحث الرابع

١ / باب امتحان أخلاق الرجال :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي هذا الباب بحديث للرسول الكريم ﷺ :
((الأرواح أجناد مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تتناكر منها اختلف))^(١)
الحديث يبيّن أنّ أرواح البشر وطبائعها مثل الجنود ما تشابه منها كان مؤتلفاً ، وما
تتأفر منها اختلف .

الحديث في الباب يدور حول أهميّة امتحان خلق الرجل قبل أن تتخذة أخاً لك
ومن الجدير بالذكر في هذا الباب ، إنّ ابن عبد البر القرطبي ، قد عمد إلى الشعر
كثيراً ، حتى يبيّن لنا مقصد الباب ، ولكن يجب التحرّز من أمر هام ألا وهو ، قد
يخبرك من سألته عن أخ أحببته ، وتريد أن تسأل عن خلقه ، فيجيبك بما يحول بينك
وبينه ، كان يقال : يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هوي ، وعند غضبه
إذا غضب ، وعند طمعه إذا طمع^(٢) .

ومن رقيق الشعر الذي جاء به ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول
الفضل بن عباس^(٣) :

إذا أردت وداد امرئ

فسل كيف كان لأخوانه

فإمّا رضيت فأحببته

وإمّا ترغبت عن شأنه^(٤)

(١) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (من يؤمر أن يجالس) ، حديث رقم (٤١٩٤) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٥١ .

(٣) هو : الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، ولد سنة ٩٥ هـ ، قرشي ، شاعر من فصحاء
بني هاشم ، عاصر الفرزدق والأحوص ، ومدح عبد الملك بن مروان ، فهو أوّل هاشمي مدح
أمويّاً . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ .

(٤) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٥١ - ٦٥٢ .

وقال آخر :

لا تحمدن أمراً حتى تجربّه

ولا تذرّه من غير تجرب (١)

وقال النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه

على شعث أيّ الرجال المهذب (٢)

وقال أبو الأصبع العدوان (٣) :

كلّ امرئ راجع يوماً لشيمته

وإنّ تخلق أخلاقاً إلى حين (٤)

وقال الآخر :

إذا شئت تعرف أصل الفتى

أجل لحظ طرفك في منظره

فإن لم يبين فانظر إلى

(١) البيت في الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ج ٢ ، ص ١٢٣١ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ١ ، ص ٢٨ .

(٣) هو : حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة ، من عدوان ، وينتهي نسبه إلى مضر ، شاعر جاهلي حكيم ، لقّب بـ(ذي الأصبع) لأنّ حيّة نهشت رجله ، فقطعها ، ويقال : كانت له أصبع زائدة ، من المعمرين ، توفي سنة ٢٢ ق هـ ، الأعلام ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٦ .

أفاعيله فهي من جوهره

فإن غاب عنك بهذا وذا

فلا تطلبنّ سوى محضره

فإنّ المحاضر سرّ الرجال

بها يعرف النذل من خير

بلوت الرجال وأفعالهم

فكلّ يعود إلى عنصره (١)

٢ / باب التودد إلى الناس :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بقول عمر بن الخطاب : إنّ الله إذا أحبّ عبداً حبه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم إنّ مالك عند الله مثل الذي الله عندك (٢).

وجاء : إنّ ممّا يصفّي ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيتّه ، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس (٣) .

ومن الدرر في هذا الباب التي ساقها ابن عبد البر القرطبي : قيل للعتّابي : إنّك تلقى الناس كلّهم بالبشر ، قال : دفع ضغينة بأيسر مؤونة ، واكتساب إخوان بأيسر مبذول (٤) .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر في هذا الباب ، قول ابن

(١) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٦١ - ٦٦٢ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٣) عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٥٤٢ .

عبد ربّه :

وإذا أحبّ الله يوماً عبده

ألقي عليه محبة في الناس ^(١)

وقال محمود الورّاق :

أخو البشر محمود على كلّ حالة

ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه

ولم أر مثل الجود للعرض حارسا ^(٢)

وقال كثير :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه

وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتبع جاهداً كل عثرة

يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب ^(٣)

وأشدّ ابن الأنباري عن أبيه :

إذا ما صديقي ساءني بفعاله

ولم يك عمّا ساءني بمفيق

صبرت على الضراء من سوء فعله

مخافة أن أبقى بغير صديق ^(٤)

^(١) ديوان ابن عبد ربّه ، تحقيق ، د. محمد رضوان الدايدة ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٨٧م سوريا ، ص ١١١ .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ .

^(٣) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ، حياته وشعره ، تأليف أحمد الربيعي ، دار المعارف مصر ، ص ٢١٤ .

^(٤) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٧٠ .

٣/ باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم :

استهّل الباب ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول الكريم ﷺ يقول فيه :
((خير الناس منزلة يوم القيامة : رجل آخذ بعنان فرسه يخيف العدو ويخيفونه))^(١)
الحديث من الرسول الكريم ﷺ يبيّن أنّ خير الناس منزلة عند الله يوم القيامة رجل
لوى عنان فرسه نحو العدو تارة يخيفهم ، وتارة يخيفونه .

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : الطمع فقر ، واليأس غنى ، والعزلة راحة من
جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة ^(٢) ، وقال أبو الدرداء : نعم
صومعة الرجل المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ، فإنّها تلغي
وتلهي ^(٣) والحكمة تقول : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي ^(٤)
وأكثم بن صيفي ^(٥) يرى : أنّ الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس
مكسبة لقرناء السوء ^(٦) ، ويرى بعض العلماء : إنّ العزلة عن الناس توقي العرض
وتبقي الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستزف الفاقة ^(٧) .

(١) سنن الترمذي ، كتاب (الفتن عن رسول الله) ، باب (ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة)
حديث رقم (٢١٠٢) .

(٢) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٣) انظر : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٩٢٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ .

(٥) هو : أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية ، التميمي ، حكيم العرب في
الجاهلية ، وأحد المعمرين ، أدر الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام ، فمات
في الطريق ، ولم ير النبي ﷺ ، وهو المعني بالآية ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، سورة النساء ، الآية ١٠٠ . توفي سنة ٩ هـ
الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٦) عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

(٧) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٢٦ .

وهكذا الباب كلّه ، يدور حول ، إنّ كان في الجماعة فضل ، فإنّ في العزلة سلامة .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، قول الحسن بن عبد الرحمن :

توحّشت ولكنّي

أسرّ بالوحشة أحيانا

وفي الوحشة ما يؤ

نس من صحبة من خانا ^(١)

وقال أيضاً :

يا حبّذا الوحشة من أنيس

إذا خشيت من أذى الجليس ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

برمت بالناس وأخلاقهم

فصرت أستاذس بالوحدة

ما أكثر الناس لعمري وما

أقلّهم في حاصل العدة ^(٣)

قال منصور الفقيه :

الناس بحر عميق

والبعد منهم سفينة

^(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ - ٦٧٣ .

^(٢) البيت في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ .

^(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٥٤ .

وقد نصحتك فانظر

لنفسك المسكينة ^(١)

وقال طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خالته

لا ترك الله له واضحة

كلّهم أروغ من ثعلب

ما أشبه الليلة بالبارحة ^(٢)

٤ / باب الصديق والعدو :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بقول لعلّي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته ^(٣) ، وقال أيضاً رضي الله عنه أبذل لصديقك كلّ المودّة ، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلّ المواساة ولا تقضي إليه بكل الأسرار ^(٤) .

ومن الطيّب أن يكون الصديق لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً كما بين ذلك الشاعر :

عدوّ صديقي داخل في عداوتي

وإنّي لمن ودّ الصديق ودود

فلا تقترب منّي وأنت عدوّ من

أصادقه فالخير منك بعيد ^(٥)

^(١) البيتان في معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٧٢٣ .

^(٢) ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٥ .

^(٣) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

^(٤) المحاسن والمساوي ، ص ٥٦٦ .

^(٥) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ .

واعلم أنّ صديقك إذا والى من تعادي ، فقد صار عدوّاً لك ، كما بيّن ذلك الشاعر :

إذا والى صديقك من تعادي

فقد عاداك وانقطع الكلام ^(١)

والأنكأ لعدوك ألاّ تعلمه أنّك اتخذته عدوّاً ، ولا تلتمس معاونته ، لأنّه بها تعطيه فضل قوّة يستكثر بها عليك في مخالفتك .

وقد أورد ابن عبد البر القرطبي ، أنّ كسرى ^(٢) ، جمع يوماً مرابته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أيّ شيء أنتم أشدّ حذراً ؟ قالوا : من العدو الفاجر والصديق الغادر ^(٣) ، وقال موسى بن جعفر ^(٤) : اتق العدو ، وكن من الصديق على حذر ، فإنّ القلوب إنّما سمّيت قلوباً لتقلّبها ^(٥) .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في ختام الباب ، قول منصور الفقيه :

احذر مودة مازق

مزج المرارة بالحلاوة

يحصي الذنوب علي أيـ

ـام الصداقة للعداوة ^(٦)

^(١) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٨٩ .

^(٢) هو : يزد جرد بن شهريار بن برويز ، المجوسي ، الفارسي ، هزمه جيش عمر بن الخطاب وتار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ٣٠ هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ .

^(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

^(٤) هو : موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أبو الحسن ، سابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية ، من سادات بني هاشم ، كان من أعبد أهل زمانه . الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٧٠ .

^(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٦٩١ .

^(٦) البيتان في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٠٧ . وفيه (شاب) بدلاً عن (مزج) و (العيوب) بدلاً عن (الذنوب)

وقال أيضاً :

احذر عدوك مرة

واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق

ـق فكان أعلم بالمضرة^(١)

وقال جحظة البرامي^(٢) :

لا تعدن للزمان صديقاً

وأعدوا الزمان للأصدقاء^(٣)

٥/ باب جامع متخير في الأخوان :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب ، بحديث للرسول ﷺ : ((المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالل))^(٤) ، الحديث من الرسول الكريم ﷺ يحتثنا على تخيير الأخ ، وخير ما اكتسب المرء الإخوان ؛ لأنهم معونته على حوادث الزمان ونوائب الحدثنان ، وعون في السراء والضراء ، قال الأوزاعي : الصاحب للصاحب كالرقة في الثوب ، إن لم تكن مثله شانتته^(٥) ، وقال المأمون ، للحسن بن سهل :

(١) البيتان في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، لبنان ج ٣ ، ص ١٢٧ . وفيه (أعرف) بدلاً عن (أعلم) .

(٢) هو : أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، صاحب فنون وأخبار ونوادر ومنادمة ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وتوفي سنة ٣٢٦هـ . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٤٧

(٣) البيت في نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ١٨٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (٨٠٦٥) .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

نظرت في اللذات فوجدتها كلّها مملولة ، سوى سبعة ، قال : وما السبعة يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم والرائحة الطيبة ، والفراش الوطيء ، والنظر إلى الحسن من كلّ شيء ، قال : فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال ؟ قال : صدقت ، وهي أولاهنّ ^(١) ، وقيل لخالد بن صفوان : أيّ أخوانك أحبّ إليك ؟ قال : الذي يسدّ خلّتي ، ويغفر زلّتي ويقلّ عثرتي ^(٢) ، وقيل لابن السماك ^(٣) : أيّ الأخوان أحقّ ببقاء المودّة ؟ قال : الوافر دينه ، الوافي عقله ، الذي لا يملك على القرب ولا ينساک على البعد ، إن دنوت منه داناك ، وإن بعدت عنه راعاك ، وإن استعنت به عضدك ، وإن احتجت إليه رفدك ، وتكون مودّة فعله أكثر من مودّة قوله ^(٤) .

ومن الشواهد الشعرية الواردة في هذا الباب ، قول عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكلّ قرين بالمقارن مقتدي

وصاحب أولي التقوى تتل من تقاهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي ^(٥)

قال سهل الورّاق :

تخير قريناً لا يعاب فإنّه

يقاس لعمري بالقرين قرينه

(١) المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٣) هو : السماك بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة ، الحافظ ، حجة بالكوفة ، مات

سنة ١٢٣ هـ . سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ٨ .

(٤) المستظرف في كلّ فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٥) البيتان في العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣١١ . وفيه (يقتدي) بدلاً عن (مقتدي) .

وشرّ خدين قاطع لخدينه

إذا حاد يوماً عن هواه خدينه (١)

وقال الحسن بن هاني :

يا واضعاً بيض القطا

تحت الزمامج للفراخ

لو أيقنت ما تحتها

لم تخل من فقر الصماخ

فسد الخلائق كلّهم

فانظر لنفسك من تؤاخ (٢)

وقال معن بن أوس :

إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتي

يمينك فانظر أيّ كفّ تبدّل (٣)

٦ / باب العتاب :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول : أعقل الناس أعزّهم لهم (٤) ، العتاب خير من الحقد ، ولا يكون العتاب إلا على زلّة ، وقد مدحه قوم ، وقالوا عنه : العتاب حدائق المتحابين ، ودليل على بقاء المودّة ، وذمّه

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٠٦ .

(٢) ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٧٩ . وفيه (نقر) بدلاً عن (فقر) ، و(الصماخ) بدلاً عن (الصماخ) .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٣٥ .

آخرون ، قال إياس بن معاوية : خرجت في سفر ومعى رجل من الأعراب ، فلمّا كان في بعض المناهل ، لقيه ابن عمّ له ، فتعانقا وتعتبا ، وإلى جانبهما شيخ من الحيّ ، فقال لهما : أنعما عيشاً إنّ المعاتبة تبعث التجنّي ، والتجنّي يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ، ولا خير في شيء ثمرته العداوة ^(١) .

ولكن لا يكون العتاب كذلك إلّا في كثرته ، فالعتاب محمود ، ولا شيء أحسن من معاتبة الأحباب ، ولا ألدّ من مخاطبة ذوي الألباب ، قال : بشار العقيلي :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنّه

مقارف ذنب مرةً ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت وأيّ الناس تصفو مشاربه ^(٢)

الإكثار من العتاب داعية إلى الإللال ، ومفتاح للقطيعة ، والاحتراز من كثرته واجب ، وهو لا يكون إلّا للصديق الحبيب ، قال العباس بن الأحنف :

لولا محبتكم لما عاتبتكم

ولكنتم عندي كبعض الناس ^(٣)

وقال نصر بن أحمد :

وتعاتب الأخوان فيما بينهم

بعث على الإجلال والإكرام

(١) المستطرف في كلّ فنّ مستطرف ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢) ديوان بشار بن برد ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ص ١٨٥ .

لولا اعترافي باعترافك في الذي
تأتي وتترك ما أتك ملامي (١)

وقال علي بن الجهم :
إذا ذهب العتاب فليس ودّ
ويبقى الودّ ما بقي العتاب (٢)

وقال ابن بسّام :
عاتب أخاك إذا هفا
واعطف بودّك واستعده
وإذا أتك بغيبة
واش فقل لم يعتمده (٣)

٧ / باب الثقل والطفيين :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب ، بقول الحسن البصري : في قوله
تعالى : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ (٤) ، قال : إنّها نزلت في الثقلاء (٥).
قال أبو أسامة حمّاد بن سلمة بن زيد القرشي المحدث : كنّا عند الأعمش
سليمان بن مهران الأسدي ، فجاء زائدة بن قدامة الثقفي ، فقال الأعمش حين رآه :
وما الفيل تحمله ميّتاً
بأثقل من بعض جلاسنا (٦)

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٢٨ .

(٢) البيت في العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ .

(٣) البيتان نسباً لمحمد بن بشار في المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٥) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٦) البيت في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه ، إذا استنقل رجلاً ، قال : اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه ^(١) ، قيل لأبي عمرو الشيباني ^(٢) : لأي شيء يكون الثقيل أثقل على الإنسان من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأنّ الثقيل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من النّقل ^(٣) ، وكان يقال : مجالسة الثقيل حمى الروح ^(٤) .

والطريف في هذا الباب ، ما ذكره ابن عبد البر القرطبي ، عن عبد الأعلى ابن مسهر الغساني ^(٥) ، إنّه قال : كان نقش خاتم أبي " أبرمت فقم " ، فكان إذا استنقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه ^(٦) .

قال طفيلي :

نحن قوم إذا دعينا أجبنا

ومتى ننسى يدعنا التطفيل

فنقل علّنا دعينا فغبنا

أو أتانا فلم يجدنا الرسول ^(٧)

وقال حبيب بن أوس ، عن النّقاء :

يا من تبرّمت الدنيا بطلعته

كما تبرّمت الأجفان بالسهد

(١) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) هو : عمرو بن شيبان بن زهل ، من بكر بن وائل ، نسابة مشهور . الأعلام

ج ٥ ، ص ٢٤٨

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

(٤) المحاسن والمساوي ، ص ٥٨٩ .

(٥) هو : الأعلى بن مسهر ، الغساني ، شيخ الشام الدمشقي ، ولد سنة ١٤٠ هـ ، وتوفي سنة

٢١٨ هـ . الوافي بالوفيات ، ج ١٨ ، ص ٧ .

(٦) عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٧) البيتان في المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ . وفيه (يجدنا) بدلاً عن (يجد) .

يمشي على الأرض مختالاً فأحسبه
لبغض طلعتة يمشي على كبدي^(١)

وقال عنهم الشعبي :
إنني أجالس معشراً
نوکی أخفهم ثقیل
قوم إذا جالستهم
صدئت بقربهم العقول
لا يفقهون مقالتي
ويدقّ عنهم ما أقول^(٢)

٨ / باب الشّماتة :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بقول الله عزّ وجلّ حاكياً عن موسى عليه السلام : ﴿ ... فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) ، فموسى عليه السلام ، يدعو ربّ العزّة ألاّ يشمّت به الأعداء ولا يجعله مع القوم الظالمين .

قيل لأيوب عليه السلام : أيّ شيء من بلائك كان أشدّ عليك ؟ فقال : شّماتة

(١) شرح ديوان أبي تمام ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة علي صبيح وأولاده ، ط ١
١٩٦٧م ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

(٢) الأبيات في العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ . وفيه (بليت) بدلاً عن (أجالس) ، و(بلّة) بدلاً عن (قوم) ، و(قولهم) بدلاً عن (مقالتي) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠ .

الأعداء^(١) ، وللرسول ﷺ حديث في هذا الشأن ، يقول فيه : ((لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك))^(٢) .

مما ذكره ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، قول ابن الكلبي^(٣) : لما مات رسول الله ﷺ ، شمتت به نساء كنده ، وحضر موت ، وخضبن أيديهن وأظهرن السرور لموته ، وضربن الدفوف ، فقال شاعر منهم :
أبلغ أبا بكر إذا ما جئته

إنّ البغايا رمنّ شرّ مرام
أظهرن من موت النبي شماتة
وخضبن أيديهن بالعنّام
فاقطع هديت أكفهنّ بصارم
كالبرق أومض في متون غمام^(٤)
وقال العلاء بن قرظة :
إذا ما الدهر جرّ على أناس
حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا^(١)

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب (صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ) ، باب (منه) ، حديث رقم (٢٤٣٠)

(٣) هو : عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، من بني كلب ، مؤرّخ ، من أهل الكوفة ، ضرير عالم بالأنساب والشعر ، توفي سنة ١٤٧ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ .

(٤) الأبيات في المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ١ ، ص ٢٧٠ . وفيه (بني) بدلاً عن (شر) و(بالعلام) بدلاً عن (بالعنّام) .

من الملاحظ أنّ الشواهد الشعرية في الشّمات التي ذكرها ابن عبد البر
القرطبي في هذا الباب كثيرة ، ويبقى إنّ أبلغ ما جاء فيها ، قول عبد الله بن أبي
عبيّنة :

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى

فتهون غير شماتة الحساد (٢)

وقول عدي بن زيد العبادي :

أيّها الشامت المعير بالدّهـ

ر أنّت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيـ

ـام أم أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلّدن أم من

ذا عليه من أن يضام مجير (٣)

وقول عبد الله بن المبارك :

لولا شماتة أعداء ذوي حسدٍ

أو أن أنال بنفعي من يرجيني

لما خطبت من الدنيا مطالبها

ولا بذلت لها عرضي ولا ديني (٤)

(١) البيتان في الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

(٢) البيت في المستطرف ، ج ١ ، ص ٤٤ . وفيه (الأعداء) بدلاً عن (الحساد) .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

(٤) البيتان بدون نسبة لأحد في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٩ .

٩/ باب مؤاخاة من ليس على دينك :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((المرء على دين خليله ، فليُنظر امرؤ من يخالّل)) ^(١) ، الحديث ينصّ على أنّ المرء يعتاد ما يراه من أفعال صحبه ، ولهذا أمر ألاّ يصحب إلاّ من يرى منه ما يحل ويجمل فإنّ الخير عادة ، قال عدي بن زيد في هذا المعنى :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكلّ قرين بالمقارن مقتدي ^(٢)

وقد قطع ابن عبد البر القرطبي ممّا لا يدع مجالاً للشكّ في هذا الأمر ، بأن لا يخالط الإنسان من يحمله على غير ما يحمد من الأفعال والمذاهب ، وأمّا من يؤمن منه ذلك فلا حرج في صحبته ، مستشهداً على ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ... ﴾ ^(٣) .

وقيل لسعيد بن جبیر ^(٤) : المجوسي يوليني خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم ، قيل : فإن سلّم عليّ ، أفأردّ عليه ؟ قال : نعم ^(٥) .

ومهما يكن من أمر فإنّ على المسلم أن يقتدي بالرسول الكريم ﷺ وصحابته والتابعين ، في هذا الأمر ، فالصحابية والتابعين رضوان الله عليهم ، كانوا يبدعون بالسلام كل من لقوه من مسلم أو ذمّي ، ويرون أنّه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المار

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) باب (باقي المسند السابق ، حديث رقم ٨٠٦٥) .

(٢) البيت في العقد الفريد ، ج ٢ ، ٣١١ . وفيه (يقتدي) بدلاً عن (مقتدي) .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(٤) هو : سعيد بن جبیر ، الأسدي ، الكوفي ، أبو عبد الله ، تابعي ، أعلم أهل الكوفة على الإطلاق حبشي الأصل ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس ، وابن عمر ، ولد سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ٩٥ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

(٥) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

القاعد الذمّي ، والراكب المسلم الذمّي الماشي ، وإن فعل فلا حرج عليه ، وقالوا : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا واسم من أسماء الله نفسيه بيننا ^(١) .

قال ابن مسعود : إن من التواضع أن تبدأ بالسلام كل من لقيت ^(٢) ، وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال : تردّ عليهم ولا تبدؤهم ، فقال محمد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لم ؟ قال : لقوله تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ... ﴾ ^(٣) ^(٤) .

١٠ / باب الوالد والولد :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي ، الباب بحديث للرسول ﷺ : قال رجل : من أبرّ يارسول الله ؟ قال : ((أمّك ، قال : ثمّ من يا رسول الله ؟ قال : أمّك ، قال : ثمّ من ؟ قال : أمّك ، قال : ثمّ من ؟ قال : أباك ثمّ أدناك)) ^(٥) ، الحديث يدور حول أهميّة الوالدين وحقوقهما ، والباب يدور حول ، حقّ الوالدين والأبناء وحسن تربيتهم وقد وفق ابن عبد البر القرطبي في ذلك أيّما توفيق ، وقد أورد عدّة شواهد تثبت ذلك منها : قول يزيد بن أبي حبيب ^(٦) : كان العلماء يقولون : حقّ الأمّ أعظم من حقّ الأب ، ولكلّ حقّ ^(٧) ، وأفضل ما جاء في حقّ الأمّ ، عندما رأى ابن عمر رجلاً

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ - ٧٥٣ .

(٢) عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٤) كتاب الإمتاع والمؤانسة ، تأليف أبي حيان التوحيدي ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب (الأدب) باب (من أحق الناس بحسن الصحبة) ، حديث رقم (٥٥١٤)

(٦) هو : يزيد بن سويد الأزدي ، مفتي أهل مصر في صدر الإسلام ، وأوّل من أظهر علوم الدين والفقه بها ، وهو نوبياً أسوداً ، أصله من دنقلا . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٣٦ .

(٧) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

بالبيت حاملاً أمّه ، وهو يقول لها : أتريني جزيتك يا أمة ؟ فقال ابن عمر : ولا طلبة واحدة (١) .

ورأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبي قال : لا تدعه باسمه ، ولا تجلس قبله ، ولا تمشي أمامه (٢) .

نستلهم من الشواهد التي ساقها ابن عبد البر القرطبي التي أوردها في هذا الباب : إنّ برّ الوالدين كفارة للكبائر ، والآثار في برّ الوالدين كثيرة جداً ، وقد نصّ الله في كتابه العزيز من خفض الجناح لهما والحضّ على برّهما ، يقول تعالى : ﴿ وَاخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٣) .

قال أبو محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنات ، والله عزّ وجلّ يحاسب على النعم ، ويجازي على الحسنات (٤) ، وسأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف ابن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماؤهم ظليلة ، وبهم نصول عند كلّ جليلة ، فإن طلبوا فاعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودّهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم غفلاً ، فيتمنوا موتك ، ويكرهوا قربك ، ويملّوا حياتك ، فقال له معاوية : لله أنت ، لقد دخلت عليّ وإنّي لمملؤ غيظاً على يزيد ، ولقد أصلحت من قلبي ما كان فسد (٥) .

حتى إنجاب البنين والبنات قد غاص فيه ابن عبد البر القرطبي وعالجه بروية ، تتمّ عن فهم عميق ، وإيمان لا يعتريه الشكّ ، ومن لطيف ما أورده في هذا

(١) المحاسن والمساوي ، ص ٥٥١ .

(٢) كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٢٤ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

السياق ، ما رواه عن الزياتي (١) ، إنه قال : كنت رجلاً مُنثاثاً ، فقيل لي : أكثر من الاستغفار وقت الجماع ، ففعلت ، فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً (٢) ، وقال في هذا الشأن منصور الفقيه :

لولا بناتي وسياتي
لذبت شوقاً إلى الممات
لأنني في جوار قوم
نغصني قربهم حياتي (٣)

وقال آخر :
وما كلُّ منثاثٍ سيشقى ببنته
وما كلُّ مذكرٍ بنوه سرور (٤)

١١ / باب الأقارب والعشيرة :

الاستهلال لهذا الباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول الكريم ﷺ : ((ما من ذنب أجدر بأن تعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم)) (٥) ، الحديث يبين لنا فظاعة الظلم وقطع الرحم ، وإنَّ صاحبهما يعاقب عليهما في الدنيا ، مع ما ينتظره من عقاب في الآخرة

ولو لم يكن من معرفة الأقارب والعشيرة إلا الاعتزاز بها من صولة الأعداء

(١) هو : عبد الله بن أبي إسحاق ، فقيه محدث . الأعلام ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٧١ .

(٣) البيتان في معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٧٢٤ .

(٤) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٧١ .

(٥) سنن الترمذي ، كتاب (صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ) ، باب (منه) ، حديث رقم (٢٤٣٥) .

وتتازع الأكفاء ، كان الاحتماء بها من أحزم الرأي ، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، فإنك بهم تصول ، وبهم تطول وهم العدة عند الشدة ، أكرم كريمهم ، وعد سقيمهم ، وأشركهم في أمورك ، ويسر عن معسرهم ^(١) ، قيل : إذا كان لك قريب ، فلم تمش إليه برجليك ، ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته ، ويقال أيضاً : حق الأقارب : إعظام الأصغر للأكبر ، وحنو الأكبر على الأصغر ^(٢) .

هكذا الحديث من ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب درراً يرسلها ، لمن وعي ، حاثاً على الاعتناء والاهتمام بالأقارب والعشيرة .

وقد عالج ابن عبد البر القرطبي ، ظلم وقطيعة ذوي القربى بأبيات من الشعر معلقاً عليها ، بأنه أقبح الظلم وأعنفه ، مثل قول بشار بن برد :

ولا خير في قربي لغيرك نفعها

ولا في صديق لا تزال تعاتبه

يخونك ذوي القربى مراراً وربما

وفي لك عند الجهد من لا تقاربه ^(٣)

وقال الأضبط بن قريع ^(٤) :

فصل حبال البعيد إن وصل الـ

حبل وأقص القريب إن قطعه ^(٥)

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢١ .

(٣) ديوان بشار ، ج ١ ، ص ٣٥١ . وفيه (الجهل) بدلاً عن (الجهد) .

(٤) هو : الأضبط بن قريع ، من بني عوف بني كعب بني سعد ، رهط الزبرقان بن بدر ، شاعر جاهلي . الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٥) البيت في البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٤٤ .

وقال ابن العميد :
آخ الرجال من الأبا
عد والأقارب لا تقارب
إنّ الأقارب كالعقا
رب أو أشدّ من العقارب (١)
وقال طرفة بن العبد :
وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند (٢)

١٢ / باب المملوك والمالك :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((لا
يدخل الجنّة سيئ الملكة)) (٣) ، حديث الرسول ﷺ يوضّح إنّ الذي يسيء معاملته
خدمه ومملوكيه ، لا يدخل الجنّة .
والحكماء يقولون : أذكر عند قدرتك وغضبك ، قدرة الله عليك ، وعند حكمك
حكم الله فيك (٤) ، وذلك لأنّ أنعم الناس عيشاً من حسنّ عيش غيره في عيشه
والإحسان إلى الخادم يذهب بؤسه وشقائه ، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
كان آخر كلام رسول الله ﷺ : ((أوصيكم بالصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت
أيمانكم)) (٥) .

(١) البيتان ، يتيمة الدهر ، ج ٣ ، ص ٢١١ . وفيه (بل أضرت) بدلاً عن (أو أشدّ) .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ، ص ٣٦ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب (البر والصلة عن رسول الله) ، باب (ما جاء في الإحسان إلى الخدم)
حديث رقم (١٨٦٩) .

(٤) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (في حق المملوك) ، حديث رقم (٤٤٨٩) .

هكذا يسرد ابن عبد البر القرطبي الشواهد التي تنص على الفرق بالخادم المملوك ، والعمل على تأديبه بأحسن الآداب والطاعات ، وفي متن الباب يذكر بأنّ العبد إن كان سيء الخلق ، لا يطيع مالكة ولا يتورّع ، فعلى مالكة زجره وضربه قال بشار بن برد :

الحرّ يلحى والعصا للعبد

وليس للمحلّف مثل الردّ (١)

وقال يزيد بن مفرغ (٢) :

العبد يزجر بالعصا

والحرّ تكفيه الملامة (٣)

وقال المتنبي :

لا تشتتر العبد إلاّ والعصا معه

إنّ العبيد لأنجاس مناكيد (٤)

ومهما يكن من أمر ، فإنّ المملوك إن كانت الحوجة له قائمة ، فالعمل على تأديبه وتعليمه والاعتناء به ، وإلاّ الاستغناء أفضل ، كما روى ابن عبد البر القرطبي ، عن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أنّه اشترى عبداً من بني الحساس ، اسمه سحيم (٥) ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ، وكتب إلى عثمان ابن عفّان رضي الله عنه : إنّني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً ، فكتب إليه عثمان : لا حاجة

(١) ديوان بشار ، ج ١ ، ص ٥٥٨ . وفيه (يوصي) بدلاً عن (يلحى) .

(٢) هو : يزيد بن زياد بن ربيعة ، الملقّب بمفرغ ، الحميري ، شاعر غزل ، وهجاءً مقزّعاً توفي سنة ٦٩ هـ ، الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٣٥ .

(٣) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣٩ . وفيه (يقرع) بدلاً عن (يزجر) .

(٤) شرح ديوان المتنبي ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٥) هو : سحيم ، عبد بني الحساس ، كان حبشياً معلطاً قبيحاً ، اشتهر بتشبيهه بالنساء ، مات مقتولاً في خلافة عمر بن الخطاب . الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

لي به ، فإنّما حظّ أهل العبد الشاعر ، إذا شبع شبيب بنسائهم ، وإذا جاع هجاهم ^(١) ولنا في قول الصحابة والتابعين أسوة حسنة .

١٣ / باب الذكر والثناء :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم ، قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن ، والثناء السيئ ، أنتم شهداء الله في الأرض بعضكم على بعض)) ^(٢) حديث الرسول الكريم يبيّن لنا كيف نميّز بين الأخيار والأشرار ، فالأخيار هم أصحاب الثناء الحسن ، والأشرار هم أهل الذكر السيئ ، ودائماً يتبع الثناء الحسن الرجل الخير ؛ لأنّ الثناء صحيفته وعنوانه .

أثنى رجل على رجل ، فقال : هو أفصح أهل زمانه إذا حدّث ، وأحسنهم استماعاً إذا حدّث ، وأمسكهم عن الملاحاة إذا خولف ، يعطي صديقه النافلة ، ولا يسأله الفريضة ، له نفس عند الفحشاء محصورة على المعالي ، مقصورة كالذهب الإبريز الذي يعزّ كلّ أوان ، والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان ، هو النجم المضيء للحيران ، والمنهل العذب للعطشان ^(٣) .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر في هذا الباب ، قول الحسن ابن هاني :

إذا نحن أثنيّا عليك بصالح

فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

(١) الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٣٠٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب (الزهد) ، باب (الثناء الحسن) ، حديث رقم (٤٢١١) .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة

لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني ^(١)

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً
فافعل ^(٢) ، أخذ الحكمة ابن دريد ، فقال :

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثاً حسناً لمن وعى ^(٣)

وكان أبو عمرو بن العلاء ، يتمثل دائماً بالبيت الذي يقول :
وسيبقى الحديث بعدك فانظر

خير أحوثة تكون فكنها ^(٤)

قال أبو العيناء ^(٥) :

إذا أعجبتك طباع امرئ

فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات

حجاب إذا جنّته يحجبك ^(٦)

^(١) ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ، ص ٦٤٧ .

^(٢) البيتان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

^(٣) البيت في العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

^(٤) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٧٩٥ .

^(٥) هو : محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر الهاشمي ، أديب فصيح ، من ظرفاء العالم ، ومن أسرع الناس جواباً ، اشتهر بنوادره ولطائفه ، حسن الشعر ، خبيث اللسان في سب الناس ، توفي سنة ٢٨٣هـ . الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٣٤ .

^(٦) البيتان في ديوان المعاني ، للإمام أبي هلال العسكري ، عنيت بنشره مكتبة القدس ١٣٥٢هـ - القاهرة ، ج ١ ، ص ١٠٧ . وفيه (خصال) بدلاً عن (طباع) ، و(تكن) بدلاً عن (يكن) .

وهكذا الباب كلّ من ابن عبد البر القرطبي ، حتّى على تمثّل الخير ، لتجد الثناء ، وتخلّف الذكر الحسن ، إلّا أنّنا نعيّب عليه الإكثار من الشواهد الشعرية ، دون التطرّق إلى ما جاء عن هذا الباب في الكتاب الكريم ، والتقليل من الاستشهاد بالسنة النبوية المطهرة .

١٤/ باب البكاء على ما مضى من الأزمان ، والتلهّف على صالح الأخوان ، والحنين إلى الأوطان :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، لعبد الله بن عمر : ((فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس ، قد مرجت عهدهم ، وخفّت أماناتهم)) ^(١) ، الحديث من الرسول الكريم لعبد الله بن عمر ، يسأله عن حاله إذا ما أصبح مع حضيض الناس الذين لا يوفون بعهده ، ولا أمانة لهم .

والباب يدور حول الحنين على الزمان الماضي ، واللهفة عليه ، والحنين إلى الأوطان ، وقد جاء فيه ابن عبد البر القرطبي بحديث جزل أوفى به ما قصده وأراد مستشهداً فيه بحكم وأشعار أصابت ما رمى إليه ، ومن الحكم التي ساقها في هذا الباب : قيل لبعض الحكماء : بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قالوا : بحنينه إلى أوطانه ، وتلهفه على ما مضى من زمانه ^(٢) ، وروي لأبي العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى وطنه ، وتشوّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه ^(٣) .

وحقاً إنّ الحنين إلى الوطن والأخوان والحزن على ما مضى من الزمان ، لا

^(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة) ، باب (مسند عبد الله بن عمرو ابن العاص) ، حديث رقم ، (٦٢١٩) .

^(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

^(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

يكون إلا من الوفي ذو العهد .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، قول
أبو العتاهية :

لله أزمنة عهدت رجالها

في النائبات وإنهم لكرام ^(١)

وقال عتبة الأعور :

ذهب الذين أحبهم

وبقيت فيمن لا أحبه

إذ لا يزال كريم قو

م فيهم كلب يسبه ^(٢)

وقال الأحوص :

ذهب الذين أحبهم سلفاً

وبقيت كالمفقود في خلف

من كل مطوي على حنق

متصنع يكفى ولا يكفى ^(٣)

^(١) ديوان أبي العتاهية ، ص ٣٩٥ .

^(٢) البيتان في كتاب الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

^(٣) البيتان في المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٥ . وفيه (كالمقهور) بدلاً عن (كالمفقود)
و(متضجع) بدلاً عن (متصنع) .

١٥ / باب مدح مغالبة الهوى وذمّ إتباعه :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((حبّك الشيء يعمي ويصم)) ^(١) ، حديث الرسول الكريم ﷺ يوضّح أنّ الهوى إن غلب عليك ، صيرّك كالأعمى والأصم .

قيل : إنّ العقل والهوى يصطرعان ، فأيهما غلب ، مال بصاحبه ^(٢) ، وقال بعض الحكماء ، من نظر بعين الهوى ، خاف ، ومن حكم بالهوى جار ^(٣) ، وقال سفيان الثوري ^(٤) : أشجع الناس أشدّهم من الهوى امتناعاً ^(٥) ، وقيل : إنّ هشام ابن عبد الملك ، قال بيت شعر واحد ، هو :

إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى

إلى بعض ما فيه عليك مقال ^(٦)

والحكمة تقول : إنّما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ، ليتجرّد له رأيه من هواه ^(٧) ، وقالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن ، إلّا ذمّه ^(٨) .

ومن الشواهد السابقة ، يتبيّن لنا أنّ الهوى غالب ، والقلوب مغلوّبة ، وأنّ

^(١) سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (في الهوى) ، حديث رقم (٤٤٦٥) .

^(٢) انظر : العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .

^(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٢ ، ص ٨١٠ .

^(٤) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق ، الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ بالكوفة سنة ٩٧ هـ . وتوفي سنة ١٦١ هـ . الأعلام ج ٣ ، ص ١٥٨ .

^(٥) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

^(٦) البيت في المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

^(٧) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٨١١ .

^(٨) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨١١ .

الهوى عدوّ العقل ، وإن كنت ذو حزم ورأي ، وعرض لك أمران ، ولم يحضرك
من تشاوره ، فاجتنب أقربهما إلى هواك ، واعلم أنّه إذا غلب عليك عقلك فهو لك
وإن غلب عليك هواك ، فهو لعدوك .

ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول
الزبير بن عبد المطلب :

واجتنب البوائق حيث كانت

واترك ما هويت لما خشيت (١)

وقول الآخر :

إذا حار ذهنك في معنيين

وأعياك حيث الهوى والصواب

فدع ما هويت فإنّ الهوى

يقود النفوس إلى ما يعاب (٢)

وقال آخر :

الحبّ زور والهوى باطل

والقلب ما أجرите يجري

وترك ما تهوى يسير إذا

أعملت فيه سعة الصدر (٣)

وقال عبد الله بن معاوية :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكنّ عين السخط تبدي المساويا (٤)

(١) البيت في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٨ . وفيه (المقاذع) بدلاً عن (البوائق) .

(٢) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٨١٤ .

(٣) البيتان في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨١٥ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ١١ .

١٦/ باب معنى عشق النساء والهوى فيهن :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أَسْلَبَ لعقول ذوي الألباب منكن)) ^(١) حديث الرسول ﷺ ، يبيّن أنّ النساء أقدر على سلب عقول الرجال ، وذلك يكون بدلالهنّ وعشقهنّ .

سئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغل قلب فارغ ^(٢) ، وممّا رواه ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، قول المأمون ، عندما حضر عنده يوماً يحيى بن أكثم ، وثمانمة بن أشرس ، فقال المأمون ، ليحيى : خبرني عن حدّ العشق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها ، وتسمّى عشقاً ، فقاطعه ثمانية ، قائلاً : اسكت يا يحيى فإنّما عليك أن تجيب في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا ، فقال المأمون : أجب يا ثمانية ، فقال : يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة ، بوصل المشاكلة ، أثقبت لمح نور ساطع تستضيء به بواطن العقل ، فتهتزّ لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصوّر من ذلك اللحم نور حاضر بالنفس ، متّصل بجوهرها ، فيسمّى عشقاً ^(٣) ، وقد ذكر رجل أيام شبابه ، وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوى شربته النفس أيام شبابه ، فاستخفت بالعاذلات وعتابها ^(٤) ، ووصف بعض الأدباء العشق ، فقالوا : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مملّك ، مسالكة لطيفه ، ومذاهبه متضادة ، وأحكامه سائرة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها وأعطي عنان طاعتها ، وقاد تصرفها ، توارى الأبصار مدخله ، وغمض في القلوب

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (٨٥٠٧) .

(٢) لباب الآداب ، ص ٤٤١ .

(٣) انظر : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٢ ، ص ٨١٨ .

مسلكه ^(١) وقد مدح العشق آخرون بقولهم : لو لم يكن في العشق إلاّ إنّه يشجّع قلب الجبان ، ويسخي كفّ البخيل ، ويصفّي ذهن الغبي ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عند الملوك ، وتصارع له صولة الشجاع ، وينقاد له كل ممتنع ، لكفى به شرفاً ^(٢) .

وذاك كلّ حديث طيّب عن العشق في النساء ، وفقّ فيه ابن عبد البر القرطبي وكعاداته ، في الغالب الأعمّ أن يختم الباب بطرفة ، تجد القبول ، فقد أورد في هذا الباب أنّ أبو القمقام بن بحر السقا ، عشق امرأة مؤسرة ، فأطمعته في نفسها ، فبعث يستهديها طعاماً ، وفعل ذلك أكثر من مرّة ، ولمّا أكثر عليها ، بعثت إليه ، تقول : رأيت العشق يكون في القلب ، ويفيض إلى الكبد ، ثمّ يستبطن الأحشاء ، وحبّك لا أراه تجاوز المعدة ^(٣) .

ومن الشواهد الشعرية التي ذكرها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول العباس بن الأحنف :

يقربّ الشوق داراً وهي نازحة

من عالج الشوق لم يستبعد الدار ^(٤)

وقال أبو العتاهية :

أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوّتي

فلم يبق إلاّ الروح والجسد النضو

رأيت الهوى حجر الغضا غير أنّه

على كلّ حال عند صاحبه حلو ^(٥)

^(١) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ .

^(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٥٠ .

^(٣) الإمتاع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ٨ .

^(٤) ديوان العباس بن الأحنف ، ص ١٤٨ .

^(٥) ديوان أبي العتاهية ، ص ٤٧٩ . وفيه (جمر) بدلاً عن (حجر) .

١٧/ باب في وصف النساء بالحسن والرقّة :

الاستهلال لهذا الباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، عن أنس بن مالك أنّه قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، ومعه نساؤه وكان له حادٍ يحدو بهنّ ، يقال له أنجشة ، فقال رسول الله ﷺ : ((يا أنجشة ويحك أرفق بالقوارير)) ^(١) ، حديث الرسول الكريم ﷺ يبيّن أنّ النساء ضعاف يسرع إليهنّ الكسر ، ولا يقبلن الجبر .

وصف أعرابي المرأة فقال : كاد الغزال يكونها ، لولا ما تمّ فيها ونقص منه ^(٢) ووصفهنّ آخر قائلاً : طعائن في سوافهنّ طول ، غير قبيحات العطول ، إذا مشين أسبلن الذيول ، وإذا ركين أثقلن الحمول ^(٣) .

أورد ابن عبد البر القرطبي عدّة شواهد في وصف النساء وكلّها دقيقة فيما يحمد من المرأة ، مثل وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنّه قال : تدفي الضجيع وتروي الرضيع ، يعني بعظم ثدييها ^(٤) ، وكانت العرب تفضّل المرأة ذات الشحم قال ابن شبرمة : سمعت محمد بن سيرين ، يقول : ما رأيت على رجل لباساً أزين من فصاحة ، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم ^(٥) ، وكان يقال : لو قيل للشحم أين تذهب ؟ لقال : أقوم العوج ^(٦) .

^(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (أنس بن مالك) ، حديث رقم (١٢٣٠٠)

^(٢) عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

^(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ .

^(٤) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٥١ . والمستطرف في كل فن مستطرف ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

^(٥) عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

^(٦) معجم الأمثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ٦٤ .

ومن الشواهد الشعرية الواردة في هذا الباب ، قول الراعي :

لهنّ حديث فاتر يترك الفتى

خفوق الحشا مستهلك اللبّ طامعا ^(١)

وقال بشار بن برد :

وحديث كأنه قطع الرو

ض زهته الصفراء والحمراء ^(٢)

وقال أيضاً :

ولها مبسم كغرّ الأفاحي

وحديث كالوشي وشي البرود ^(٣)

وقال حميد بن ثور :

منعمة لو يصبح الذرّ سارياً

على جلدها بضّة مدارجه دماً ^(٤)

١٨ / باب النظر إلى الوجه الحسن :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي ، الباب بآية كريمة ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... ﴾ ^(٥) ، فالله تعالى يأمر المؤمنين أن يغضّو
أبصارهم من المحرّمات .

^(١) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨ .

^(٢) ديوان بشار ، ج ١ ، ص ٥٨ .

^(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥ . وفيه (مضحك) بدلاً عن (مبسم) .

^(٤) ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٥١م ، القاهرة ، ص ١٧ . وفيه (نضّت) بدلاً عن (بضّت) .

^(٥) سورة النور ، الآية ٣٠ .

والرسول ﷺ ، منع الفضل بن العباس ^(١) ، وهو رديفه عام حجة الوداع من النظر ، إلى الخثعمية ، وصرف وجهه عنها ^(٢) ، ومنع أيضاً امرأتين من نسائه ، من النظر إلى ابن أم مكتوم ^(٣) ، فقالتا : أليس أعمى ؟ فقال : ((أفعمياوان أنتما)) ^(٤) .

وقد أورد ابن عبد البر القرطبي أيضاً ما يدلّ على قبح النظر من المرأة إلى الرجل ، وساق له شواهد ، مثل قول عقيل بن علفة ^(٥) : لئن ينظر إلى ابنتي مائة رجل خير من أن تنظر هي إلى رجل واحد ^(٦) ، وأورد أيضاً ، قولاً فيه ظرفاً ذكره المدائني ^(٧) ، عن عبد الله بن عمر العمري ، قال : خرجت حاجّاً ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفئت فيه ، فأدنيّت ناقتي منها ، وقلت : يا أمة الله ، ألسنت حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسناً ، ثمّ قالت : تأمل يا

^(١) هو : الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، الهاشمي ، القرشي ، من شجعان الصحابة ، أرفه الرسول وراءه في حجة الوداع ، فلقّب ردف رسول الله ﷺ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٣٥٥ .

^(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ١٨ .

^(٣) هو : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ، صحابي شجاع ، كان ضرير البصر ، أسلم بمكة وهاجر إلى المدينة بعد بدر ، وهو مؤذن الرسول مع بلال في المدينة ، توفي سنة ٢٣ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .

^(٤) سنن الترمذي ، كتاب (الأدب عن رسول الله ﷺ) ، باب (احتجاب النساء من الرجال) ، حديث رقم (٢٧٠٢) .

^(٥) هو : عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية اليربوعي ، المرّي ، الزبياني ، شاعر مجيد ، من شعراء الدولة الأموية ، توفي سنة ١٠٠ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٤٠ .

^(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٩ .

^(٧) هو : أبو عبد الله محمد بن الحسين بن إسماعيل ، المدائني ، المحدث ، حدّث عن يزيد ابن سنان القزّاز ، وزكريا بن يحيى بن خالد . سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ، ص ٨ .

عمري ، فإنّي ممّن عناه العرجي ^(١) ، بقوله :

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها

وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً

من اللائي لم يحججن يبيغين حسبة

ولكن ليقتلن البرئ المغفلاً

وترمي بعينيها القلوب ولحظها

إذا ما رمت لم تخط منهنّ مقتلاً ^(٢)

قال : فقلت : فأنا أسأل الله ألاّ يعذبّ هذا الوجه بالنار ، قال : وبلغ ذلك سعيد

ابن المسيّب ^(٣) ، فقال : أمّا والله لو كان من أهل العراق لقال : أغربي قبّحك الله ولكنه ظرف عبّاد أهل الحجاز ^(٤) .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ إطالة النظر في المحرمات منهي عنه ولا يجوز من المؤمن ، حتى لا تزلّ قدمه فتكون المعصية ، قال الحسن البصري : ينبغي للوجه الحسن ألاّ يشين وجهه بقبيح فعله ، وينبغي لقبيح الوجه ألاّ يجمع بين قبيحين ^(٥) .
ومن الشواهد الشعرية التي ذكرها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب

^(١) هو : عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي ، القرشي شاعر غزل مطبوع ، شغف باللهو والصيد ، يعدّ من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، والفرسان المعدودين ، توفي بالسجب في مكّة سنة ١٢٠ هـ . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

^(٢) البيتان الأول والثاني في الأغاني ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

^(٣) هو : سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب ، المخزومي ، القرشي ، سيّد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع . ولد سنة ١٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٤ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

^(٤) ينظر : الأغاني ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

^(٥) التمثيل والمحاضرة ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١ م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ص ١٧٥ .

قوله :

لا تكثرنّ تأملاً

واملك عليك عنان طرفك

فلربّما أرسلته

فرماك في ميدان حتفك (١)

١٩/ باب جامع ذكر النساء وتزويج الأكفاء :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((الدنيا كلّها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)) (٢) ، حديث الرسول لكريم
يوضّح أنّ الدنيا كلّها متاع ، وأفضل متاعها الإمام بامرأة ذات دين وشرف وحسب .
يروى إنّ داؤد عليه السلام ، قال لابنه سليمان : يا بني إنّ المرأة الصالحة
كمثل التاج على رأس الملك ، والمرأة السوء ، كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ
الكبير (٣) ، ومن قول داؤد عليه السلام يتبيّن لنا فضل المرأة الصالحة ، قال
الرسول ﷺ : ((تزوجوا الودود الولود ، فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم
القيامة)) (٤) ، وقال : ((عليكم بالأبكار ، فإنّهنّ أطيب أفواحاً ، وأنتق أرحاماً)) (٥)
وقال صلى الله عليه وسلّم : ((تتكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها
فعليك بذات الدين تربت يداك)) (٦) ، وروي عنه عليه الصلاة والسلام ، أنّه

(١) البيتان في وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ . وفيه (أحبس) بدلاً عن (أملك) .

(٢) سنن النسائي ، كتاب (النكاح) باب (المرأة الصالحة) ، حديث رقم (٣١٨٠) .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب (النكاح) ، باب (النهي عن تزويج من لم يلد من النساء) ، حديث رقم (١٧٥٤) .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب (النكاح) ، باب (تزويج الأبكار) ، حديث رقم (١٨٥١) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب (النكاح) ، باب (الأكفاء في الدين) ، حديث رقم (٤٧٠٠) .

قال : ((ترفّقوا ولا تطلقوا ، وانكحوا الأكفاء ، واختاروا لنطفكم فإن العرق دساس))^(١).

وأحاديث الرسول ﷺ السابقة تبيّن أي امرأة صالحة وكفء للزواج .

تناول ابن عبد البر القرطبي ، أمر الزواج بأكثر من امرأة ، دون أن يبيّن إلى أي جانب يميل ، ولكنه ذكر قولاً للمغيرة بن شعبة ، يقول فيه : صاحب المرأة الواحدة امرأة مثلها ، إن بانّت بان معها ، وإن حاضت حاض معها ، وإن مرضت مرض معها ، وصاحب المرأتين على جمرتين ، وصاحب الثلاثة على رستاق وصاحب الأربعة كلّ ليلة عروس^(٢) .

ومن طريف ما ختم به ابن عبد البر القرطبي هذا الباب ، أن أعرابياً دخل على الحجاج بن يوسف ، فسمعه يقول : لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة ، يجتمعن عنده ، فإنصرف الأعرابي ، وباع متاع بيته ، وتزوّج أربع نسوة فلم توافقه منهنّ واحدة ، فخرجت واحدة حمقاء رعناء ، والثانية متبرّجة ، والثالثة : فروك ، والرابعة مذكرة ، فدخل على الحجاج ، قائلاً له : أصلح الله الأمير ، سمعت منك كلاماً أردت أن تتمّ لي به قرّة عيني ، فبعت جميع ما أملك ، حتى تزوّجت أربع نسوة ، ولم توافقتني منهنّ واحدة ، فضحك الحجاج وقال له : كم مهورهنّ ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بثمانية آلاف درهم^(٣) .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب (النكاح) ، باب (الأكفاء) ، حديث رقم (١٩٥٨) .

(٢) محاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

٢٠ / باب اللباس :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((الحرير حلال لباسه لإنات أمّتي ، حرام على ذكورها)) ^(١) ، الحديث بيّن في
توضيح حل الحرير للمرأة ، وتحريمه للرجل .

وقد أورد ابن عبد البر القرطبي قولاً يفهم منه قبح لباس الشهرة ، وأي لباس
أزين ، إذ قال عبد الله بن عمر ، من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه وإن كان
وليّاً ^(١) ، وقال الرسول ﷺ : ((أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، ولا جناح عليه
فيما بينه وبين الكعبين ، وما أسفل من ذلك في النار ، لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من
جرّ ثوبه خيلاً)) ^(٣) ، كان يقال : كل من الطعام ما اشتهيت ، والبس من الثياب ما
اشتهى الناس ^(٤) ، أمّا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فيرى أنّ تمام جمال المرأة في
خفّها ، وتمام جمال الرجل في عمامته ^(٥) ، قال رجل لإبراهيم النخعي : ما ألبس
من الثياب ؟ فقال : ما لا يشهرك عند العلماء ، ولا يحقرّك عند السفهاء ^(٦) .
والجدير بالذكر في هذا الباب ، إنّ ابن عبد البر القرطبي ، حذر من
التعري وما يدخل في الضيق والكاشف ، مستشهداً على ذلك بحديث الرسول ﷺ :
((كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)) ^(٧)

^(١) سنن النسائي ، كتاب (الزينة) ، باب (تحريم لبس الذهب) ، حديث رقم (٥١٧٠) .

^(١) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

^(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب (اللباس) ، باب (موضع الإزار أين هو) ، حديث رقم (٣٥٦٣) .

^(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

^(٥) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

^(٦) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

^(٧) موطأ الإمام مالك ، كتاب (الجامع) ، باب (ما يكره للنساء لبسه من الثياب) ، حديث رقم
(١٤٢١) .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ اللباس ليس بقيمته ونوعه ، وإنّما بحشمته وسترته
قال الإمام الشافعي رحمته الله :

عليّ ثياب لو تباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهنّ أكثرا
وفيهنّ نفس لو يقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجلّ وأكبرا ^(١)
وقال ابن هرمة :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خلق وجيب قميصه مرقوع ^(٢)

٢١/ باب المراكب من الخيل ، وغيرها :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول صلّى الله عليه وآله ، يقول فيه : ((الخيل
معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والمغنم)) ^(٣) ، حديث الرسول
الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام في الخيل وفضلها ، وفضل رباطها والأجر في
اكتساب ذلك .

قال الحسن البصري : الجفاء مع أذناب الإبل ، والذلة مع أذناب البقر
والسكينة مع أذناب الغنم ، والعزّ مع نواصي الخيل ^(٤) ، وقال خالد بن صفوان :
الخيّل للرغبة والرّهبة ، والبرازين للدعة ، والبغال للسفر البعيد والأثقال ، والإبل

^(١) البيتان في المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

^(٢) البيت في العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ١٩٩ . .

^(٣) صحيح مسلم ، كتاب (الإمارة) ، باب (الخيّل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) ، حديث رقم
(٣٤٧٩) .

^(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٦٩ .

للتحمّل ، والحمير للزينة وخفّة المؤونة ^(١) ، وقيل لأعرابي : صف لنا فرسك ؟ قال :
صوته عنانه ، وهمّه أمامه ، وما ضربته قطّ إلاّ ظالماً له ^(٢) ، والحكماء يقولون :
أكرم الخيل أجزعها من الضرب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها لأولادها ، وأكرم الإبل
أشدّها حنيناً إلى أوطانها ، وأكرم المهار أشدّها ملازمة لأمّهاتها ^(٣) ، وقيل : إنّ
الحجاج بن يوسف ، بعث إلى عبد الملك بفرس ، وكتب إليه : قد وجهت إليك بفرس
حسن المنظر ، محمود المخبر ، أسيل الخدّ ، رشيق القدّ ^(٤) .

وهكذا الباب كلّ من ابن عبد البر القرطبي ، شواهد في وصف الخيل
ورشاققتها وتفضيلها عن سائر الدواب .

والذي أورده ابن عبد البر في هذا الباب شعراً ، قول ابن عباس رضي الله عنه :

أحبو الخيل واصطبروا عليها

فإنّ العزّ فيها والجمالاً

إذا ما الخيل ضيّعها رجال

ربطناها فشاركنا العيالا

نقاسمها المعيشة كلّ يوم

ونكسوها البراقع والجلالا ^(٥)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٦٩ .

(٢) ديوان المعاني ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

(٤) الصناعتين ، ص ٨١ .

(٥) الأبيات في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ١٠٠ . وفيه (أناس) بدلاً عن
(رجال) و (الأباعر) ، بدلاً عن (البراقع) ، و (الجمالاً) بدلاً عن (الجلالا) .

٢٢/ باب الطعام والأكل :

استهلّ الباب ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((سيّد طعام أهل الدنيا وأهل الجنّة اللحم)) ^(١) ، وحديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام في تفضيل اللحم عند أهل الدنيا والجنّة .

ومن الطيّب في هذا الباب ، ما ذكره ابن عبد البر القرطبي في النهي عن كثرة الأكل ، وأورد في ذلك قولاً لابن المقفّع ، يقول فيه : كانت ملوك الأعاجم إذا رأت الرجل نهماً شرهاً ، أخرجوه من طبقة باب الجدّ إلى باب الهزل ، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار ^(٢) ، والعرب تقول : أقلل طعاماً تحمد مناماً ^(٣) ، وأنشدوا :

لست بآكل كأكل العبد

ولا بنوأم كنوم الفهد ^(٤)

خطب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوماً ، فقال : إياكم والبطنة ' فإنّها مكسلة عن الصلاة مؤذية للجسم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فإنّه أبعد من الأشر ، وأصحّ للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإنّ امرئ لن يهلك حتّى يؤثّر شهوته على دينه ^(٥) .

وأورد أيضاً ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب الآداب التي يجب الإمام بها عند الأكل ، مستشهداً بحديث الرسول ﷺ : قال لربيّه عمر بن أبي سلمة : ((يا بني قل بسم الله ، وكل بيمينك ، وكل ممّا يليك)) ^(٦) ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا دعي إلى طعام ، أكل شيئاً قبل أن يأتيه ، ويقول : قبيح بالرجل أن يظهر نهمة

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب (الأطعمة) ، باب (اللحم) ، حديث رقم (٣٢٩٦) .

(٢) المستطرف في كل فنّ مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٤) البيت في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٥) مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب (الأطعمة) ، باب (التسمية على الطعام والأكل باليمين) ، حديث رقم

(٤٩٥٧) .

في طعام غيره ^(١) . وقال الفضيل بن عياض : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام وكثرة الأكل ^(٢) .

وذكر ابن عبد البر القرطبي إنّ أفضل الطعام ، هو الذي تكثر فيه الأيادي والعرب تقول : أحبّ الطعام إلى الله عزّ وجلّ ما كثرت عليه الأيادي ، قال أبو بكر الهزلي : إذا جمع الطعام أربعاً كمل : إذا كان حلالاً واجتمعت عليه الأيدي ، وسمّى الله في أوله ، وحمد في آخره ^(٣) ، وقال أبو الزناد : من إكرام الضيف وحسن الأدب في مواكلته أن تغسل يديك قبله أولاً ، وبعده آخراً ^(٤) .

وهكذا سار ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، بتوفيق وإيانة واضحة في طيّب الطعام وآداب الأكل .

٢٣/ باب النوم وتصرف المعاني فيه :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بقول للمسيح عليه السلام ، يقول فيه : " خلقان أكرههما ، النوم من غير سهر ، والضحك من غير عجب ، والثالثة وهي العظمى : إعجاب المرء بعلمه " ^(٥) ، وقال داؤد لابنه سليمان عليهما السلام : إياك وكثرة النوم فإنّه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم ^(٦) ، وقال لقمان لابن : إياك وكثرة النوم والكسل والضجر ، فإنّك إذا كسلت لم تؤدّ حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حقّ ^(٧) .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، ١٩٣٠ م ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٣) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

(٥) انظر العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

(٦) انظر : المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٧) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

الشواهد التي ساقها ابن عبد البر القرطبي سابقاً نهي عن النوم بكثرة ، من غير سهر ، ولكن النوم في أوقاته ، وعند القيلولة محبب ، كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عمّاله : بلغني أنّك لا تقيل ، وإنّ الشياطين لا تقيل ^(١) ، وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص : النوم على ثلاثة أوجه : نوم خرق ، ونوم خلق ، ونوم حمق فأما النوم الخرق ، فنومة الضحى ، يقضي الناس حوائجهم ، وهو نائم ، وأما نوم الخلق ، فنوم القائلة نصف النهار ، وأما نوم الحمق ، فالنوم حين تحضر الصلوات ^(٢) .

ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في ذمّ النوم في غير أوقاته ، قول علي بن الجهم :

أكثر ما يعرفه القوم

الأكل والراحة والنوم

نوکی میاسیر إذا عدت الـ

أيام لم يعرف لهم يوم ^(٣)

وقال المنتصر بالله :

رأيتك في المنام أقلّ بخلًا

وأطوع منك في غير المنام

فليت الصبح زال فلا تراه

وليت الليل آخر ألف عام

فلو أنّ النعاس يباع ببيعاً

لأغليت النعاس على النيام ^(٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

(٢) انظر : المحاسن والمساوي ، ص ٥٤٧ .

(٣) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٤) الأبيات في المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

٢٤ / باب الحمام :

استهلّ الباب ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((تفتح لكم أرض الأعاجم ، فتجدون فيها بيوتاً تدعى الحمامات ، فلا يدخلها من النساء إلا مريضة أو نفساء ، ولا يحل دخولها لرجل إلا بمنزراً))^(١) ، الحديث من الرسول الكريم يحرم دخول الحمامات للنساء إلا من كانت مريضة أو نفساء ، وكذلك حرّمها على الرجل الذي يدخلها من غير منزر .

قال أبو هريرة رضي الله عنه ، ببس البيت الحمام ، يكشف العورة ، ويذهب الحياء^(٢) وكان الحسن البصري ، إذا دخل الحمام ، أغمض مخافة أن تقع عينه على عورة أحد وربّما قاده غلامه^(٣) ، ودخل أبو حنيفة الحمام ، فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم ، فأغلق عينيه ، وجعل يتهدّى بيديه ، فقال له أحدهم : متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة ؟ قال : منذ انكشفت عوراتكم^(٤) ، وقال أصبغ : سألت ابن القاسم عن دخول الحمام ، فقال : ما إن وجدته خالياً أو كنت تدخل مع قوم يستترون ، ويتحفّظون ، فلا أرى في ذلك بأساً ، وإن كان يدخله من لا يبالي ، ولا يتحفّظ ، لم أر أن تدخله ، وإن كنت متحفّظاً^(٥) .

ومن الشواهد السابقة التي ساقها ابن عبد البر القرطبي ، يتبيّن لنا جواز دخول الحمام منئذراً ، حاجباً عورتك ، مختلياً ، وإلا فيجب الامتناع .
ومن طرف ابن عبد البر القرطبي ، التي يختم بها غالباً أبوابه ، وتزيّنه وتلبسه زياً من الفكاهة والمرح ، ما أورده أنّ أعرابياً دخل البصرة من البادية ، فنزل على قريب له ، فلما رآه أشعث الرأس ، عزم عليه دخول الحمام ، وقال له : إنّه يوم

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب (الأدب) ، باب (دخول الحمام) ، حديث رقم (٣٧٣٨) .

(٢) كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٧٩ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

جمعة ، تطهّر في الحمّام وتنظّف ، فلمّا دخل الأعرابي الحمّام ، زلقت رجله وسقط
فأصابته شجّة فوق حاجبه ، فخرج وهو يقول :
وقالوا تطهّر إنّهُ يوم جمعة
فأبّت من الحمّام غير مطهّر
تزوّدت منه شجّة فوق حاجبي
بغير جهاد بئس ما كان متجري
تقول لي الأعراب لمّا رأوني
به لا تلبث بالصريمة أعفر
فما تعرف الأعراب في السوق مشية
فكيف ببيت ذي رخام وممر (١) (٢)

(١) الأبيات في الحماسة المغربية ، ج ٢ ، ص ١٣٣٢ . وفيه (فرحت) ، بدلاً عن (فأبت)
و(مفرقي) بدلاً عن (حاجبي) ، و(بفلسين) بدلاً عن (بغير جهاد) ، وتحسن بدلاً عن (تعرف)
و(الأنباط) بدلاً عن (الأعراب) ، و(أنا بارك) بدلاً عن (لمّا رأوني) ،
(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٣١ .

١ / باب البراغيث والبقّ والبعض :

أورد ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ... ﴾ ^(١) . فالآية الكريمة تبين أنّ أوهن البيوت وأضعفها على الإطلاق بيت العنكبوت .

وقال أعرابي بالبصرة عن البراغيث وما يصاحبها من ضيق للإنسان :

ظللت في البصرة في مراش
وفي براغيث أزاها فاش
من ناقر منها وذئ خراش
يرفع جنبي عن الفراش
فأنا في حرب وفي تخراش ^(٢)

وقال رجل من بني حمّان وقع في جند الشام مندوباً في بعض حصون الساحل :

أنصر أهل الشام ممّن يكيدهم
وأهلي بنجد ذات حرص على النصر
براغيث تؤذيني إذا الناس نؤموا
وبقّ أقاسيه على ساحل البحر ^(٣)

^(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

^(٢) الأبيات في كتاب الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٠٨ . وفيه (تهواش) بدلاً عن (مراش) ، و(ذئ) اهتمامش) بدلاً عن (ذئ خراش) .

^(٣) البيتان في المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٠٨ . وفيه (ساء ذلك من نصر) بدلاً عن (ذات حرص على النصر) ، و(ترزيني) بدلاً عن (تؤذيني) .

وقال عنها أيضاً أعرابي :

إنّ البراغيث لهنّ عضّ

وحكّة وألم ممض

كأنّما تتبتهنّ الأرض ^(١)

وذكرت البراغيث عند رجل من كلب ، فقال : أخذها الله ، ما أدنا صغارها
وما أشرّ كبارها ، وأخفى أنظارها ، وأقبح آثارها ^(٢) .

ووصف البعوضة وخرطومها شاعر قائلاً :

مثل السفاة دائم طنينها

ركّب في خرطومها سكّينها ^(٣)

وهكذا الباب كلّ من ابن عبد البر القرطبي ، يدور حول البراغيث والبقّ
والبعوض ، وكان للشواهد الشعرية الحظّ الأوفر في هذا الباب .

٢ / باب في السجن :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر)) ^(٤) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة
والسلام ، يوضّح للمؤمنين بأنّ الدنيا بمثابة السجن ، لانقطاعهم للعبادة فيها ، وبمثابة
الجنة للكافر .

(١) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢) البصائر والذخائر ، ج ١ ، ص ٣٣٨ .

(٣) البيت في كتاب الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٠٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب (الزهد والرقائق) ، باب (باب) حديث رقم (٥٢٥٦) .

روي إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قد سجن الشاعر الحطيئة ، في قوله في الزبرقان بن بدر ^(١) :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي ^(٢) ^(٣)

وأورد ابن عبد البر القرطبي أنّه مكتوب على باب سجن كبير من سجون أحد الملوك : هذه منازل البلوى ، وقيود الأحياء ، وتجربة الأصدقاء ، وشماته الأعداء ^(٤) وكتب على باب سجن بالعراق : ها هنا تلين الصعاب ، وتختبر الأحباب ^(٥) .
من الملاحظ في هذا الباب إنّ ابن عبد البر القرطبي ، قد ركن إلى الشعر للتعبير عن السجن أكثر ممّا أورده حكايات وأقوال عنه ، وقد بيّن من خلالها إنّ السجن ملاذ ، واختبار وشماته لأعدائك .

ومن الشواهد التي ساقها شعراً ، قول صالح بن عبد القدّوس :

ولمّا دخلت السجن كبر أهله

وقالوا أبو ليلى الغداة حزين

وفي الباب مكتوب على صفحاته

بأنّك تنزو ثمّ سوف تلين ^(٦)

وقال علي بن الجهم :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

^(١) هو : الزبرقان بن بدر التميمي ، السعدي ، صحابي ، اسمه من أسماء البدر ؛ لحسن وجهه ، ولاه

الرسول ﷺ صدقات قومه ، كفّ بصره في آخر عمره ، توفي سنة ٤٥ هـ . الأعلام ، ج ٣ ص ٤١

^(٢) ديوان الحطيئة ، ص ٢٨٤ .

^(٣) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

^(٤) عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٧٩ .

^(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .

^(٦) البيتان في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٧٩ .

فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة
فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلاً حديثنا
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأة
وإن هي ساءت بكّرت وأنت عجلي^(١)
وقال عنه آخر :

أسجن وقيد واغتراب وعبرة
وفقد حبيب إن ذاك عظيم
وإن امرءاً تبقى موثيق عهده
على كل هذا إنه لكريم^(٢)
وقال سجان :
ما يدخل السجن إنسان فتسأله
ما بال سجنك إلا قال مظلوم^(٣)

٣ / باب العادة وما لا ينسى :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بقول ، لأكثم بن صيفي ، يقول فيه :
ما يسرّني إنّي مكفي أمر الدنيا ، قيل : ولم ؟ قال : أخاف عادة العجز^(٤)

(١) الأبيات في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) البيتان في المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٣) البيت منسوب للرياشي في عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٧٩ .

(٤) انظر : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

والعرب تقول : العادة أملك بالإنسان من الأدب ^(٥) ، وقالوا : الخير عادة والشرّ لجابة ^(١) .

وقال الراجز :

تعوّد الخير فالخير عادة

تدعو إلى الغبطة والسعادة ^(٢)

وبالباب كلّه يسير في بيان أنّ العادة ملازمة لصاحبها ، وعليه أن يجعلها عادة خير له ، وشيمة يعرف بها .

ولكن نلاحظ أنّ ابن عبد البر القرطبي ، لم يتجاهل الشواهد الشعرية في هذا الباب ، فأفرد لها حظاً ، منها ، قول الشاعر :

ما إن تخلّقت إلّا شيمتي خلقاً

إنّ الخلائق تأبى دونها الخلق ^(٣)

وقال آخر :

كل امرئ صائر يوماً لشيمته

وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين ^(٥)

وقال عبد الله بن معاوية :

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً

ذا عفاف وحياء وكرم

قوله للشيء لا إن قلت لا

وإذا قلت نعم قال نعم ^(٦)

^(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

^(١) مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

^(٢) البيت في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

^(٣) البيت في المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

^(٥) البيت في عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٦ . وفيه (راجع) بدلاً عن (صائر) .

وقال آخر :
وكننت إذا علقت حبال قوم
صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم
واجتنب الإساءة إن أساءوا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي
مشيئتهم وأترك ما أشاء (١)

٤/ باب في المنجمين :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((من تعلّم باباً من النجوم ، فقد تعلّم باباً من السحر ، ما زاد زاد)) (٢) ، الحديث
من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، نهى من الخوض في الزيادة من
تعلّم حركة النجوم ، لأنها باب من أبواب السحر .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلّموا من النجوم ، ما تهتدون به في ظلمات البرّ
والبحر ، ثمّ أمسكوا (٣) ، وقال الخليل بن أحمد :
أبلغا عني المنجم إني
كافر بالذي قضته الكواكب
شاهد إن من تكهن أو نجـ

(١) البيتان في كتاب الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، مطبعة السعادة ، ط ١
١٩٥٣م ، دار النشر مطبعة بولاق ، مصر ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) البيتان في زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند بني هاشم) ، باب (بداية مسند عبد الله بن عباس) ، حديث
رقم (٢٦٩٧) .

(٣) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٤٥ . والقول فيه لعلي بن أبي طالب .

م زار على المقادير كاذب

عالم إنَّ ما يكون وما كا

ن قضاء من المهيمن واجب (١)

وقال آخر :

علم النجوم على العقول وبال

وطلاب شيء لا ينال وبال

هيهات ما أحد مضى ذو فطنة

يدري متى الأرزاق والآجال

إلا الذي هو فوق سبع سماءه

ولوجهه الأعظام والإجلال (٢)

وقال أبو تمام :

والعلم في شهب الأرماع لامعة

بين الخميسين لا في السبعة الشهب

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة

ما كان في فلك فيها وفي قطب (٣)

أيضاً من الشواهد التي أوردها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب دالاً على

(١) البيتان الأول والثاني في محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٤٥ . وفيه (فحتم) بدلاً عن (قضاء) وورداً أيضاً في كتاب الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، بيروت ، لبنان ج ١٣ ، ص ٢٤٣ .

(٢) الأبيات في المحاسن والمساوي ، ص ٣٢٨ . وفيه (ضلال) بدلاً عن (وبال) و(بغامض قدره) بدلاً عن (مضى ذو فطنة) ، و(كم) بدلاً عن (متى) ، و(السماء مكانه) (سبع سمائه) ، و(الإكرام) بدلاً عن (الإعظام) .

(٣) شرح ديوان أبي تمام ، ص ١٦ - ١٧ . وفيه (ما دار) بدلاً عن (ما كان) ، وبين البيتان خمسة أبيات .

كذب المنجمين ، ما رواه عن أحمد بن محمد بن عبد ربّه ، أنّه قال : دخلت على الوزير جهور بن الضيف ، وكان القحط قد ألحّ ، والغيث قد احتبس ، واغتمّ الناس لذلك ، وتحدث المنجمون بتأخّر الغيث مدّة طويلة ، ووجدت عنده ابن عزرا المنجم^(١) ، وجماعة من أصحابه ، وقد أقاموا الطالع ، وقضوا بتأخر الماء شهراً ، فقلت للوزير : إنّ هذا من أمور الله المغيبيّة ، وأرجو أن يكذبهم الله بفضله ، ثمّ خرجت عنهم وأتيت داري ، فجاء أوّل الليل والسماء قد تغيّمت ، فنمت ساعة فأيقظني نزول الماء ، فقمت وأدنييت منّي المصباح ودعوت بالدواة والقلم ، وكتبت للوزير ، هذه الأبيات :

ما قدر الله هو الغالب

ليس الذي يحسبه الحاسب

قد صدق الله رجاء الورى

ومارجاء عنده خائب

وأنزل الغيث على راغب

رحمته إذا قنط الراغب

قل لابن عزرا السخيف الحجا

ذرى عليك الكوكب الثاقب

فكلّكم يكذب في علمه

وعلمكم في أصله كاذب^(٢) ^(٣)

(١) هو : عزرا بن سعد بن زيد بن ليث ، من قضاة التي اشتهرت بعشق النساء ، وكان لهم في

الجاهلية صنم يدعى شمس . الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٢ .

(٢) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١١٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

٥/ باب ثلاثة من الحكم :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه لعليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه : ((يا علي ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت ، والجنّـازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفواً))^(١) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، في بيان الثلاثة التي يجب فيها التعجيل .

والباب يدور حول الحكم التي جاءت متحدثّة عن الثلاثة من المعاني ، بدأها ابن عبد البر القرطبي ، بما روي عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، إنّه قال : ((ثلاثة من سعادة ابن آدم : المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، وثلاث من شقوة ابن آدم : المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء)) ^(٢) ، وجاء في الخبر المأثور : أنّ الخير كلّ في ثلاث : السكوت والكلام ، والنظر ، فطوبى لمن كان سكوته فكره ، وكلامه حكمة ، ونظره عبرة ^(٣) والحسن البصري ، يقول : أصول الشرّ ثلاثة : الحرص والحسد والكبر ، فالكبر منع إبليس من السجود لآدم ، والحرص اخرج آدم من الجنّة ، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه ^(٤) ، وقال الخليل بن أحمد : ثلاث ينسين المصائب : مرّ الليالي ، والمرأة الحسنة ، ومحادثة الأخوان ^(٥) ، وقيل ثلاث لا يعرفون إلّا في ثلاثة : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة ^(٦) ، وقيل ثلاث لا يستحيا

(^١) سنن الترمذي ، كتاب (الصلاة) ، باب (ما جاء في الوقت الأول من الفضل) ، حديث رقم (١٥٦) .

(٢) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند العشرة المبشرين بالجنة) ، باب (مسند أبي إسحاق سعد ابن أبي وقاص) ، حديث رقم (١٣٦٨) .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٤) لباب الآداب ، ص ٢٥٤ .

(٥) الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٦) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . والقول فيه للقمان الحكيم .

منهنّ : طلب العلم ، ومرض البدن ، وذو القرابة الفقير ^(١) .

هكذا الباب كلّه معاني حول الثلاثة ، أوردها ابن عبد البر حكماً تستجد وكعادته في ختام الأبواب ختمه بطرفة ، رواها عن أبي الدرداء ، في قوله : ثلاث لا يحبهنّ غيري : أحبّ الموت اشتياًفاً إلى ربي ، وأحبّ المرض تكفيراً لخطيئتي وأحبّ الفقر تواضعاً لربي ، وكان قد ذكر ذلك لابن شبرمة ، فقال له : ولكنّي لا أحبّ واحدة من الثلاث ، فالفقر فوالله الغنى أحبّ إليّ منه ؛ لأنّ الغنى به توصل الرحم ، وتحجّ البيت ، وتعنق الرقاب ، وتبسط اليدّ بالصدقة ، وأمّا المرض فوالله لأن أعافى فأشكر أحبّ إليّ من أن أبغى فأصبر ، وأمّا الموت فوالله ما يمنعنا من حبه إلّا ما قدّمناه وسلف من أعمالنا ، فنستغفر الله ^(٢) .

٦/ باب أربعة :

الاستهلال للباب على غير عادة ابن عبد البر القرطبي ، إذ إنه لم يستهله بآية أو حديث ، وإنما استهله بقوله : أربع خصال من السعادة ، وأربع من الشقاوة ، فأما التي من السعادة : المركب الهنيء ، والزوجة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، وأمّا التي من الشقاوة : المركب الصعب ، والزوجة السوء ، والمسكن الضيق ، والجار السوء ^(٣) ، وقال الحسن البصري : أربع من كنّ فيه ألقى الله عليه محبّته ، ونشر عليه رحمته : من برّ والديه ، ورفق بمملوكه ، وكفل اليتيم ، وأغاث الضعيف ^(٤) ، وقيل أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة ^(٥) ، وقالوا : أربعة لا بقاء لها :

(١) التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٧١ .

(٢) البصائر والذخائر ، ج ١ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ . والرّدّ فيه لابن سيرين .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ١٣١ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ، ١٣١ .

(٥) التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٧١ .

مودّة الأشرار ، والبيت الذي ليس فيه تقدير ، والمال الحرام ، والكسب الذي ليس معه تقدير (١) .

قال منصور الفقيه :

أفضل ما نال الفتى

بعد الهدى والعافية

امرأة جميلة

عفيفة مواتية (٢)

وقالوا : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلّق بواحدة منهنّ كان من صلحاء قومه : دين يرشده ، وعقل يسدده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده (٣)
وقالوا : الأذلاء أربعة : النمام ، والكذاب ، والمديان ، والفقير (٤)
هكذا الباب كلّه معاني حول الأربعة ، أوردها ابن عبد البر القرطبي حكماً
تستجاد ، وختمها بأبيات شعرية ، يقول فيها الشاعر :

أربعة يعجب منها النهى

يجهلها ذو مرّة حاسده

فواحد دنياه قدّامه

ليست له خلقه آخره

وآخر دنياه منقوصة

من خلفه آخرة وآخره

وثالث فاز بكنيتهما

قد جمع الدنيا مع الآخره

(١) التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٧٢ .

(٢) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(٣) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣١١ . والقول منسوب فيه للأحنف بن قيس .

(٤) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

ورابع مطّرح بينهم

ليست له دنيا ولا آخره ^(١)

٧/ باب خمسة :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه لعبد الله بن عمر : ((يا عبد الله اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)) ^(٢) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، تذكير لعبد الله بن عمر باغتنام شبابه ، وصحته ، وغناه ، وفراغه ، وحياته في الخير .

قال بعض الحكماء : خمسة أشياء من أعطيها ، فقد كمل عيشه : صحّة البدن والسعة في الرزق ، والأمن ، والأنيس الموافق ، والدعة ^(٣) ، واجتمعوا على أنّه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدة ليس فيها خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض عادل وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار ^(٤) ، وقالوا : خمسة لا يستحيا من خدمتهم : السلطان ، والوالد ، والعالم ، والضيف ، والدابة ^(٥) ، وقالوا : خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف : الحدة في السلطان ، وقلة الحياء في ذوي الأحساب ، والبخل عند ذوي الأموال ، والفتوة في الشيوخ ، والحرص عند العلماء والفقراء ^(٦) ، وقالوا : خمسة من طبيعة الجهال : الغضب في غير شيء ، والإعطاء في غير حق ، وإتعا

^(١) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

^(٢) سنن الترمذي ، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في قصر الأمل) ، حديث رقم (٢٢٥٥) .

^(٣) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

^(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦ .

^(٥) انظر : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ .

^(٦) انظر : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ .

البدن في الباطل ، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه ، وتضييعه لسره^(١) ، وقال الأحنف ، في معنى الخمسة : لا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا إخاء لكذوب ولا وفاء لملول ، ولا سؤدد لسيء الخلق^(٢) ، وقال الأوزاعي : خمسة كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان : لزوم الجماعة ، وإتباع السنّة وعمارّة المسجد وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله^(٣) .

هكذا الباب من ابن عبد البر القرطبي ، يدور حول معنى الخمسة حكماً تستجد ومن الملاحظ خلوّ الباب من الأبيات الشعرية .

٨ / باب نوادر من الرؤيا :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ يقول فيه : ((إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً ، ورؤيا المسلم من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))^(٤) ، حديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يبيّن أنّ الرؤيا من المؤمن إذا اقترب آخر الزمان ، تصدق ، والرؤيا جزء من أجزاء النبوة .

قال الرسول ﷺ : ((رأيت إنّي دخلت الجنّة ، فسقيت لبناً ، فشربت حتى رأيت الريّ ، أو قال : اللبن خرج من أظفاري ، قالوا : فما تأولته يا رسول الله ؟ قال : العلم))^(٥) ، ومرّ صهيب الرومي ، بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأعرض عنه فقال أبو بكر : ما لك ؟ أبلغك عنّي شيء ؟ فقال : لا ، إلّا رؤيا رأيتها لك كرهتها

(١) انظر : نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ .

(٢) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب (التعبير) ، باب (القيد في المنام) ، حديث رقم (٦٤٩٩) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب (التعبير) ، باب (اللبن) ، حديث رقم (٦٤٨٩) .

قال : وما هي ؟ قال : رأيته مجموع اليدين إلى عنقك على باب أبي الحشر الأنصاري ، قال : نعم ما رأيته ، جمع لي ديني إلى الحشر ^(١) ، وقالت السيّد عائشة ، لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما : رأيته كأنّ ثلاثة أقمار سقطن في حجري ، فقال لها : إن صدقت رؤياك ، دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل ارض فلما دفن النبي عليه الصلاة والسلام في بيتها ، قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها ^(٢) ، وجاء رجل إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : رأيته كأنّي أبول دماً ، قال : أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض ، فاتق الله ولا تفعل ^(٣) ، وجاءه آخر فقال له : رأيته كأنّي أحدث ثعلباً ، قال : أنت رجل كذاب فاتق الله ولا تفعل ^(٤) ، وقال رجل لابن سيرين : رأيته كأنّي آكل خبيصاً في الصلاة ، فقال له ابن سيرين : الخبيص حلال طيب ، ولا يحل الأكل في الصلاة ، أنت رجل تقبل امرأتك وأنت صائم ، قال : نعم : قال : فلا تعد ^(٥) ، قال رجل لابن سيرين : رأيته في المنام كأنّ في حجري صبياً يصيح ، فقال له ابن سيرين : اتق الله ، ولا تضرب العود ^(٦) .

وهكذا الباب من ابن عبد البر القرطبي كلّ سرد للرؤيا ، ومن الملاحظ في هذا الباب أنّه لم يورد شعراً قط .

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٧٦ . ومحاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٣) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .

(٤) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٦) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .

٩/ باب من نوادر الأخبار :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بقول لابن عباس ، قال : قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ ، فقال لهم : فيكم أحد من إياد ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : فهل لكم علم بقس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : هلك يا رسول الله ، فقال الرسول ﷺ : كأنّي أنظر إليه بسوق عكاظ ، يخطب الناس على جمل أحمر يقول : أيّها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أمّا بعد ، فإنّ في السماء لخبراً ، وإنّ في الأرض لعبراً ، نجوم تغور وتغور ونجوم تغور ولا تمور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، أقسم قس قسماً ما كذب ولا أثم ، لئن كان في الأمر رضا ؛ ليكونن بعده سخط ، وما هذا بلعب وإنّ من وراء هذا لعجبا ، أقسم قس قسماً فما كذب وما أثم ، إنّ الله ديناً هو أرضى من دين نحن عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ، قال النبي عليه الصلاة والسلام ، وسمعته ينشد شعراً ، فأيّكم يحفظه ؟ فقال بعضهم أنا ، فأنشده يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال :

في الذاهبيين الأوليـ

ـن من القرون لنا بصائر

لمّا رأيت موارداً

للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها

يمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إلـ

ي ولا من الباقيـن غابر

أيقنت أنني لا محـا

لة حيث صار القوم صائر (١) (٢)

وجّه ملك الروم إلى معاوية بقارورة ، فقال : أبعث إليّ فيها من كلّ شيء حي فبعث بها إلى ابن عبّاس ، فقال : تملأ له ماء ، فلمّا ورد بها على ملك الروم ، قال له أخوه : ما أدهاه ! فقيل لابن عبّاس : كيف اخترت ذلك ؟ قال : يقول الله عزّ وجلّ ﴿ ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ... ﴾ (٣) (٤) .

هكذا الباب كلّ أخبار نادرة وفقّ ابن عبد البر القرطبي في انتقائها وجمعها وإن كان بعضاً منها يعيبه السرد المفصل المطوّل .

١٠ / باب من نواذر الفلاسفة مختصرة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بقول لأرسطو طاليس ، عندما سئل عن الفلسفة ، فأجاب : فقر ، وصبر ، وعفاف ، وكفاف ، وهمّة وفكرة (٥) وقيل لسقراط : بم فضلت أهل زمانك ؟ قال : لأنّ غرضي في الأكل لأحيا وغرضهم في الحياة أن يأكلوا (٦) ، وقيل له أيضاً : ما أتعّب فلان بخضاب لحيتّه ؟ فقال : لخوف المطالبة بالحكمة ، ولا تطلب إلّا من المشايخ (٧) ، وقيل لجالينوس : بم فقت أصحابك في علم الطبّ ؟ فقال : لأنّي أنفقت في زيت السراج لدرس الكتب مثل

(١) الأبيات في العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ١٢٨ . وفيه (ولا يبقى) بدلاً عن (إلي ولا) .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٣٠ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ، تأليف الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق د. محمد

أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ - ٦٤١ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٦) العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

(٧) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

ما أنفقوا في شرب الخمر ^(١) ، وكتب فيلسوف إلى طبيب ، صناعتي أقرب الصناعات إلى صناعتك لأنك تصلح الأبدان ، وأنا أصلح النفوس ^(٢) ، وقيل للإسكندر : رأيك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟ فقال : لأن أبي سبب موتي ومعلمي سبب حياتي ^(٣) ، رأى أفلاطون ، رجلاً معجباً بنفسه ، فقال : وددت إن أعدائي مثلك في الحقيقة ، وأنا مثلك في ظنك ^(٤) ، وقيل للإسكندر : قد بسط الله لك في الملك ، فأكثر من النساء ليكثر لك ولدك ، فقال : لا يصح لمن غلب الرجال أن تغلب عليه النساء ^(٥) ، وكان من أصحاب الإسكندر رجل يسمّى سكندر ، لا يزال يهزم في الحرب ، فقال له الإسكندر : إمّا غيّرت اسمك ، وإمّا غيّرت فعلك ^(٦) وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أنفع الأشياء ؟ قالوا : الاعتدال ، قيل : وما الاعتدال ؟ قالوا : هو الشيء الذي الزيادة فيه والنقص منه ضرر ^(٧) .

وهكذا سار الباب من ابن عبد البر القرطبي ، نوادراً طريفة ، وحكماً مستجادة من الفلاسفة وغيرهم ، مع ملاحظة إنه أهمل الشعر أيضاً في هذا الباب .

١١ / باب الرياء :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، برواية أن رجلاً جاء للنبي ﷺ فقال : إني أحبّ الجهاد في سبيل الله ، وأحبّ أن يرى مكاني وموضعي وإنّي أتصدّق وأعمل العمل ، وأحبّ أن يراه الناس ، فأنزل الله عزّ وجلّ:

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣) محاضرات الأدباء ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٤) ديوان المعاني ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٥) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

(٦) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٧) انظر زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٣ ، ص ٨٥٧ .

﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)
 وقال الرسول ﷺ : ((إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ ، الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ ، قَالُوا : وَمَا
 الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ ، يَقُولُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَجَازِي النَّاسَ
 بِأَعْمَالِهِمْ : إِذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَائُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيهِمْ
 خَيْرًا))^(٢) ، وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ^(٣) ، قَالَ : إِنَّ الْمَلِكَ لِيَصْعَدَ
 بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُسْتَفْتِحًا بِهِ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى رَبِّهِ قَالَ : اجْعَلُوهُ فِي سَجَّينَ ، إِنِّي لَمْ أَرِدْ
 بِهِذَا ، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَمَا ظَنُّكَ بِمَا قَدْ خَفِيَ عَنِ الْمَلِكِ^(٤) ، وَقِيلَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَمَلَ
 عَمَلًا مِنَ الْبِرِّ فَكُتِمَ ، ثُمَّ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ إِنَّهُ كُتِمَ ، فَهُوَ مِنْ أَقْبَحِ الرِّيَاءِ^(٥) ،
 وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى السَّلْمِيُّ يَوْمًا : النَّاسُ يَزْعُمُونَ إِنِّي مَرَّءٌ ، وَكُنْتُ أُمَسٌ وَاللَّهِ صَائِمًا
 وَلَا أَخْبِرْتُ بِذَلِكَ أَحَدًا^(٦) .

ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول
 الغزال :

ومرّاء أخذ النّـا

س بسمت وقطوب

وخشوع يشبه السقـ

م وضعف في الدبيب

(١) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند الأنصار) ، باب (حديث محمود بن لبيد) ، حديث رقم
 (٢٢٥٢٣) .

(٣) هو : يحيى بن صالح الطائي بالولاء ، اليمامي ، أبو نصر بن أبي كثير ، عالم أهل اليمامة في
 عصره ، توفي سنة ١٢٩ هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٨٦ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

قلت هل تألم شيئاً

قال أنقال الذنوب (١)

وقال محمود الورّاق :

أيّها المغرور مهلاً

فلقد أوتيت جهلاً

كم إلى كم تحسن القو

ل ولا تحسن فعلا

ظاهر يجمل والباطن لا

يخفى على ربك كلا (٢)

وقال أيضاً :

تصنع كي يقال له أمين

وما يغني التصنع للأمانة

ولم يرد الإله به ولكن

أراد به الطريق إلى الخيانة (٣)

١٢ / باب في الشيب ومدحه :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((من شاب شيبة في الإسلام ، كانت له نوراً يوم القيامة)) (٤) ، الحديث من الرسول

(١) الأبيات في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٢) الأبيات في المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

(٣) البيتان في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢١٧ . وفيه (تصوّف) بدلاً عن (تصنّع) ، و(التصوّف) بدلاً عن (التصنّع) ، و(الأمانة) بدلاً عن (للأمانة) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب (فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله) ، حديث رقم (١٥٥٨) .

الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يبين أن الذي قد شاب وهو مسلم كان له شبيه بكل شبيهة نوراً يوم القيامة .

يروى أن أول من شاب سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وفي الخبر ، أن الله تعالى يقول : " الشيب نوري ، وأنا أستحي أن أحرقه بناري " (١) ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال ملك الموت لنوح عليه السلام : يا أطول النبيين عمراً ، كيف وجدت الدنيا ولذتها ؟ قال : كرجل دخل في بيت له بابان ، فقام وسط البيت ساعة ، ثم خرج من الباب الثاني (٢) .

ومن الشواهد الشعرية الواردة في هذا الباب في مدح الشيب قول دعلج :
أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه

سمة العفيف وحلية المتحرج

وكان شيبني نظم درّ زاهر

في تاج ذي ملك أغر متوج (٣)

وقال أبو الفتح البستي (٤) :

ما استقامت قناة رأيي إلا

بعدما عوج المشيب قناتي (٥)

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ٢ ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤ .

(٣) ديوان دعلج بن علي الخزاعي ، شرح مجيد طراد ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، بيروت ص ٥٧ .

(٤) هو : علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي ، شاعر عصره وكتابه ، في الدولة السامانية ، بخراسان ، توفي سنة ٤٠٠ هـ . الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٤٤ .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ، ص ١٢٧ .

وقال آخر :

تعجبت إن رأت شيبى فقلت لها

لا تعجبي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين وتكرمة

وشيبكن لكنّ الويل فاكتئبي

فيالكنّ وإن شيب بدأ أرب

وليس فيكنّ بعد الشيب من أرب^(١)

هكذا الباب كلّه مدح للشيب ، وقد وفق ابن عبد البر القرطبي فيه أيّما توفيق وذلك لحسن انتقائه للشواهد التي تمدح الشيب .

١٣ / باب في خضاب الشيب ونتفه :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي بأبيات شعر لمحمود الورّاق يقول فيها :

إذا ما الشيب جار على الشباب

فعاجله وغالط في الحساب

وقل لا مرحباً بك من نزيل

وعذّبه بأنواع العذاب

بنقف أو بقصّ كلّ يوم

وأحياناً بمكروه الخضاب

فإن هو لم يحر وأتى لوقته

فقل في رحب دار واقترب

ولا تعرض له إلّا بخير

(١) الأبيات في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٥٢ . وفيه (تهزأت) بدلاً عن (تعجبت) ، و(لا تهزئي) بدلاً عن (لا تعجبي) .

وإن عدى على شرخ الشباب

وخذ للشيب أهبتة وبادر

وخلّ عنان رحلك للذهاب

فقد جدّ الرحيل وأنت ممّن

يسير على مقدّمة الركاب (١)

وقال أيضاً :

يا خاضب الشيبة نح فقدها

فإنّما تدرجها في كفن

أما تراها منذ عاينتها

تزيد في الرأس بنقص البدن (٢)

وقال أيضاً :

هبنّي سترت مشيبي

تستّرأ عن حبيبي

فهل أروح وأغدو

إلاّ بوجه مريب (٣)

وقال آخر :

يا أيّها الرجل المسودّ شبيهه

كيما يعد به من الشبّان

أقصر فلو سودت كل حمامة

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

(٢) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٣) البيتان في الوافي بالوفيات ، ج ١٩ ، ص ٢٦٧ .

بيضاء ما عدت من الغربان (١)

وجاء في مدحه أنه أي خضاب الحناء يصفّي البصر ، ويذهب بالصداع
ويزيد في الباه (٢) ، وقيل : وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن (٣)
فقال له : لو خضبت شعرك ، فلماً رجع إلى مكة ، اختضب ، فقالت له امرأته نبيلة :
ما أحسن هذا لو دام ، فقال :

ولو دام لي هذا الخضاب حمدته

وكان بديلاً من خليل قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة

ولا بدّ من موت نبيلة أو هرم (٤) (٥)

هكذا الباب من ابن عبد البر القرطبي ، كلّ شواهد في جواز خضب الشيب أو
قصّه أو نتفه ، ونلاحظ أنه كان للشعر الحظّ الأوفر في هذا الباب .

١٤/ باب جامع مختصر في الشيب والبكاء على فقد الشباب :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بشعر لمنصور النمري (١) ، يقول فيه :

(١) البيتان في محاضرات الأدباء ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ . وفيه (وجهه) بدلاً عن (شيبه) .

(٢) المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) هو : سيف بن ذي يزن بن أبي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري ، من
ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم ، وقيل إنّ اسمه معد يكر ، ولد ونشأ بصنعاء سنة ٥٠ ق هـ .
الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

(٤) البيتان في المستظرف في كلّ فنّ مستظرف ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦ .

ما واجه الشيب من عين وإن ومقت
إلا لها نبوة عنه ومرتدع
أبكي شباباً سلبناه وكان وما
توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
قد كدت تقضي على فوت الشباب أسي
لولا يعزبك إن العيش منقطع
ما كدت أوفي شبابي كنه عزته
حتى انقضى فإذا الدنيا له تيع^(٢)
وإن هذا الشعر البديع في معناه ، والذي ليس لأحد من المحدثين مثله ، قد
أخذه محمد بن أبي حازم الباهلي ، وقال :
اذهب إليك فما الدنيا بأجمعها
من الشباب بيوم واحد بدل^(٣)
الباب كله بكاء دامع على الشباب ، وكما قال بعض البلغاء : الشباب باكورة
الحياة ، وأطيب العيش أوائله ، كما أن أطيب الثمار بواكيرها ، والشباب أبلغ الشفعاء
عند النساء ، وأكثر الوسائل لقلوبهن^(٤) ، قال الشاعر :

أحلى الرجال مع النساء موقعاً

(١) هو : منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك ، النمري ، من بني نمر ، شاعر من أهل الجزيرة ، تلميذ ، كلثوم بن عمرو العتّابي . الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الأبيات في زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٣ ، ص ٦٤٩ . وفيه (الأمر) بدلاً عن (العيش) و(عزته) بدلاً عن (عزته) .

(٣) البيت في العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٤٦ . وجاء فيه (لا تكذبن فما الدنيا) ، بدلاً عن (اذهب إليك فما الدنيا) .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣ .

من كان أشبههم بهنّ خدوداً^(١)
والشيب ممقوت ونغيصة للرجل ، كما قال قيس بن عاصم^(٢) : الشيب خطام
المنيّة^(٣) ، وقال الفرزدق :
وتقول كيف يميل مثلك للصبا
وعليك من سمة الكبير عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبه نهار^(٤)
وقال ابن مقبل^(٥) :
قالت سليمي وقد كانت على مقة

لا خير في المرء بعد الشيب والكبر^(٦)
ومن الطريف الذي أورده ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب ، إنّ كسرى
نظر إلى رجلين من مرابزته ، أحدهما قد شاب رأسه قبل لحيته ، والآخر قد شاب
لحيته قبل رأسه ، فأراد أن يعرف جواب كل واحد ، فقال لأحدهما : لم شاب رأسك
قبل لحيتك ؟ قال : لأنّ شعر رأسي خلق قبل شعر لحيتي ، والكبير يشيب قبل

(١) البيت في المستطرف في كل فنّ مستظرف ، دون نسبة لأحد ، ج ٢ ، ص ٣ .
(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد الحارث ، اشتهر بالحلم ، قيل
للأحنف : " ممّن تعلمت الحلم " ؟ قال : " من قيس بن عاصم " توفي سنة ٥٠هـ . الوافي
بالوفيات ، ج ٢٤ ، ص ٢١٣ .
(٣) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .
(٤) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، ١٩٦٦م ، بيروت ، ج ١ ، ص ٣٧٢ . وفيه (السواد) بدلاً عن
(الشيب) .
(٥) هو : تميم بن أبي بن مقبل ، من بني العجلان من عامر بن صعصعة ، شاعر جاهلي ، أدرك
الإسلام ، وأسلم ، اشتهر ببيكاء الجاهليّة ، توفي سنة ٣٧هـ . الأعلام ، ج ٢ ، ص ٨٧ .
(٦) البيت في الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ . وفيه (بطن القاع من سرج) بدلاً عن (وقد
كانت على مقة) .

الصغير ، وقال للآخر : لم شابت لحيتك قبل رأسك ؟ قال : لأنها أقرب إلى الصدر موضع الهمّ والغمّ ^(١) ، نظر بعض الأعاجم إلى شيب في رأسه ، فجمع نساءه فقال : تعالين فاندبنني إذا مات بعضي ، لأبصر كيف تندبنني إذا مات كلّ ^(٢) .
ومهما يكن من أمر فإنّ العرب لم تنك على شيء ، كما بكت على الشباب ولو لم يكن الشباب حميداً ، فإنما لوسامة صورته ، وبهجة منظره ، وجمال خلقته واعتدال قامته .

١٥ / باب الكبر والهرم :

استهّل ابن عبد البر القرطبي الباب بآية كريمة ، يقول فيها تعالى : ﴿ وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) ، الآية تبين أنّ الذي يعيش طويلاً يكون من أضعف المخلوقات .

وكان الرسول ﷺ يستعيز بالله بقوله : ((اللهم إني أعوذ بك من الغمّ والهمّ والكسل والهرم)) ^(٤) ، ووفد عمرو بن مسعود السلمي ، على معاوية بن أبي سفيان ، وكان صديقاً لأبي سفيان ، فلما مثل بين يدي معاوية عرفه ، فقال له : كيف أنت وحالك ؟ فقال : ما يسأل أمير المؤمنين عمّن سقطت ثمرته ، وذبلت بشرته وابيضّ شعره ، وانحنى ظهره ، وكثر منه ما يحبّ أن يقل ، صعب منه ما كان يحب أن يزل ، وترك المطعم ، وكان المنعم ، وهجر النساء وكنّ الشفاء ، وقصر خطوه وذهب لهوه ، وكثر سهوه ، وثقل على الأرض ، وقربّ بعضه من بعض ، فقلّ

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٢) انظر : البصائر والذخائر ، ج ١ ، ص ٥١٥ .

(٣) سورة يس ، الآية ٦٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد كتاب (باقي مسند المكثرين) ، باب (باقي المسند السابق) ، حديث رقم (١٣٠٣٦) .

إيحاشه ، وكثر ارتعاشه ، فنومه سبات ، وهمّه تارات ^(١) ، وروى سفيان ابن عيينة ^(٢) ، عن عبد الملك بن عمر ^(٣) ، قال : دخل عمرو بن حريث ^(٤) على أبي العريان الهيثم ^(٥) بن الأسود النخعي ، يعودده ويزوره ، فقال له : كيف نجدك يا أبا العريان ؟ قال : أجدني قد ابيضّ مني ما كنت أحبّ أن يسودّ ، واسودّ مني ما كنت أحبّ أن يبيضّ ، ولان مني ما كنت أحبّ أن يشتدّ ، واشتدّ مني ما كنت أحبّ أن يلين ، وأجدني يسبقني من بين يديّ ويدركني من خلفي ، وأنسى الحديث وأذكر القديم ، وأنعس في الملاء ، وأسهر في الخلاء ، وإذا قمت قربت الأرض مني ، وإذا قعدت بعدت عني ، ثمّ أنشد :

فاسمع أنبئك بآيات الكبر
تقارب الخطو وضعف في البصر
وقلّة الطعم إذا الزاد حضر
وكثرة النسيان ما بي مدّكر
وقلّة النوم إذا الليل اعتكر
أوله نوم وتلثاه سهر
وسعة تعتادني مع السحر

(١) انظر : عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون ، الهلالي ، الكوفي ، محدّث الحرم المكيّ ، من الموالي ، ولد بالكوفة ، وسكن مكّة ، وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ . الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٣) هو : عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أمير ، هبط الأندلس قادماً من مصر سنة ١٤٠ هـ ، فولي إشبيلية ، وفتحت على يديه فتوح ، توفي سنة ١٦٠ هـ . المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ .

(٤) هو : عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي ، من الصحابة ، له ١٨ حديثاً ولد سنة ٢ ق هـ ، وتوفي سنة ٨٥ هـ . المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٥) هو : أبي العريان الهيثم بن الأسود النخعي ، من قحطان ، خطيب شاعر من ذوي الشرف والمكانة ، توفي بالكوفة سنة ١٠٠ هـ . المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٩٤ .

وتركي الحسناء في حين الطهر
وحذراً ازداده إلى حذر
والناس يبلون كما يبلى الشجر (١) (٢)
وقال أبو العتاهية :

من يعيش يكبر ومن يكبر يمت
والمنايا لا تبالي من أتت (٣)

وهكذا الباب كله من ابن عبد البر القرطبي ، أقوال وشعر تبين مقت الهرم
وتظهران أنّ من أخطأ سهم المنية قيده الهرم .

١٦ / باب الوصايا الموجزة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، رواية عن جابر بن عبد الله أنّه
قال : سمعت رسول الله ﷺ ، قبل موته بأيام يقول : ((لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو
حسن الظنّ بالله)) (٤) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام
يأمر المؤمنين بحسن الظنّ بالله قبل الموت .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى ابنه عبد الله : أوصيك بتقوى الله ، فإنّه
من اتقاه كفاه ووقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، فاجعل التقوى عماد
بصرك ، ونور قلبك ، واعلم إنّ لا عمل لمن لا نية له ، ولا جديد لمن لا خلق له ، ولا
إيمان لمن لا أمانة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا أجر لمن لا حسن له (٥)

(١) الأبيات في عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

(٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ٧٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ، باب (الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند
الموت) ، حديث رقم (٥١٢٥) .

(٥) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أراد أن يستعمل رجلاً دعاه فأوصاه ، قائلاً : عليك بتقوى الله الذي لا بدّ من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ، فإنه يملك الدنيا والآخرة وعليك فيما أمرك به بما يقربك من الله ، فإنّ ما عنده خلف من الدنيا ^(١) ، وقال سعد بن أبي وقاص ، لسلمان : أوصني ، فقال له : اذكر الله عند همّك إذا هممت وعند لسانك إذا تكلمت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا بطشت ^(٢) .
ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول أبو العتاهية :

كن في أمورك ساكناً

فالمرء يدرك في سكونه

والن جناحك تعتقد

في الناس محمّدة بليّنه

واعمد إلى صدق الحديـ

ث فإنه أركى فنونه ^(٣)

وقال محمود الورّاق :

خذ من زمانك ما صفا

ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا

تبه الزمان على الغير ^(٤)

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٣) ديوان أبي العتاهية ، ص ٤٤٩ .

(٤) البيتان لديك الجن الحمصي ، في محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٦٧٤ . وفيه (مدّة من أن يحق بالغير) بدلاً عن (من معاتبة الزمان على الغير) ،

١٧/ باب لح من الدعاء :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه ((إنَّ الدعاء هو العبادة ، ثم تلى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ... ﴾ (١))) (٢) ، الحديث من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يعلمنا أهميَّة الدعاء في كلِّ حين ، والإكثار من ذكر الموت .

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : ((اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة والقلَّة والذلة)) (٣) ، ودعائه أيضاً : ((اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ، ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء)) (٤) .

وإجابة الدعاء لا بدَّ لها من شروط ، فشرط الداعي : أن يكون عالماً بأن لا قادر إلا الله ، وأنَّ الوسائط في قبضته ، ومسخرة بتسخيره ، وأن يدعو بنية صادقة وقلب حاضر ، فإنَّ الله لا يستجيب دعاء من قلبه لا هي ، وأن يكون متجنباً لأكل الحرام ، ولا يملُّ من الدعاء .

ومن شروط المدعو فيه : أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً كما قال عليه السلام : ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، ويدخل في الإثم كل ما يؤثم به من الذنوب ، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم (٥) ، قال ابن عطاء الله (٦) : إنَّ للدعاء أركاناً وأجنحة ، وأسباباً وأوقاتاً ، فإن وافق أركانه قوي ، وإن وافق أجنحته طار إلى السماء ، وإن وافق مواقيته فاز ، وإن وافق أسبابه نجح

(١) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب (الدعاء) باب (فضل الدعاء) ، حديث رقم (٣٨١٨) .

(٣) سنن النسائي ، كتاب (الاستعاذة) ، باب (الاستعاذة من الذلة) ، حديث رقم (٥٣٦٥) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب (القدر) ، باب (من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء) ، حديث رقم (٦١٢٦) .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٦) هو : أحمد بن محمد بن الإسكندري ، محدث ثقة ، وكاتب متقن . الأعلام ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

فأركانه حضور القلب والخشوع ، وأجنته الصدق ، ومواقفته الأسحار ، وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ (١) .

ومن الأدعية الحسنة المرجوة الإجابة : يا من لا يشغله شيء عن سماع الدعاء يا فعّال لما يشاء ، يا من لا يغالطه السائلون ، ولا يبرمه الملحون ، اغفر لي وارحمني ، يا من لا يغفر الذنوب غيره (٢) ، ومثله : يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ، ويا من لا تغيبه الظلمات ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا شديد السلطان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر لي ذنوبي (٣) ، ومثله : يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال والإكرام ، هب لي العافية في الدنيا والآخرة (٤) .

ومن رقيق الشعر في الدعاء ، قول منصور الفقيه :

يا سميع الدعاء كن عند ظني

واكفني من كفيته الشر مني

وأعني على رضاك وخر لي

في أموري وعافني واعف عني (٥)

١٨ / باب ذكر الدنيا :

استهّل ابن عبد البر القرطبي ، الباب ، بحديث للرسول ﷺ ، جاء فيه : أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته أحبّني الله

(١) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ .

(٢) انظر : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٢٠ .

(٣) انظر : المحاسن والمساوي ، ص ٥١٤ .

(٤) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٥) البيتان في كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .

وأحبّني الناس ، قال : ((ازهد في الدنيا يحبّك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس)) ^(١) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يأمرنا أن نزهد في هذه الحياة الدنيا ، لننال رضا الله ، وأن نزهد فيما عند الناس لننال رضائهم .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ، لعبد الله بن عمر : ((يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور)) ^(٢) ، وسئل علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن الدنيا ، والآخرة ؟ ، فقال : هما كالمشرق ، والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر ^(٣) ، ووعظ أعرابي ابنه ، فقال : يا بني إنّ الدنيا تسعى على من يسعى لها ، فالهرب قبل العطب ^(٤) ، وقيل لنوح عليه السلام حين حضرته الوفاة : يا نبي الله ، لقد بلغت من العمر ما بلغت ، فصف لنا الدنيا فقال : ما وجدت الدنيا مع طول عمري إلّا كبيت له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ^(٥) ، وقال علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن الدنيا : هي دار ممر إلى دار قرار ، والناس فيها رجالان ، رجل باع نفسه فأوبقها ، ورجل ابتاعها فاعتقها ^(٦) ، وقال حذيفة بن اليمان : ليس خياركم الذين تركوا الدنيا للآخرة ، ولا الذين تركوا الآخرة للدنيا ، ولكن خياركم الذين أخذوا من هذه وهذه ^(٧) .

^(١) سنن ابن ماجه ، كتاب (الزهد) ، باب (الزهد في الدنيا) ، حديث رقم (٤٠٩٢) .

^(٢) صحيح البخاري ، كتاب (الرقاق) ، باب (قول النبي : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حديث رقم (٥٩٣٧) .

^(٣) انظر : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥١٧ .

^(٤) كتاب الصناعتين ، ص ٥٣ .

^(٥) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

^(٦) انظر : المحاسن والمساوي ، ص ٣٤٢ .

^(٧) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ .

ومهما يكن من أمر فإنّ الدنيا قنطرة تعبر ولا تعمّر ، وهي أمد والآخرة أبد
ومن العقل الاستعانة بها للآخرة .

ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي ، في هذا الباب
قول أبو العتاهية :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما زوت عنه فليس بضائر

فما تعدل الدنيا جناح بعوضة

لدى الله أو مقدار زغبة طائر

فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمن

ولا رضى الدنيا عقاباً لكافر ^(١)

وقال المتنبي :

تفانى الرجال على حبّها

وما يحصلون على طائل ^(٢)

وقال أيضاً :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً

ولكن لا سبيل إلى الوصال ^(٣)

^(١) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٧٥ . وفيه (فما فاته منها) بدلاً عن (فما زوت عنه) ، و(نغبه) بدلاً

عن (زغبه) ، و(فلم يرض) بدلاً (فما رضى) .

^(٢) شرح ديوان المتنبي ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

^(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

١٩ / باب الزهد والقناعة :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((ما قلّ وكفى ، خير ممّا كثر وألهى)) ^(١) ، الحديث من الرسول ﷺ ، يبيّن بأنّ القليل الذي يكفي ، خير من الكثير الذي يجلب الملاهاة .

قال علي بن أبي طالب عليه السلام : الزاهدون في الدنيا قوم وعظّوا ، فاتّعظوا وأيقنوا فعملوا ، إن نالهم يسر شكروا ، وإن نالهم عسر صبروا ^(٢) ، وقال سعيد ابن المسيّب : من استغنى بالله افتقر الناس إليه ^(٣) ، وقال أحичة بن الجلاح : استغن عن كلّ ذي قربي وذي رحم

إنّ الغني من استغنى عن الناس ^(٤)

وسئل الخليل بن أحمد عن الزهد في الدنيا ؟ فقال : الزهد ألاّ تطلب المفقود حتى تفقد الموجود ^(٥) .

وممّا جاء في القناعة ، قول أوس بن حارثة ، لابنه : يا بني ، خير الغنى القناعة ، وشرّ الفقر الخضوع ^(٦) ، وقال بعض الحكماء : إذا كان سعيك إنّما هو لطلب الراحة في الدنيا ، ثمّ سعيت لأكثر ممّا يكفيك ، لم تزد من الراحة والدعة إلّا بعدا ^(٧) وقالوا : القناعة ثوب لا يبلى ، وهي شعار الأنبياء ^(٨) ، ويبقى إنّ أبلغ ما

(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (مسند الأنصار) ، باب (باقي حديث أبي الدرداء) ، حديث رقم (٢٠٧٢٨) .

(٢) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٤) البيت في البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(٥) انظر : محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥١١ .

(٦) المحاسن والمساوي ، ص ٢٧٤ .

(٧) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٨) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٣٠٣ .

جاء في القنعة قول علي بن أبي طالب ، عليه السلام : لا تحمل همّ قوت غدك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى ، فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك ، وفيه رزقك ، واعلم إنك لم تدخر أكثر من قوت يومك ، إلا إن كنت فيه خازناً لغيرك ^(١) .
ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي في ختام الباب قول أبو العتاهية :

تبغي من الدنيا الكثير وإنما
يكفيك منها مثل زاد الراكب ^(٢)

وقال العطوي :
إن القنعة من يحلل بساحتها
لم يلق في دهره همّاً يورقه ^(٣)
وقال الحطيئة :

يقولون يستغني ووالله ما الغنى
من المال إلا ما يكف وما يكفي ^(٤)
وقال أبو ذؤيب الهذلي :
والنفس راغبة إذا رغبتّها
وإذا تردّ إلى قليل تقنع ^(٥)

(١) عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص ٥٥ .

(٣) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٩٢ . وفيه (في ظلها) بدلاً عن (في دهره) .

(٤) ديوان الحطيئة ، ص ٣٢٠ . وفيه (يعفّ) بدلاً عن (يكفّ) .

(٥) البيت في الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٦٥ .

٢٠ / باب من المواعظ الموجزة :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)) ^(١) ، الحديث من الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يبين لنا المسلم الحق الذي لا يؤذي المسلمين ، الأمين عليهم ، والمطيع لربه بتجنب الفواحش ، وهجر الخطايا والذنوب .

ووعظ الرسول ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قائلاً : ((يا عبد الله اغتصم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)) ^(٢) ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : ما انتفعت بشيء بعد وعظ الرسول ﷺ ، منفعتي بشيء كتب به إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أمّا بعد فإنّ المرء يسرّه درك ما لم يدركه ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ، وليكن أسفك على ما فات منها ، وليكن همّك لما بعد الموت ^(٣) ، ووعظ أعرابي أخاه فقال : يا أخي أنت طالب ، مطلوب ، يطلبك من لا تفوته ، وتطلب ما قد كفيته فكأنّ ما قد غاب عنك قد كشف لك ، وما أنت فيه قد نقلت عنه ، يا أخي كأنك لم تر

^(١) مسند الإمام أحمد ، كتاب (باقي مسند الأنصار) ، باب (مسند فضالة بن عبيد الأنصاري) حديث رقم (٢٢٨٣٣) .

^(٢) سنن الترمذي ، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في قصر الأمل) ، حديث رقم (٢٢٥٥) .

^(٣) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

حريصاً محروماً ، ولا زاهداً مرزوقاً ^(١) ، وكتب سلمان الفارسي ^(٢) ، إلى أبي الدرداء : أما بعد ، فإنك لا تتال ما تريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تبلغ ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره ، فليكن قولك ذكراً ، وصمتك فكراً ، ونظرك عبرة ، واعلم إن أعجز الناس من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله وإن أكيسهم من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت ^(٣) .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : خرج النعمان بن المنذر ^(٤) إلى الصيد ومعه عدي بن زيد ، فمرّاً بشجرة ، فقال له: أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال : تقول : ربّ ركب قد أناخوا عندنا

يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا

وكذاك الدهر حالاً بعد حال ^(٥)

قال : ثمّ مرّاً بمقبرة ، فقال له عدي : أتدري أيّها الملك ، ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا ، قال : تقول :

أيّها الركب المخبّون

على الأرض المجدّون

كما أنتم كنّا

(١) محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٥١٥ .

(٢) هو : سلمان بن الإسلام أبو عبد الله الفارسي ، سابق الفرس إلى الإسلام ، صاحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه ، كان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال ، عاش بضعا وسبعين سنة . سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) هو : النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني ، أمير بادية الشام قبيل الإسلام ، نشأ في الجولان ، وتوفي سنة ٢٨ ق هـ . الأعلام ، ج ٩ ، ص ٩ .

(٥) البيتان في عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ . وفيه (شرب) بدلاً عن (ركب) ، و(ثم أضحوا لعب الدهر بهم) بدلاً عن (عصف الدهر بهم فانقرضوا) .

كما نحن تكونون^(١)

فقال النعمان : قد علمت أنّ الشجرة والمقبرة لم يتكلّما ، وإنّما أردت موعظتي
فما السبيل الذي تدرك به النجاة ؟ قال : تدع عبادة الأوثان ، وتعبد الله ، وتدين بدين
المسيح ، قال : فتنصّر يومئذ^(٢) .

٢١/ باب العمل :

الاستهلال للباب من ابن عبد البر القرطبي ، بحديث للرسول ﷺ ، يقول فيه :
((اعملوا ، وخير أعمالكم الصلاة))^(٣) ، الحديث من الرسول عليه أفضل الصلاة
والسلام حتّى على العمل ، مع بيان أنّ خير العمل الصلاة .
قال أبو ذرّ الغفاري : قلت يا رسول الله : الرجل يعمل العمل لنفسه ، ويحبّه
الناس عليه ؟ قال : ((ذلك عاجل بشرى المؤمن))^(٤) ، وقال بعض العلماء : أفضل
الأعمال ما أكرهت عليه النفوس^(٥) ، والشاهد عليه قول الرسول صلى الله عليه
وسلم : ((ألا أدلكم على ما يمحو به الله الخطايا ، ويرفع به الدرجات ، إسباغ
الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط))^(٦) ، وعن أنس رضي الله عنه قال : يتبع الميّت ثلاث : يرجع
اثنان وتبقى واحدة تتبعه ، أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ولا يرجع

(١) البيتان في كتاب عدي بن زيد العبادي الشاعر المبتكر ، تأليف محمد علي الهاشمي ، ط ١
١٩٦٧م ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب (الطهارة وسننها) ، باب (المحافظة على الوضوء) ، حديث رقم
(٢٧٣) .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب (الزهد) ، باب (الثناء الحسن) ، حديث رقم (٤٢١٥) .

(٥) انظر : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب (الطهارة) ، باب (فضل إسباغ الوضوء على المكاره) ، حديث رقم (٣٦٩) .

عمله ^(١) ، وقال بعض الحكماء : لا شيء أحسن من عقل زانه حلم ، ومن عمل زانه علم ، ومن حلم زانه صدق ^(٢) ، وقال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك عمل من يموت غداً ^(٣) ، وقال أبو الدرداء : اعملوا ما شئتم أن تعملوا فإنه لن يأجركم الله حتى تعملوا ^(٤) .

ومن الشواهد الشعرية التي أوردها ابن عبد البر القرطبي، في الحث على العمل، قول الشاعر :

الموت داء لا دواء له

إلا التقى والعمل الصالح ^(٥)

وأنشد الأوزاعي :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل ^(٦)

وكان الإمام أبو حنيفة يتمثل دائماً بالبيت :

كفى حزناً ألا حياة هنية

ولا عمل يرضى به الله صالح ^(٧)

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

(٤) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ .

(٥) البيت في المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .

(٦) البيت في المستطرف في كل فن مستطرف ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٧) البيت في مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ٢ ، ص ١٠٥ . وفيه (أن لا مهاه لعيشنا) بدلاً عن (ألا حياة هنية) .

٢٢/ باب مختصر من التعازي في المصائب والصبر على النوائب :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب بحديث عن الرسول ﷺ يقول فيه :
((ليعزّ المسلمون في مصائبهم ، المصيبة بي)) ^(١) الحديث من الرسول الكريم يبيّن
عظم مصيبتهم ، فعلى المسلمين التأسّي به في مصائبهم .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، إذا عزّى قوماً قال : ليس مع العزاء مصيبة
وليس مع الجزع فائدة ، والموت أشدّ ممّا قبله ، وأهون ممّا بعده ، أذكروا فقد رسول
الله ﷺ ، تسهل عليكم مصيبتكم ^(٢) ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر من
الإيمان ، بمنزلة الرأس من الجسد ، والإيمان لمن لا صبر له ^(٣) ، وعزّى الزبير
عبد الرحمن بن عوف ، عن بعض نسائه ، فقام على قبرها ، وقال : لا أصغر الله
ربعك ، ولا أوحش بيتك ، ولا أضاع أجرك ، رحم الله متوفاك ، وأحسن الخلافة
عليك ^(٤) ، وقال حذيفة بن اليمان : إنّ الله لم يخلق شيئاً قط إلاّ صغيراً ثمّ يكبر ، إلاّ
المصيبة ، فإنّه خلقها كبيرة ، ثمّ تصغر ^(٥) ، ودخل عبد الله بن عمر ، على المهدي
يعزيّه بالمنصور ، فقال : أجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين ، فيما خلفه فيه
فلا مصيبة أعظم من المصيبة بإمام ، ولا عقبى أفضل من خلافة الله على أمّة نبيه
عليه الصلاة والسلام ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عنده
أفضل الرزية ^(٦) ، وقدم عيينة بن حصن الفزاري ، من سفر وقد أصابته مصيبة
فأتاه قومه ، فقال لهم : اجعلوا لقاءكم سلاماً ، ولا يأتي أحدكم معزّياً ، فإنّ التعزية

^(١) موطأ الإمام مالك ، كتاب (الجنائز) ، باب (جامع الحسبة في المصيبة) ، حديث رقم (٤٩٧) .

^(٢) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٢٢ .

^(٣) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

^(٤) انظر : عيون الأخبار ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

^(٥) ديوان المعاني ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

^(٦) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

تهيج التذكرة ، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب (١) .
ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول
أبو العتاهية :

اصبر لكل مصيبة وتجلّد
واعلم بأنّ المرء غير مخلّد
أوما ترى إنّ المصائب جمّة
وترى المنية للعباد بمرصد (٢)

هكذا الباب من ابن عبد البر القرطبي كلّ شواهد تحتّ على الصبر والتجلّد
عند حلول المصائب .

٢٣/ باب من كلام المحتضرين :

استهلّ ابن عبد البر القرطبي الباب برواية ، لو كيع (٣) ، عن إسماعيل بن أبي
خالد (٤) ، عن عبد الله البهمي ، مولى الزبير ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها
إنّها قالت لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه :
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

(١) كتاب بهجة المجالس ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٢) ديوان أبي العتاهية ، ص ١٢٩ .

(٣) هو : أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيّان ، شاعر مشهور ، أصله
من بغداد ، ومولده بـ " تنيس " ، له كتاب يبيّن فيه سرقات المتنبي ، سمّاه " المنصف " ، توفي
سنة ٣٩٣ هـ . وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٤) هو : إسماعيل بن أبي خالد ، الحافظ ، الكوفي ، محدّث الكوفة في زمانه . سير أعلام النبلاء
ج ٦ ، ص ٣١٠ .

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (١)

فقال : يا بنيّة ، لا تقولي هكذا ، ولكن قلّي : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (٢) (٣) ، ولما احتضر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، كلمه ابن عبّاس وغيره بكلام فيه ثناء عليه ، فقال : المغرور من غررتموه ، ليت أمّي لم تلدني ، ثمّ أوصى بوصايا حسان (٤) ، ولما احتضر معاوية ، رفع يديه وهو يجود بنفسه ، وقال متمثلاً :

هو الموت لا منجى من الموت والذي

أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع (٥)

ثمّ قال : اللهم اقل العثرة ، واعف عن الزلّة ، وجد بلمك على من لا يرجو غيرك ، ولا يثق إلاّ بك ، فإنّك واسع الرحمة ، وما وراءك مذهب لذي خطيئة موبقة يا أرحم الراحمين (٦) ، وقيل لعمر بن العاص ، في مرضه الذي مات فيه : كيف نجدك ؟ قال : أجدني أنوب ولا أثوب ، ولما قربت نفسه من أن تقبض ، قال له ابنه : قد كنت تحبّ أن ترى عاقلاً فطناً قد احتضر فتسأله عما يجد المحتصر ، وقد احتضرت ، وأنا أحبّ أن تصف لي الموت ، فقال : أجد كأنّ السماء منطبقة على الأرض ، وكأنّي أتنفّس من خرم إبّرة (١) ، ولما نزل بهشام بن عبد الملك الموت

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ، ص ٥٥ . وفيه (أماوي) بدلاً عن (لعمرك) . وفي العقد الفردي ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٢) سورة ق ، الآية ١٩ .

(٣) العقد الفردي ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ .

(٥) البيت في المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٢٩١ . وفيه (نحاذر) بدلاً عن (أحاذر)

(٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(١) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

نظر إلى أولاده بيبكون حوله ، فقال لهم : جاد لكم هشام بالدنيا ، وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما اكتسب ، ما أعظم منقلبه إن لم يغفر الله له (٢) .
ومن الشواهد الشعرية التي ساقها ابن عبد البر القرطبي في هذا الباب ، قول الشاعر :

فهل من خالد أمّا هلكن

وهل بالموت يا للناس عار (٣)

وقال الحسن بن هاني :

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة

فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلّا محسن

فمن الذي يدعو إليه المجرم

أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعا

فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم (٤)

وهكذا الباب كلّ من ابن عبد البر القرطبي ، يدور حول النفثات الأخيرة من المحتضر ، والتي تتطلّب تهيئة خاصّة للخروج من الحياة ، بوصيّة للأبناء أو الأهل وقبل ذلك تلقين للشهادة ، وقد وفق ابن عبد البر القرطبي أيّما توفيق فيه ، والطيب في الأمر أن جعل هذا الباب ختاماً لأبوابه العديدة ، فهو خير ما يختم به .

(٢) لباب الآداب ، ص ١٢٢ .

(٣) البيت في ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، سلسلة كتب التراث شركة دار الجمهورية للطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٥م ، ص ١٣٢ .

(٤) ديوان أبي نواس ، ص ٥٨٧ . وفيه (فيمن يلوذ ويستجير المجرم) ، بدلاً عن (فمن الذي يدعو إليه المجرم) .

خاتمة

وتشمل :

- ❖ نتائج البحث .
- ❖ توصيات الباحث .

خاتمة

الحمد لله الملك العظيم ، العلي الكبير ، الغني الحميد ، المتفرد بالعزّ والبقاء والإرادة والتدبير ، الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، أحمدته حمد عبد معترف بالعجز والتقصير ، وأحمدته على ما أعان عليه من قصد ، ويسّر من عسير كي أسبر أغوار كتاب جمع كثيراً من الأدب والحكم والأمثال والمواعظ ، والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ، ورقائق الشعر ، والتاريخ ، واستوعب الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ما تشنّف بذكره الأسماع وتقرّ برؤيته العيون ، وينشرح بمطالعه كلّ قلب محزون .

والله تعالى هو المسؤول في تيسير المطلوب ، وأن يلهم الناظر فيه كشف ما يعتريه من نقص وعيوب ، إنّه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، فإن وفّقت في عرضه وتحليله ، فمن الله تعالى ، وإن قصّرت فليكن جهداً يأتي من يوفيه حقّه كاملاً بإذن الله .

نتائج البحث :

توصّلت من دراستي لكتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " إلى عدّة نتائج من أهمّها :

١/ وضوح ثقافة ابن عبد البر القرطبي ، من خلال كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس " التي امتازت بالأصالة والعمق ، وكثرة تنوّعها ، ووفرة مصادرها ويظهر ذلك بالإحاطة والشمول للمادّة ، كأنّه يستمدّ ما يذكره من معين لا ينضب .

٢/ تأثّر ابن عبد البر القرطبي ، بالشيوخ الذين نهل منهم ، لفترة طويلة من الزمان ، فاكتسب منهم ثقافة علمية رفيعة .

٣/ استقراره في بلدة " دانية " بالأندلس ساعد على تأليفه العديد من الكتب من علوم الحديث والفقه والتأريخ والأنساب والأدب ، وهي الكتب التي قامت عليها شهرة

ابن عبد البر القرطبي ، في أرجاء الأندلس ، والتي جعلت طلاب العلم يهرعون إليه في " دانية " للتلقّي من الحافظ الكبير والسماع منه .

٤/ الإيمان القاطع من ابن عبد البر القرطبي ، بأنّ معرفة الأدب قرابة إلى الله تعالى ؛ لأنها تبعث على المكارم وتنتهي عن الدنيا والمحارم ، وإنّ جمع نواذر العرب وأمثالها ومقاطعها ومبادئها وفصولها ، يبعث في المطلّع امتثال طرقهم واحتذائها ، فهي زين لمن حفظها ، في مجالسه ، وأنس لمجالسه ، وشحد لذهنه وهاجسه .

٥/ سهولة استيعاب كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " وذلك لتقسيمه لأبواب كلّ منها في الغالب الأعمّ يستهله بآية كريمة أو حديث من أحاديث الرسول ﷺ يكون لهما التناغم والارتباط بالمعنى المراد التحدّث عنه ، إن كان معنًاً في الدين أو الدنيا .

٦/ استقى ابن عبد البر القرطبي مادة كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس " من عدد ضخم من المصادر ، مثل : " المستطرف في كل فنّ مستظرف " للأبشيهي وكتابي ابن قتيبة : " عيون الأخبار " ، و " الشعر والشعراء " ، وكتابي الجاحظ : " البيان والتبيين " و " الحيوان " ، و " حماسة أبي تمام " ، ودواوين الشعراء ، إذ انه أكثر من شعر أبو العتاهية ، ومنصور الفقيه ، ومحمود الوراق .

٧/ مادة الكتاب في معظمها مشرقية الأصل .

٨/ حفظ الكتاب قدر معتبر من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندي ، وابن عبد ربّه ، كما حفظ شعر بعض الشعراء المشرقيين من الاندثار ، كشعر منصور الفقيه ، المصري الموطن ، وشعر الشاعر البغدادي محمود الوراق .

٩/ توسم الحياة الثقافية في الأندلس منذ البدء بالاعتماد على المشرق والتقليد لأهله ؛ لأنّه كان أرقى حضارة ، وأوسع ثقافة ، فكانوا يرونه منبع العلم والدين وموطن القداسة والحجّ ، وقد نمت روح المنافسة مع مرّ الزمان بين المشرق

والمغرب ، ولكنها لم تستطع أن تكفل استقلال الأندلس في شئون الحضارة والأدب .
١٠ / ظهور الزهد والتصوّف في الأندلس بشكل لافت للأنظار ، فكلّ غلو في ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية لابدّ من مقابل له في الاتجاه الآخر حتى يحدث نوع من التوازن في مسلك الحياة العامّة ، وطالما أنّ هناك إسراف في الملاذ وغلو في الإقبال على الشهوات ، لا يكون غريباً أن يوجد بين الناس من يجانب الملاذ ويخاصم الشهوات ، ويبتعد عن الدنيا .

١١ / إجادة الأندلسيين في شعر الطبيعة إلى الحدّ الذي دفع بعضهم إلى أن يجعله بين موضوعات الشعر كالمح للطحام ، ومزجها بموضوعات الغزل ، والخمر والمديح ، والشكوى ، والتحرّس والرتاء ، وكانوا فيه أكثر توفيقاً .

١٢ / جمع الكتاب كثير من الأمثال السائرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة ، والأبيات الشعرية النادرة ، وأنواع جمّة من معاني الدين والدنيا ، حتى لا يكاد يمرّ بك معنى وإلاّ ذكرت له مثلاً أو حكمة أو بيتاً من الشعر أو حكاية مستطرفة يحسن موقعها في الأسماع .

١٣ / أحياناً يذكر ابن عبد البر القرطبي في الباب الواحد المعنى وضده ، وذلك لكي يكون أبلغ وأشفى وأمتع .

١٤ / جميع الأبيات الشعرية التي وردت في كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " من الشعر العفيف الذي يمتلئ بالمثل الصالح والحكمة النافعة ، والقول الشريف ، وذلك هو طابع ابن عبد البر القرطبي في اختياراته .

١٥ / بعض أبواب كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " كان الاستهلال فيها بالشعر ، أو بقول للخلفاء رضوان الله عليهم ، أو بكلام لابن عبد البر نفسه ، وكثيراً ما كان ختامه بالأبيات الشعرية ، أو بالطرف .

١٦ / نجد كثيراً من الأشعار الواردة في كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس " لم تنسب إلى أحد من الشعراء ، إذ يجيء : قال الشاعر ، وقال آخر .

توصيات الباحث :

ممّا لا شكّ فيه إنّ جهد البشر مهما كان دقيقاً ، يكون النقصان والزلل فيه فالكمال لله وحده ، ومن توصياتي للباحثين الذين يأتون من بعدي الالتفات إلى كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " ، لينهلوا من فيضه ، لأنّه يمثّل الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية للمجتمع العربي عبر مراحلها المختلفة فالكتاب يتناول موضوعات عديدة في أمور الدين والدنيا ، كان لي فيها جهد المقل ، من التحليل والشرح ، عسى أن يأتي من ينقّب في الكتاب وتكون له الجرأة والملكة في سبر أغواره ، فهو لا غنى عنه لكل باحث في الأدب ، كما أوصي بدراسة شعر ابن عبد البر القرطبي الغزلي العفيف .

فهارس عامة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
١	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	١٧١	البقرة	٦٣
٢	﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	٣٢	النساء	٢٩٣
٣	﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	٥٩	النساء	٢٢٩ ، ٨٤
٤	﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ... ﴾	٨٦	النساء	١٧٣
٥	﴿ ... فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	١٥٠	الأعراف	٢٩٠
٦	﴿ ... لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾	٥	يوسف	٢٤٣
٧	﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾	٧١	النحل	١٧٧
٨	﴿ ... إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	٣	الإسراء	٢١٣
٩	﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	٢٤	الإسراء	٢٩٥

٢٩٥	الإسراء	٢٩	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾	١٠
١٨٨	الكهف	٤٦	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	١١
٣٤٠	الكهف	١١٠	﴿ ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	١٢
٢٤٨	مريم	٥٤	﴿ ... إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴾	١٣
٣٣٨	الأنبياء	٣٠	﴿ ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ... ﴾	١٤
٢٥١	المؤمنون	١ - ٢	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾	١٥
٣٠٩	النور	٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... ﴾	١٦
٦٣	النور	٣٥	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١٧

٢١٩	الفرقان	١٩	﴿...وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾	١٨
٢٣٩	القصص	٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ...﴾	١٩
٣٢٣	العنكبوت	٤١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ...﴾	٢٠
٢٨٨	الأحزاب	٥٣	﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾	٢١
٣٤٨	يس	٦٨	﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾	٢٢
٢٥١	ص	٤٤	﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٢٣
١٨٦	الشورى	٢٨	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	٢٤
١٧٧	الزخرف	٣٢	﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢٥
٢٩٤	الزخرف	٨٩	﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ...﴾	٢٦
٢٥١ ٢٦٨	القلم	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٢٧
٢٣٢	الهمزة	١	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	٢٨

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	رقم الصفحة
١	((ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ، ثم قال : إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ، أو تركه الناس لشره))	٢٥٤
٢	((إذا أبردتم إليّ بريداً أو بعثتم رسولاً فليكن حسن الوجه حسن الاسم ، وإذا سألتهم الحوائج ، فاسألوا حسان الوجوه))	٢٠٣
٣	((إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً ، ورؤيا المسلم من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))	٣٣٥
٤	((إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت ذنوبهما ، كما يتحات الشجر))	٢٠٢
٥	((إذا رأيتم المادحين فأحثوا في وجوهه التراب))	٢٥٢
٦	((أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي بن أبي طالب وأقراهم أبي بن كعب ، وأفضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح))	٢٥١
٧	((أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس ، واجتنب ما حرم الله عليك تكن أروع الناس))	١٩٠

٢٧٦	((الأرواح أجناد مجنّدة ، فما تعارف منها إئتلف ، وما تتآكر منها اختلف))	٨
٣١٤	((أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، وما أسفل من ذلك في النار ، لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاً))	٩
٣٥٤	((ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))	١٠
٢١٤	((اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء))	١١
٣٦٠	((اعملوا ، وخير أعمالكم الصلاة))	١٢
١٧٦	((أفضل الكسب عمل اليد وكلّ بيع مبرور))	١٣
٣١٠	((أفعمياوان أنتما))	١٤
٢٦٨	((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))	١٥
٣٦٠	((ألا أدلكم على ما يمحو به الله الخطايا ، ويرفع به الدرجات ، إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط))	١٦
٣١٤	((الحرير حلال لباسه لإنات أمّتي ، حرام على ذكورها))	١٧
٣٥٢	((اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة والقلّة والذلّة))	١٨
٢٤٦	((اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدّين وقهر الرجال))	١٩

٢٠	((اللهم إني أعوذ بك من الغمّ والهَمّ والكسل والهَرم))	٣٤٨
٢١	((اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ، ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء))	٣٥٢
٢٢	((أمّك ، قال : ثمّ من يا رسول الله ؟ قال : أمّك ، قال : ثمّ من ؟ قال : أمّك ، قال : ثمّ من ؟ قال : أباك ثمّ أدناك))	٢٩٤
٢٣	((انتظار الفرج بالصبر عبادة))	١٨٤
٢٤	((إنّ أخوف ما أخاف عليكم ، الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول تعالى يوم القيامة ، يوم يجازى الناس بأعمالهم : إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون فيهم خيراً))	٣٤٠
٢٥	((إنّ الدعاء هو العبادة ، ثمّ تلى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ... ﴾))	٣٥٢
٢٦	((إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت))	٢٦٧
٢٧	((إنّ من البيان لسحراً))	٩٠
٢٨	((أوصيكم بالصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم))	٢٩٨
٢٩	((إيّاكم والشحّ ، فإنّه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا))	٢٧١
٣٠	((إيّاكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث))	٢٣٦

٢٣٥	((إِيَّاكُمْ وَالْفَحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))	٣١
١٧٦	((التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ الشَّهْدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	٣٢
١٧٦	((التَّجَارُ هُمُ الْفَجَّارُ))	٣٣
٣١٣	((تَرَفَّقُوا وَلَا تَطْلُقُوا ، وَانْكَحُوا الْأَكْفَاءَ ، وَاخْتَارُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَاسٌ))	٣٤
٣١٢	((تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ ، فَإِنِّي مَكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	٣٥
٣٢٠	((تَفْتَحْ لَكُمْ أَرْضَ الْأَعَاجِمِ ، فَتَجِدُونَ فِيهَا بَيْوتاً تَدْعَى الْحَمَامَاتُ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيضَةٌ أَوْ نَفْسَاءٌ وَلَا يَحِلُّ دُخُولُهَا لِرَجُلٍ إِلَّا بِمَنْزَرٍ))	٣٦
٣١٢	((تَتَكَّحِ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ))	٣٧
٢٠٦	((تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ وَحَرُّ الصَّدْرِ))	٣٨
٣٣١	((ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ ، وَثَلَاثٌ مِنْ شَقْوَةِ ابْنِ آدَمَ : الْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ))	٣٩
٣٠٤	((حَبَّكَ الشَّيْءُ يَعْصِي وَيَصْمُ))	٤٠
٢٧٣	((حَسْبُ الْمُؤْمَنِ دِينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْوَاهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ))	٤١
٢٨٠	((خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ يَخِيفُ الْعَدُوَّ وَيَخِيفُونَهُ))	٤٢

٤٣	((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغرم))	٣١٥
٤٤	((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))	٣٢٤
٤٥	((الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة))	٣١٢
٤٦	((الدين النصيحة))	٨٧
٤٧	((ذلك عاجل بشرى المؤمن))	٣٦٠
٤٨	((رأيت إنّي دخلت الجنة ، فسقيت لبناً ، فشربت حتى رأيت الريّ ، أو قال : اللبن خرج من أظفاري ، قالوا : فما تأولته يا رسول الله ؟ قال : العلم))	٣٣٥
٤٩	((رحم الله عمر بن الخطاب تركه الحق ليس له صديق))	٢٦٤
٥٠	((السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الرجوع إلى أهله))	١٩٥
٥١	((سلوا الله العافية والمعافة في الدنيا والآخرة ، فإنه لم يؤت عبد بعد اليقين بالله بأفضل من المعافة))	٢٢٦
٥٢	((سيّد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم))	٣١٧
٥٣	((عليكم بالأبكار ، فإنهنّ أطيب أفواجا ، وأنقى أرحاما))	٣١٢
٥٤	((فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم))	٣٠٢
٥٥	((قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : وإنّي لا أقول إلاّ حقاً))	٢٦١

٣١٤	((كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها))	٥٦
٢١١	((كل معروف صدقة))	٥٧
٢١٦	((كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع عليهم ومسؤول عنهم ، والمرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عنه))	٥٨
٢٢٤	((كيف نجدك ؟ قال: أجدني أرجو وأخاف، قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما اجتمعنا في قلب رجل إلاّ أعطاه الله خير ما يرجو منه ، وأمنه من شرّ ما يخاف))	٥٩
١٨٣	((لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه))	٦٠
١٨٢	((لا تسألوا الناس))	٦١
٢٩١	((لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبنتليك))	٦٢
٢٤٥	((لا تمنوا لقاء العدو ، وإذا لقيتموهم فاصبروا))	٦٣
١٨٦	((لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع ، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ))	٦٤
٢٩٨	((لا يدخل الجنة سيئ الملكة))	٦٥
١٦٠	((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله))	٦٦
١٥٨	((لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثمّ يجلس فيه))	٦٧
٣٥٠	((لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو حسن الظنّ بالله))	٦٨
٢٣٧	((لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاء))	٦٩

٢٦٦	((لكلّ دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء))	٧٠
٢٢٣	((ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد من يملك نفسه عند الغضب))	٧١
٣٦٢	((ليعزّ المسلمون في مصائبهم ، المصيبة بي))	٧٢
٢٣٩	((ما تواضع عبد لله إلاّ رفعه الله))	٧٣
١٥٨	((ما جلس قوم مجلساً يقرءون فيه القرآن ويذكرون السنن ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم إلاّ حفت بهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمن وذكرهم الله فيمن عنده))	٧٤
٣٠٦	((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب لعقول ذوي الألباب منكنّ))	٧٥
٢٠٧	((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))	٧٦
٣٥٦	((ما قلّ وكفى ، خير ممّا كثر وألهى))	٧٧
٢٣٣	((ما من ذنب أجدر بأنّ تعجلّ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم))	٧٨
٢٩٦		
٢٢٧	((ما من مسلم يمرض مرضاً أو يبتلى ابتلاءً إلاّ حطّ الله من خطاياهم ، كما تحط الشجرة أوراقها))	٧٩
٨١	((مداراة الناس صدقة))	٨٠
٢٩٣، ٢٨٤	((المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالّ))	٨١
٢٤١	((المستشار مؤتمن))	٨٢

٣٥٨	((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب))	٨٣
١٧٣	((من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسمه معه قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا))	٨٤
٢٤٧	((من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره ما لم يعلم كذبه))	٨٥
٢٣٢	((من أقال عشرة أقاله الله يوم القيامة))	٨٦
٢١٣	((من أهدي إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء))	٨٧
٣٢٨	((من تعلّم باباً من النجوم ، فقد تعلّم باباً من السحر ما زاد زاد))	٨٨
٢٢٧	((من خير ما تداويتم به الحجامة))	٨٩
١٩٩	((من زار أخاً له في الله ، أو عاده خاض الرحمة حتى يرجع ، وقال الله عزّ وجلّ له طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً))	٩٠
٣٤١	((من شاب شيبة في الإسلام ، كانت له نوراً يوم القيامة))	٩١
١٦٦	((من صمت نجا))	٩٢
١٥٨	((من قام من مجلسه ثم رجع ، فهو أحقّ به))	٩٣
٢١٠	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ولا يؤذ جاره))	٩٤

٢٢١	((من لا يرحم لا يرحم))	٩٥
٢٠٠	((من ولي من أمور الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته وخلقه وفاقتة))	٩٦
٢٢٦	((من يرد الله به خيراً يصب منه))	٩٧
٢٦٣	((المنافق إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوّتمن خان))	٩٨
٢١٨	((نحن أمة أمّية لا نكتب ولا نحسب))	٩٩
١٩٢	((نعم ، إلاّ الدين ، بذلك أخبرني جبريل))	١٠٠
١٨٨	((نعم المال الصالح للرجل الصالح))	١٠١
٢٠٥	((الهدية رزق من الله ، فمن أهدي إليه شيء فليقبله ولا يردّه وليكافئ عليه))	١٠٢
٢٧٠	((يا أشجّ عبد القيس أو يا منذر ، فيك خصلتان يرضاها الله ورسوله : الحلم والأناة))	١٠٣
١٩٨	((يا أخي لا تتسنا من دعائك))	١٠٤
٣٠٨	((يا أنجشة ويحك أرفق بالقوارير))	١٠٥
٣١٧	((يا بني قل بسم الله ، وكل بيمينك ، وكل ممّا يليك))	١٠٦
٣٣٤ ٣٥٨	((يا عبد الله اغتسم خمساً قبل خمس : شبّابك قبل هرمك وصحّتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك))	١٠٧
٣٥٤	((يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور))	١٠٨
٣٣١	((يا علي ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفواً))	١٠٩

١١٠	((يا معشر التجار إن بيعكم هذا يحضره الحلف ، فشوّبوه بالصدقة))	١٧٦
١١١	((يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، ويأمر المساكين باتخاذ الدجاج))	١٧٤
١١٢	((يدخل فقراء أمّتي الجنّة قبل الأغنياء بأربعين عاماً))	١٩١
١١٣	((يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم ، قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن ، والثناء السيئ أنتم شهداء الله في الأرض بعضكم على بعض))	٣٠٠

فهرس الأعلام المترجم لها في البحث

الرقم	العلم	رقم الصفحة
١	الأحنف بن قيس .	٨٩ ، ١٠٥ ، ٢٤٢ ٢٧٤ .
٢	الأحوص .	٩٤ ، ٣٠٣ .
٣	إسماعيل بن أبي خالد .	٣٦٣ .
٤	الأشجعي .	٢٤٩ .
٥	أشعب الطامع .	١٠١ ، ٢٦٠ .
٦	أبو الأصبع العدوانى .	٢٧٧ .
٧	الأصمعي .	٧٣ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ٢٠٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ٣٠٢ .
٨	الأضبط بن قريع .	٢٩٧ .
٩	ابن الأعرابي .	١٧٨ ، ١٨٩ ، ٢٥٧ .
١٠	الأعمش .	١٠٥ ، ١٦٨ ، ٢٨٨ .
١١	أكثم بن صيفي .	٧٢ ، ٧٦ ، ٨١ ، ١٢٤ ١٢٥ ، ١٨٧ ، ٢٢٦ ، ٢٨٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢٦ .
١٢	أيوب بن القرية .	٩٨ ، ٢٥٧ .
١٣	ابن باجة	٧ .
١٤	بثينة بنت جابر .	١٦٩ ، ١٧٠ .
١٥	ابن بسّام	٧ ، ٢٨٨ .

١٦	الثريا ابنة علي .	٢٠٤ ، ٢٠٥ .
١٧	ثوبان .	١٨٢ .
١٨	جحظة البرمكي .	٢٨٤ .
١٩	جرّان العود .	١٥٠ .
٢٠	جعفر بن محمد بن علي .	٢٢٣ ، ٢٦٢ .
٢١	جعفر بن يحيى .	٨٢ .
٢٢	أبو الجيش مجاهد	١١ ، ٤ .
٢٣	أبو حاتم .	٢٣٢ .
٢٤	حنيفة بن اليمان .	٢٣٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ .
٢٥	أبو الحزم بن جهور .	٣٨ .
٢٦	الحسين الخليلع .	١٣٧ .
٢٧	الحكم بن عبد الرحمن .	٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٤ ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ .
٢٨	أبو حنيفة .	١٦ ، ١٠٥ ، ٣٢٠ ٣٦١ .
٢٩	الخشني .	١١٥ ، ١٧١ .
٣٠	أبو الدرداء .	١٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣٢ ٣٥٩ ، ٣٦١ .
٣١	أبو دلف العجلي .	٩٥ ، ١٢٣ .
٣٢	ابن أبي الدنيا .	١١٩ .
٣٣	ربيعة الراي .	٩١ .
٣٤	ربيعة الرقي .	١٨٤ .
٣٥	ابن رشد .	٨ .

٣٦	روح بن حاتم .	٢٤٦ .
٣٧	الرياشي .	١٠٤ .
٣٨	الزبرقان بن بدر .	٣٢٥ .
٣٩	زياد الأعجم .	٢٥٠ ، ١٣٥ .
٤٠	الزيادي .	٢٩٦ .
٤١	زيد بن ثابت بن الضحّاك .	٢٥١ .
٤٢	ساريا الدثلي .	٢٥٢ .
٤٣	سالم بن عبد الله .	٢٦٠ .
٤٤	سحيم الفقعسي .	٢٩٩ ، ٢٤٤ .
٤٥	سعيد بن جبير .	٢٩٣ .
٤٦	سعيد بن المسيّب .	٣٥٦ ، ٣١١ .
٤٧	سفيان الثوري .	٣٠٤ .
٤٨	سفيان بن عيينة .	٣٤٩ .
٤٩	سلم الخاسر .	١٨٣ .
٥٠	سلمان الفارسي .	٣٥٩ .
٥١	ابن السماك .	٢٨٥ .
٥٢	سهل بن حنيف .	١٧٥ .
٥٣	سيف بن ذي يزن .	٣٤٥ .
٥٤	ابن شبرمة .	١٦٩ ، ١٥٩ ، ١٠٧ ٣٠٨ .
٥٥	شبيب بن شيبّة .	٧٥ .
٥٦	الشعبي .	٢٦٠ ، ١٦٦ ، ١٠٣ ، ٩٦ ٢٩٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .

٥٧	صاحب الزنج .	٢١١ .
٥٨	صالح بن جناح .	٢٧١ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠ .
٥٩	الصولي .	٢٥٩ .
٦٠	أبو الطمحان القيني .	١٣٠ .
٦١	طويس .	١٠٣ .
٦٢	عبد الرحمن الثالث .	٥ ، ٣ .
٦٣	عبد الرحمن الداخل	٦ ، ٣ .
٦٤	عبد الرحمن الناصر .	٢٧ ، ٢٦ .
٦٥	عبد الرحمن بن معاوية	٢ .
٦٦	عبد الله بن أبي ثور .	١٦٥ .
٦٧	عبد الله بن صفوان	٩٤ .
٦٨	عبد الله بن طاهر .	٢٠١ .
٦٩	عبد الله بن المبارك .	٢٩٢ ، ٢٤٠ ، ١٦٣ .
٧٠	عبد الله بن محمد بن يوسف .	٣١٧ ، ١٣ .
٧١	عبد الملك بن عمر .	٣٤٩ .
٧٢	عبد بني الحساس .	٢٩٩ .
٧٣	عبيد بن أيوب العنبري .	٢٢٠ .
٧٤	العتبي .	٢٥٦ ، ٢٥٢ ، ٢٢٩ .
٧٥	عتّاب بن ورقاء .	٩٢ .
٧٦	عدي بن أرطأة .	١٦٥ .
٧٧	عدي بن حاتم .	٢٣٢ ، ١٧٠ .
٧٨	العرجي .	٣١١ ، ٨٣ .
٧٩	عرقوب .	٢٤٩ .

٨٠	عروة بن أذينة .	. ١٢٠
٨١	أبو العريان الهيثم .	. ٣٤٩
٨٢	عزرا المنجم .	. ٣٣٠
٨٣	ابن عطاء الله .	. ٣٥٢
٨٤	عقبة بن عامر .	. ١٦٦
٨٥	عقيل بن علفة	. ٣١٠
٨٦	عكرمة .	. ١٠٢ ، ١٠١
٨٧	علي بن أحمد الكوفي .	. ٣٤
٨٨	علي بن العباس الرومي .	. ١٥١
٨٩	علي بن مسهر الغساني .	. ٢٨٩
٩٠	عمرو بن حريث .	. ٣٤٩
٩١	أبو عمرو الشيباني .	. ٢٨٩
٩٢	عمار الكلبي .	. ١١٨
٩٣	أبو عوانة .	. ٢٠٧
٩٤	أبو العيناء .	. ٣٠١
٩٥	أبو الفتح البستي .	. ٣٤٢
٩٦	الفتح بن خاقان .	. ٩٦
٩٧	أبو الفرج الأصفهاني .	. ٢٥
٩٨	فزارة .	. ١٠٠
٩٩	الفضل بن سهل .	. ٢٠٦ ، ٨٢
١٠٠	الفضل بن عباس .	. ٢٧٦
١٠١	الفضل بن العباس .	. ٣١٠
١٠٢	الفضيل بن عياض .	. ٣١٨ ، ٢٧٤ ، ٢٣٣

١٠٣	قاسم بن أصبغ	٢٣ .
١٠٤	قاسم بن نصير .	٣٢ ، ٢٨ .
١٠٥	قيس بن عاصم .	٣٤٧ ، ١٨٨ .
١٠٦	كسرى .	٣٤٧ ، ٢٨٣ .
١٠٧	كشاجم .	١٢٢ ، ١٠٩ .
١٠٨	كعب الأخبار .	٨٨ .
١٠٩	أبو كعب القاص .	٩٩ .
١١٠	ابن الكلبي .	٣٥٩ ، ٢٩١ .
١١١	لجيم بن صعب .	٦٦ .
١١٢	الليث بن سعد .	١٧٥ .
١١٣	الليث السمرقندي .	٢٣٤ .
١١٤	ليلي الأخيالية .	٢٦٨ .
١١٥	المبرد .	٨٢ .
١١٦	المتلمس .	١٩٥ ، ٦٥ .
١١٧	المتقّب العبدي .	٢٥٠ .
١١٨	المتني بن حارثة .	٢٤٨ .
١١٩	محمد بن بشير .	١١١ .
١٢٠	محمد بن حازم الباهلي .	١٨٥ .
١٢١	محمد بن يوسف .	٢٤ .
١٢٢	محمود الوراق .	١٢٢ ، ١٢١ ، ٢١ ١٣٤ ، ١٢٩ ، ١٢٥ ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٩ ١٩٦ ، ١٩٠ ، ١٨٩

٣٤١ ، ٢٧٩ ، ٢٠١ ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٦٨ .		
٣٥ .	محيي الدين بن عربي .	١٢٣
٣١٠ .	المدائني .	١٢٤
٢٠٨ .	مسكين الدارمي .	١٢٥
١٧٣ .	مسلمة بن عبد الملك .	١٢٦
٢٣٩ .	مطرف بن الشخير .	١٢٧
١١ ، ٤ .	المظفر بن الأفتس	١٢٨
٤٨ .	المعتضد بالله .	١٢٩
٧ .	المعتضد بن عبّاد	١٣٠
١٦٤ ، ٧٤ ، ٦٨ .	المفضلّ .	١٣١
٣٤٧ .	ابن مقبل .	١٣٢
١٣٢ .	المقنّع الكندي .	١٣٣
٣١٠ .	ابن أمّ مكتوم .	١٣٤
١١٧ ، ١١٤ ، ٢١ ١٨٥ ، ١٣٥ ، ١٢١ ٢٦٢ ، ٢٣٨ ، ٢٢٦ ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٦٦ ٣٥٣ ، ٣٣٣ ، ٢٩٦ ٣٦٨ .	منصور الفقيه .	١٣٥
٣٤٦ .	منصور النمري .	١٣٦
٢٨٣ .	موسى بن جعفر .	١٣٧
٨ .	موسى بن ميمون .	١٣٨

١٣٩	نافع بن الأزرق .	٦٩ .
١٤٠	نصر بن أحمد الخبز أرزي .	١٦٨ ، ٢٢٩ .
١٤١	النعمان بن المنذر .	٣٥٩ .
١٤٢	النمر بن تولب .	١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ .
١٤٣	ابن هبيرة .	٢٤٢ .
١٤٤	هبيرة بن أبي وهب .	١١٦ .
١٤٥	هشام بن عروة .	٢٤٧ ، ٢٧٠ .
١٤٦	أبو الهندي غالب .	٢٠٩ .
١٤٧	ابن الهيثم .	١٩٧ .
١٤٨	وكيع .	٣٦٣ .
١٤٩	ولادة بنت المستكفي .	٥٨ .
١٥٠	يحيى بن خالد بن برمك .	٨٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ .
١٥١	يحيى بن سعيد .	١٠٢ .
١٥٢	يحيى بن أبي كثير .	٣٤٠ .
١٥٣	يزيد بن أبي حبيب .	٢٩٤ .
١٥٤	يزيد بن مفرغ .	٢٩٩ .
١٥٥	يزيد بن الوليد .	٢٣٠ .
١٥٦	اليوسي .	٨٢ .

فهرست الأبيات الشعرية

الرقم	البيت	القائل	رقم الصفحة
قافية الهمزة			
١	فرددناهم بضرب كما يخرج من خربة المزاد الماء وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للخائنين دماء	الحارث بن حلزة	١٣٩ - ١٤٠
٢	إذا جريت في خلق دنياً فأنت ومن تجاربه سواء إذا ما رأس أهل البيت ولى بدا لهم من الناس الجفاء	حبيب بن أوس	١٤٧
٣	وحديث كأنه قطع الرو ض وفيه الحمراء والصفراء	بشار بن برد	١٥٠ - ٣٠٩
٤	خير ما ورث الرجال بنيتهم أدب صالح وحسن الثناء هو خير من الدنانير والأو راق في يوم شدة أو رخاء تلك تفنى والدين والأدب الصالح لا تفنيان حتى البقاء	الخشني	١٧١
٥	يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء	بشار بن برد	٢٠٢

٦	وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء خلقت مبرراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء	حسان بن ثابت	٢٥٢ - ٢٥٣
٧	وبعض الداء ملتمس دواه وداء النوك ليس له دواء	قيس بن الخطيم	٢٥٨
٨	إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء	أبي تمام	٢٦٧
٩	إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه	صالح بن جناح	٢٦٨
١٠	لا تعدن للزمان صديقاً وأعدوا الزمان للأصدقاء	جحظة البرمكي	٢٨٤
١١	وكننت إذا علقت حبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء فأحسن حين يحسن محسنوهم واجتنب الإساءة إن أساءوا أشاء سوى مشيئتهم فأتي مشيئتهم وأترك ما أشاء	مجهول	٣٢٨

قافية الألف			
١٢	وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى	ابن دريد	٣٠١
١٣	خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأه وإن هي ساءت بكرت وأتت عجلي	علي بن الجهم	٣٢٥ - ٣٢٦
قافية الباء			
١٤	ألا إنما الدنيا نضارة أيكه إذا اخضر منها جانب جف جانب	ابن عبد ربه	٣٤
١٥	وخميلة رقم الزمان أديمها بمفضض ومقسم ومشوب رشفت قبيل الصبح ريق غمامة رشف المحبّ مرأشف المحبوب وطردت في أكنافها ملك الصبا وقعدت واستوزرت كل أديب وأدرت فيها اللهو حق مداره مع كل وضاح الجبين حسيب	أبي عامر بن مسلمة	٣٩
١٦	سقياً ليوم قد أنخت بسرحة رياً تلاعبها الشمال فتلاعب		

		شكري يغنيها الحمام فتتنثني طرباً ويسقيها الغمام فتشرب نلهو فتدفع للشبيبة راية فيه ويطله للبهاره كوكب والروض وجه ازهر والظل فر عُ أسود والماء ثغر أشنب في حيث اطرب الحمام عشية فشدا يغنيها الحمام المطرب واهتز عطف الغصن من طرب بنا وافتر عن ثغر الهلال المغرب فكأنه والحسن مقتنرن به طوق على برد الغمامة مذهب	
٤٧	ابن خفاجة	وندي أنس هزني هزّ الشراب من الشباب فقنصت منه حمامة بيضاء تسنح من غراب والنور مبتسم وخذ الـ ورد محطوط النّقاب يندي بأخلاق الصّاحا ب هناك لا بندقى السحاب وكلاهما نثر كما نثر القوافي في الخطاب فكأن كأس سلافة ضحكت إليهم عن حباب	١٧

١٨	إذا أولاك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب فما السلطان إلا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب	الصاحب بن عباد	٨٣
١٩	وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضع الأقصى إذا لم أقرب ولست وإن قربت يوماً ببائع خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب ويعتده قوم كثير تجارة ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي	البعيث بن حريث	١١٠
٢٠	فصرت في البيت مسروراً تحدّثني عن علم ما غاب عني في الورى الكتب فرداً تخبرني الموتى وتنطق لي فليس لي في أناس غيرهم أرب	محمد بن بشير	١١١ - ١١٢
٢١	يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا أتعبت نفسك حتى شفاك التعب تسعى لرزق كفاك الله مონته أقصر فرزقك لا يأتي به الطلب	سريج بن يونس	١٢٠
٢٢	شاد الملوك قصورهم وتحصّنوا من كل طالب حاجة أو راغب غالوا بأبواب الحديد تمنعاً قد بالغوا في قبح وجه الحاجب فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن بادي الضراعة طالباً من طالب	محمود الوراق	١٢٥ - ١٢٦

٢٣	من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخبب	عبيد بن الأبرص	١٢٦
٢٤	ومتى تصبك خصاصة فارح الغنى والى الذي يهب الرغائب فارغب	النمر بن تولب	١٢٦
٢٥	يمضي أخاك فلا تلقى له خلفا والمال بعد ذهاب المال يكتسب	الفرزدق	١٢٨
٢٦	أبوك أبوك وأنت ابنه فبئس البني وبئس الأب وأماك سوداء نوبية كأن أناملها العنظب يببت أبوك بها معرساً كما ساور المهرة الثعلب	حسان بن ثابت	١٤٣ - ١٤٤
٢٧	ألا إنما نيران قيس إذا شتو لطارق ليل مثل نار الحباب	القطامي	١٤٤
٢٨	كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي	مجهول	١٧١
٢٩	الحمد لله ليس الرزق بالطلب ولا العطايا لذي عقل ولا أدب إنّ قدر الله شيئاً أنت طالبه يوماً وجدت إليه أقرب السبب	ابن الأعرابي	١٧٨

٣٠	المرء يسعى ويسعى الرزق يطلبه وربّما اختلّفا في السعي والطلب حتى إذا قدّر الرحمن جمعهما للاتفاق أتاك الرزق عن كذب	علي بن هشام	١٧٨ - ١٧٩
٣١	قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب إنّ الحريص على الدنيا لفي تعب	مجهول	١٧٩
٣٢	إذا كان الجواد قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب	عبد الله بن طاهر	٢٠١
٣٣	إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه وردّ ذوي الحاجات دون حجاب ظننت به إحدى ثلاث وربّما نزعت بظنّ واقع بصوابه فقلت به مسّ من العيّ قاطع ففي إذنه للناس إظهار ما به فإن لم يك عيّ اللسان فغالب من البخل يحمي ماله عن طلابه فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبة يصدّ عليها عند إغلاق بابه	مجهول	٢٠١
٣٤	من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب هي مكنونة تحيّر منها في أديم الخدين ماء الشباب أبرزوها مثل المهابة تهادي بين خمس كواعب أتراب	عمر بن أبي ربيعة	٢٠٤

		ثم قالوا تحبّها ؟ قلت بهراً عدد القطر الحصى والتراب	
٣٥	وإني لعفّ عن زيارة جارتني وإني لمشنوء لـديّ اغتياها إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها زوّوراً ولم تأنس إليّ كلابها لم أكّ طلاباً أحاديث سرّها ولا عالماً من أي جنس ثيابها	بشار بن بشر	٢٠٨ - ٢٠٩
٣٦	من لا يقوم بشكر نعمة حبّه فمتى يقوم بشكر نعمة ربّه	البحثري	٢١٤
٣٧	إذا ما اتقى الله امرؤ لان جانبه وقارب بالإحسان من لا يقاربه يقول الفتى أرجو وأرجو وما له نزوع عن الذنب الذي هو راكمه ألا ليس يرجو الله من لا يخافه وليس يخاف الله من لا يراقبه	مجهول	٢٢٥
٣٨	لا أكتّم الأسرار لكن أذيعها ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي وإنّ ضعيف العقل من بات ليله تقلّبه الأسرار جنباً إلى جنب	سـحيم الفقعسي	٢٤٤
٣٩	إذا اعتذر الجاني محاذي العذر ذنبه وكلّ امرئ لا يقبل العذر مذنب	مجهول	٢٤٨
٤٠	وعدت وكان الخلف منك سجيّة مواعيد عرقوب أخاه بيترب	جبيهاء الأشجعي	٢٤٩

٢٥٤	القطامي	٤١ ألا إنّما نيران قيس إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباب
٢٦١	ابن أبي عتيق	٤٢ ولو هياً له الله من التوفيق أسبابا لسمّى نفسه عمراً وسمّى الكلب وثّابا
٢٦٣	منصور الفقيه	٤٣ لا تكثرنّ من الفكا هة في حديثك والدعابة ودع الغريب من الكلا م لأهله عن الخطابة وإذا أصبت فكل ما أغفلته دون الإصابة
٢٧٧	مجهول	٤٤ لا تحمدنّ أمراً حتى تجربّه ولا تذرّه من غير تجرب
٢٧٧	النايعة الذبياني	٤٥ ولست بمستيق أخاً لا تلمه على شعث أيّ الرجال المهذب
٢٧٩	كثير	٤٦ ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب ومن يتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
٢٨٧	بشار بن برد	٤٧ إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه فعش واحداً أو صل أخاك فإنّه مقارف ذنب مرة ومجانبه

		إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه	
٢٨٨	علي بن الجهم	إذا ذهب العتاب فليس ودّ ويبقى الودّ ما بقي العتاب	٤٨
٢٩٧	بشار بن برد	ولا خير في قربى لغيرك نفعها ولا في صديق لا تزال تعاتبه يخونك ذوي القربى مراراً وربّما وفى لك عند الجهد من لا تقاربه	٤٩
٢٩٨	ابن العميد	آخ الرجال من الأبا عد والأقارب لا تقارب إنّ الأقارب كالعقا رب أو أشدّ من العقارب	٥٠
٣٠٣	عتبة الأعور	ذهب الذين أحبّهم وبقيت فيمن لا أحبّه إذ لا يزال كريم قو م فيهم كلب يسبّه	٥١
٣٠٥	مجهول	إذا حار ذهنك في معنيين وأعيالك حيث الهوى والصواب فدع ما هويت فإنّ الهوى يقود النفوس إلى ما يعاب	٥٢
٣٢٨ - ٣٢٩	الخليل بن أحمد	أبلغا عني المنجم إني كافر بالذي قضته الكواكب شاهد إنّ من تكهّن أو نجـ م زار على المقادير كاذب	٥٣

		عالم إنَّ ما يكون وما كا ن قضاء من المهيمن واجب	
٣٢٩	أبي تمام	والعلم في شهب الأرماح لامة بين الخميسين لا في السبعة الشهب يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ما كان في فلك فيها وفي قطب	٥٤
٣٣٠	ابن عبد ربه	ما قدّر الله هو الغالب ليس الذي يحسبه الحاسب قد صدق الله رجاء الورى وما رجاء عنده خائب وأنزل الغيث على راغب رحمته إذا قنط الراغب قل لابن عزرا السخيف الحجا ذرى عليك الكوكب الثاقب فكلّكم يكذب في علمه وعلمكم في أصله كاذب	٥٥
٣٤٠ - ٣٤١	الغزال	ومراء أخذ النا س بسمت وقطوب وخشوع يشبه السق م وضعف في الدبيب قلت هل تألم شيئاً قال أنقال الذنوب	٥٦
٣٤٣	مجهول	تعجبت إن رأيت شبيبي فقلت لها لا تعجبي من يطل عمر به يشب	٥٧

		شيب الرجال لهم زين وتكرمة وشيبكن لكنّ الويل فاكتئبي فيالكنّ وإن شيب بدأ أرب وليس فيكنّ بعد الشيب من أرب	
٣٤٣ - ٣٤٤	محمود الوراق	إذا ما الشيب جار على الشباب فعاجله وغالط في الحساب وقل لا مرحباً بك من نزيل وعذّبه بأنواع العذاب بنقف أو بقصّ كلّ يوم وأحياناً بمكروه الخضاب فإن هو لم يحر وأتى لوقته فقل في رحب دار واقترب ولا تعرض له إلاّ بخير وإن عدى على شرخ الشباب وخذ للشيب أهبتة وبادر وخلّ عنان رحلك للذهاب فقد جدّ الرحيل وأنت ممّن يسير على مقدّمة الركاب	٥٨
٣٤٤	محمود الوراق	هبنى سترت مشيبي تستّرأ عن حبيبي فهل أروح وأغدو إلاّ بوجه مريب	٥٩
٣٥٧	أبي العتاهية	تبغي من الدنيا الكثير وإنّما يكفيك منها مثل زاد الراكب	٦٠

قافية التاء			
١٢٥	محمود الوراق	يا أيها الطالب من مثله رزقاً جرت عن الحكمة لا تطلب الرزق إلا طالب مثلك محتاج إلى الرحمة وارغب إلى الله الذي لم يزل في يده النعمة والنقمة	٦١
١٥٢	مجهول	ونحن بنو الدنيا وهنّ بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها	٦٢
٢٠٧	ابن عباد	رويت في السنة المشهورة البركة إنّ الهدية في الإخوان مشتركة	٦٣
٢٢٦ - ٢٢٧	منصور الفقيه	رأيت البلاء كقطر السماء وما تثبت الأرض من نامية فلا تسألن إذا ما سألت إلا هك شيئاً سوى العافية	٦٤
٢٨١	أبـي العتاهية	برمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستاذس بالوحدة ما أكثر الناس لعمرى وما أقلّهم في حاصل العدة	٦٥
٢٨١ - ٢٨٢	منصور الفقيه	الناس بحر عميق والبعد منهم سفينة وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة	٦٦

٢٨٣	منصور الفقيه	احذر مودة مازق مزج المرارة بالحلاوة يحصي الذنوب علي أيـ سام الصداقة للعداوة	٦٧
٢٨٤	منصور الفقيه	احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة فلربما انقلب الصديق ق فكان أعلم بالمضرة	٦٨
٢٩٦	منصور الفقيه	لولا بناتي وسياتي لذبت شوقاً إلى الممات لأنني في جوار قوم نغصني قربهم حياتي	٦٩
٣٠٥	الزبير بن عبد المطلب	واجتنب البوائق حيث كانت واترك ما هويت لما خشيت	٧٠
٣٢٧	مجهول	تعوّد الخير فالخير عادة تدعو إلى الغبطة والسعادة	٧١
٣٣٠	منصور الفقيه	أفضل ما نال الفتى بعد الهدى والعافية امرأة جميلة عفيفة مواتية	٧٢
٣٤٢	أبي الفتح البستي	ما استقامت قناة رأيي إلا بعدها عوج المشيب قناتي	٧٣

٣٥٠	أبـي العتاهية	من يعيش يكبر ومن يكبر يموت والمنايا لا تبالي من أتت	٧٤
قافية الجيم			
٥٠	المعتمد بن عباد	يا ناظرين ندى اللينوفر البهج وطيب مخبره في الفوح والأرج كأنه جام درّ في تألقه قد أحكموا وسطه فصاً من السبج	٧٥
١١٥	النمر بن تولب	أعزني رب من حصر وعي ومن نفس أعالجها علاجا ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن لمضمرات النفس حاجا	٧٦
١٥٠	جران العود	حديث لو أن اللحم يصلى بحرّه غريضا أتى أصحابه وهو منضج	٧٧
١٧٩ - ١٨٠	محمود الوراق	علام يشقى الحريص في طلب الرز ق بطول الرواح والدلج يا قارع الباب ربّ مجتهد قد أدمن القرع ثمّ لم يلج وربّ مستولج على مهل لم يشق من قرعه ولم يهـج فاطو على الهمّ كشح مصطبر فآخر الهمّ أوّل الفرج	٧٨
١٨٥	منصور الفقيه	إذا الحادثات بلغت المدى وكادت لهنّ تنوب المهج	٧٩

		وحلّ البلاء وقلّ الوفاء فعند التناهي يكون الفرّج	
١٨٦	إبراهيم بن العباس	ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج ضاقت فلماً استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنّها لا تفرّج	٨٠
٢١٥	أبي العتاهية	أقضى الحوائج ما استطعــــ ت وكن لهم أخيك فارّج فلخير أيام الفتى يوم قضى فيه الحوائج	٨١
٢٧١	صالح بن جناح	لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج وما كنت أَرْضَى الجهل خدناً وصاحباً ولكنني أَرْضَى به حين أخرج	٨٢
٣٤٢	دعبل بن علي	أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه سمة العفيف وحلية المتحرّج وكانّ شيبتي نظم درّ زاهر في تاج ذي ملك أغرّ متوجّ	٨٣
قافية الحاء			
٤٤	ابن خفاجة	يا ربّ مائسة المعاطف تزدهي من كل غصن خافق بوشاح مهتزة يرتجّ من أعطافها ما شئت من كفل يموّج رداح	٨٤

		نفضت ذوائبها الرياح عشيّة فتملّكت هزّة المرتاح حطّ الربيع قناعها عن مفرق شمط كما ترتدّ كأس الراح لفاء حاك لها الغمام ملاءة لبست بها حسناً قميص صباح نضح الندى نوّارها فكأنّما مسحت معاطفها يمين سماح ولوى الخليج هناك صفحة معرض لثمت سوافها ثغور أقاح	
١٢٨ - ١٢٩	النمر بن تولب	خاطر بنفسك كي تصيب رغبة إنّ الجلوس مع النساء قبيح فالمال فيه تجلّة ومهابة والفقر فيه مذلة وفضوح	٨٥
١٤٢	جرير	ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح	٨٦
١٥٢	الحسن بن هاني	وكانّ منثور رمّان بوجنتها لو دبّ فيها خيال الذرّ لانجرحا	٨٧
١٥٩	أبيد	ما عاتب المرء اللبيب كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح	٨٨
١٩٨	مجهول	أقيم وتظعنين وأنت روجي وهل جسد يعيش بغير روح	٨٩

		لئن كان الفراق غداً فإنّي سأحمل لا أشكّ إلى ضريحي تعالى بعد فرقتنا لنبكي فإنّي نائح أبداً فنوحى	
٢٨٢	طرفة بن العبد	كلّ خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة كلّهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة	٩٠
٣٦١	مجهول	الموت داء لا دواء له إلا التقى والعمل الصالح	٩١
٣٦١	مجهول	كفى حزناً ألا حياة هنيئة ولا عمل يرضى به الله صالح	٩٢
قافية الخاء			
١٢٢	كشاجم	بالحرص في الرزق يذلّ الفتى وفي القنوع الشرف الشامخ	٩٣
٢٨٦	الحسن بن هاني	يا واضعاً بيض القطا تحت الزمامج للفراخ لو أيقنت ما تحتها لم تخل من فقر الصماخ فسد الخلائق كلّهم فانظر لنفسك من تؤاخ	٩٤

قافية الدال			
٣٨	أبي الحزم بن جهور	الورد أحسن ما رأت عين وأز كى ما سقى ماء السحاب الجائد خضعت نواوير الرياض لحسنه فتدللت تتقاد وهي شوارد وإذا تبدى الغصن في أغصانه يزهو فذا ميت وهذا حاسد وإذا أتى وفد الربيع مبشراً بطلوع وفدته فنعم الوافد وإذا تعرّى الورد من أوراقه بقيت عوارفه فهنّ خوالد	٩٥
٥٠ ٥١	ابن زمرك	رعى الله زهراً ينتمي لقرنفل حكى عرف من أهوى وإشراق خده ومنبتة في شاهق متمنع كما امتنع المحبوب في تيه صده أميل إذا الأغصان مالت بروضة أعانق منها القضب شوقاً لقدّه وأهفو لخفاق النسيم إذا سرى وأهوى أريج الطيب من عرف نده	٩٦
٥٣	أحمد بن الشقاق	عنب تطلّع من حشى ورق لنا صبغت غلائل جلده بالإثمد فكأنه من بينهنّ كواكب كسفت فلاحت في سماء زبرجد	٩٧

٩٨	رعى الله من غرناطة متبوءاً يسرّ حزيناً أو يجير طريداً تبرّم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالنّثج عدن جليداً هي الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون بروداً	أبي بكر محمد	٥٦ - ٥٧
٩٩	إذا جئت أرضاً أهلها كلهم عور فاغمض عينك الواحدة	الخباز البلدي	٨١
١٠٠	قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبّد قد كان شمرّ للصلاة ثيابه حتى عرضت له بباب المسجد ردّي عليه صيامه وصلاته لا تقتليه بحق دين محمد	الدارمي	١٠٣
١٠١	لنا جلساء ما نمل حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهداً يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدداً بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لساناً ولا يداً فإن قلت أموات فلست بكاذب وإن قلت أحياء فلست مفنداً	عبد الله بن الأعرابي	١١١
١٠٢	لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مزودي	حسان بن ثابت	١١٢

١٠٣	ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد	أبي تمام ١١٣
١٠٤	ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد	امرئ القيس ١١٣
١٠٥	وفدت إلى الله في وفده لألتمس الرزق من عنده إذا ما قضى الله أمراً مضى لم يقو حي على رده	أبي العتاهية ١٢٠
١٠٦	ولست أرى السعادة جمع مال ولكنّ التقى هو السعيد	الخطيئة ١٢٦
١٠٧	وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً وما شيمة لي غيرها تشبه العبد	المقنع الكندي ١٣٢
١٠٨	إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا	المتنبئ ١٣٣
١٠٩	حسد حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد	عمر بن أبي ربيعة ١٣٧
١١٠	وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف فضل عرف العود	حبيب بن أوس ١٣٧
١١١	أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا أقلّوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدّوا	الخطيئة ١٤٣

١١٢	ولها جسم كغرّ الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود	بشار بن برد	١٥٠
١١٣	قالوا تنام فقلت الشوق يمنعني من أن أنام وعيني حشوها السهد	العباس بن الأحنف	١٥٢
١١٤	يقولون طال الليل والليل لم يطل ولكن من يبك من الشوق يسهد	الفرزدق	١٥٣
١١٥	وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد	المتلمس	١٩٥
١١٦	وفي الأرض عن دار القلي متحوّل وكلّ بلاد أوطنتك بلاد	الفرزدق	١٩٧
١١٧	إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا	المتنبئ	٢١٢
١١٨	إنّي وإن كان جمع المال يعجبني فليس يعدل عندي صحّة الجسد المال زين وفي الأولاد مكرمة والسقم ينسبك ذكر المال والولد	بشار بن برد	٢٢٧
١١٩	إنّي أعوذ بروح أن يقربني إلى القتال فيخزي بي بنو أسد إنّ الدنو من الأعداء أعلمه مما يفرّق بين الروح والجسد	أبي دلّامة	٢٤٦
١٢٠	فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبرّ وأوفى ذمّة من محمّد	ساريا الدلي	٢٥٢
١٢١	فخير منك ما لا خير فيه وخير من زيارتك القعود	سهل بن هارون	٢٥٥

٢٧٣	المتنبئ	إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا	١٢٢
٢٧٤	رجل من بني قريع	إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد	١٢٣
٢٨٢	مجهول	عدوّ صديقي داخل في عداوتي وإنّي لمن ودّ الصديق ودود فلا تقترب منّي وأنت عدوّ من أصادقه فالخير منك بعيد	١٢٤
٢٨٨	ابن بسام	عاتب أخاك إذا هفا واعطف بودّك واستعده وإذا أتك بغيبة واش فقل لم يعتمده	١٢٥
٢٨٩ - ٢٩٠	حبيب بن أوس	يا من تبرّمت الدنيا بطلعته كما تبرّمت الأجفان بالسهد يمشي على الأرض مختلاً فأحسبه لبغض طلعته يمشي على كبدي	١٢٦
٢٩٢	عبد الله بن أبي عيينة	كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى فتهون غير شماتة الحساد	١٢٧
٢٩٨	طرفة بن العبد	وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهندّ	١٢٨
٢٩٩	بشار بن برد	الحرّ يلحى والعصا للعبد وليس للمحلّف مثل الردّ	١٢٩
٢٩٩	المتنبئ	لا تشتر العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس مناكيد	١٣٠

١٣١	ولها مبسم كغرّ الأفاحي وحديث كالوشي وشي البرود	بشار بن برد	٣٠٩
١٣٢	لست بآكل كأكل العبد ولا بنوأم كنوم الفهد	مجهول	٣١٧
١٣٣	أحلى الرجال مع النساء مواقعاً من كان أشبههم بهنّ خدودا	مجهول	٣٤٧
١٣٤	اصبر لكل مصيبة وتجلّد واعلم بأنّ المرء غير مخلّد أوما ترى إنّ المصائب جمّة وترى المنية للعباد بمرصد	أبـي العتاهية	٣٦٣
قافية الذال			
١٣٥	لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيز	الخطيئة	٦٦
قافية الراء			
١٣٦	فقدت شبابي فاضطربت لفقده على اليأس من عود له آخر الدهر وولّى صاحبي كالدنانير أوجهاً وكالراح عهداً فانطويت على الجمر	عبد الملك بن شهيد	٣٤
١٣٧	يقول والوجد أضناه والبعد قد حيرّه لما دنا البعد لم أدر من بعد قد غيّرّه وهيّم العبد والواحد الفرد قد خيّرّه	ابن عربي	٣٥

١٣٨	والنهر مكسو غلالة فضّة فإذا جرى سيل فتوب نضار وإذا استقام رأيت رونق منصل وإذا استدار رأيت عطف سوار	محمد بن الحسين	٣٩
١٣٩	لما رأيت الهلال منطوياً في غرة الفجر فارق الزهرة شبّهته والعيان يشهد لي بصولجان انتنى لضرب كـرة	أبـي المغيرة عبد الوهاب بن حزم	٤٠
١٤٠	تأرجّ مطلول الروابي فزرتها وأمثال هاتيك الربى يقتضي الزورا وأتحفني منها الربيع بورده عبيراً به الأنفاس إذ فتق النورا حكّت نفحة ممّن هويت ووجنة فأنشقتها طوراً وألثمها طورا	ابن الزقاق	٤٢ - ٤٣
١٤١	ونشوان غنّته حمامة أيكّة على حين طرف النجم قد همّ أن يكرى فهبّ وريح الفجر عاطرة الجنى لطيفة مسّ البرد طيبة المسرى وطاف بها والليل قد رثّ برده وللصبح في أخرى الدجى منكب يعرى وأصغى إلى لحن فصيح يهزّه كما هزّ نشر الريح ريحانة سكرى	ابن خفاجة	٤٥-٤٦

		تهشّ إليه النفس حتى كأنّه على كبد نعى وفي أذن بشرى	
١٤٢	وإسمين حسن المنظر	المعتمد	٤٨ - ٤٩
	يفوق في المراءى وفي المخبر وكأنّه من فوق أغصانه دراهم في مطرف أخضر		
١٤٣	وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خريز الماء فيه زئيرا فكأنما غشي النضار جسومها وأذاب في أفواهها البلورا أسدّ كأن سكوتها متحرّك في النفس لو وجدت هناك مثيرا وتذكرت فتكاتّها فكأنما أقعت على أدبارها لتثورا وتخالها والشمس تجلو لونها ناراً وألسنها اللواحس نورا فكأنما سلّت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن خريرا وكأنما نسج النسيم لمائه درعاً فقدرّ سردها تقدير وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناى بحر عجائب مسجورا شجرية ذهبية نزعت إلى سحر يؤثّر في النهى تأثيرا	ابن حمديس	٥٤ - ٥٥

		قد سرحت أغصانها فكأنما قبض بهن من الفضاء طيوراً	
٥٥	ابن حمديس	ومطرّد الأموج يصقل متنه صبأً أعلنت للعين ما في ضميره جريح بأطراف الحصى كلما جرى عليها شكا أوجاعه بخيريه كأنّ حباباً ريع تحت حبابه فأقبل يلقي نفسه في غديره شربن على حافاته دور سكرة وأقبل سكرأً لحظ مديره	١٤٤
٦٠	المعتمد	فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً فساءك العيد في أغمات مأسورا ترى بناتك في الأظمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطميرا برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهنّ حسيّرات مكاسيرا يطأن في الطين والأقدام حافية كأنّها لم تطأ مسكاً وكافورا	١٤٥
٦٦	البحثري	المستغيث بعمره حين كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار	١٤٦
٨٣	العرجي	أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر	١٤٧
١١٣	الأخطل	حتى أقروا وهم مني على مضض والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر	١٤٨

١٤٩	لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر	حاتم الطائي	١٢٧
١٥٠	إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر وصار على الأذنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكرا	عروة بن الورد	١٢٨
١٥١	نظرت إلى حسن الرياض وغميها جرى دمه منهن في أعين الزهر فلم تر عيني بينها كشقائق تبلبلها الأرواح في القضب الخضر كما مشطت غيد القيان شعورها وقامت لرقص في غلائلها الحمر	ابن حمديس	٤٩
١٥٢	أعرف الحق ولا أجهله وكلابي أنس غير عقر ما يرى كلابي إلا أنساً إن رأى خابط ليل لم يهر	امرئ القيس	١٣١
١٥٣	إذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الغريب عقورها فإن كلابي قد أقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها	حاتم الطائي	١٣١
١٥٤	وما للحسود وأشياعه ومن كذب الحق إلا الحجر	الحسين الخلّيع	١٣٧

١٥٥	أشَمَّ أبلج يأتَم الهداة به كأنَّه علم في رأسه نار	الخنساء	١٤١
١٥٦	كل يوم كأنَّه يوم أضحى عند عبد العزيز أو يوم فطر	الأصمعي	١٤٣
١٥٧	لا عيب في القوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير	حساب بن ثابت	١٤٥
١٥٨	وإنَّك إن حلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا	جرير	١٤٥
١٥٩	وهي هيفاء لطيف خصرها ضخم الثدي ولما ينكسر	امرئ القيس	١٥١
١٦٠	لو دبَّ ذرٌّ فوق ضاحي جلدها لأبان من آثارهنَّ حدورا	عمر بن أبي ربيعة	١٥٢
١٦١	أيُّها النائمون حولي أعينوا ني على الليل حسبة وإئتجارا حدثوني عن النهار حديثاً أوصفوه فقد نسيت النهارا	عباس بن الأحنف	١٥٤
١٦٢	أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرّاً	أبـي العتاهية	١٨١
١٦٣	عسى فرج يأتي به الله إنّه له كل يوم في خليقته أمر	أبي محجن الثقفي	١٨٥
١٦٤	هي الأيام والغير وأمر الله منتظر أتَيأس أن ترى فرجاً فأين الله والقدر	أبـي العتاهية	١٨٥ - ١٨٦

١٦٥	الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبر	محمود الوراق	١٩٠
١٦٦	دعيني للغنى أسعى فإنّي رأيت الناس شرّهم الفقير	عروة بن الورد	١٩١
١٦٧	فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا	عروة بن الورد	١٩٧
١٦٨	ناري ونار الجار واحدة والّيه قبلي تنزل القدر ما ضرّ جاراً لي أجاوره إلاّ يكون لبيته ستر أعمى إذا ما جارتني برزت حتى يـواري جارتني الخدر	مسكين الدارمي	٢٠٨
١٦٩	جاورت شيبان فاحطولي جوارهم إنّ الكرام خيار الناس للجار	مجهول	٢٠٨
١٧٠	ما بال من أوّلّه نطفة وجيفة آخره يفخر أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يقدر	أبي العتاهية	٢٣٨
١٧١	قيل لي قد أساء إليك فلان وقعود الفتى على الضيم عار قلت قد جاءنا فأحدث عذراً ديّة الذنب عندنا الاعتذار	مجهول	٢٤٧

١٧٢	لو لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهته تتبيك بالخبر	عبد الله بن رواحه	٢٥٣
١٧٣	لا عيب في القوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير	حسان بن ثابت	٢٥٥
١٧٤	كأن ريحهم من قبح فعلهم ريح الكلاب إذا ما مسّها المطر	حسان بن ثابت	٢٥٥
١٧٥	إنّ الكريمة ينصر الكرام ابنها وابن اللئيمة للنّام نصور	جرير	٢٧٣
١٧٦	إذا شئت تعرف أصل الفتى أجل لحظ طرفك في منظره فإن لم يبين فانظر إلى أفاعيله فهي من جوهره فإن غاب عنك بهذا وذا فلا تطلبنّ سوى محضره فإنّ المحاضر سرّ الرجال بها يعرف النذل من خير بلوت الرجال وأفعالهم فكلّ يعود إلى عنصره	مجهول	٢٧٧ - ٢٧٨
١٧٧	أيّها الشامت المعير بالدّهـ ر أنت المبرأ الموفور أم لديك العهد الوثيق من الأيـ سام أم أنت جاهل مغرور من رأيت المنون خلّدن أم من ذا عليه من أن يضام مجير	عدي بن زيد	٢٩٢

٢٩٦	مجهول	وما كلّ مئناث سيشقى ببنته وما كلّ مذكّار بنوه سرور	١٧٨
٣٠٥	مجهول	الحبّ زور والهوى باطل والقلب ما أجرّيته يجري وترك ما تهوى يسير إذا أعملت فيه سعة الصدر	١٧٩
٣٠٧	العباس بن الأحنف	يقربّ الشوق داراً وهي نازحة من عالج الشوق لم يستبعد الدار	١٨٠
٣١٥	الإمام الشافعي	عليّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهنّ أكثر وفيهنّ نفس لو يقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجلّ وأكبر	١٨١
٣٢١	أعرابي	وقالوا تطهّر إنّّه يوم جمعة فأبّت من الحمّام غير مطهّر تزوّدت منه شجّة فوق حاجبي بغير جهاد بئس ما كان متجري تقول لي الأعراب لمّا رأوني به لا تلبث بالصريمة أفر فما تعرف الأعراب في السوق مشية فكيف ببيت ذي رخام وممر	١٨٢
٣٢٣	رجل من بني حمان	أنصر أهل الشام ممّن يكيدهم وأهلي بنجد ذات حرص على النصر براغيث تؤذيني إذا الناس نوّموا وبقّ أقاسيه على ساحل البحر	١٨٣

١٨٤	في الذاهبين الأوليـ ن من القرون لنا بصائر لمّا رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر لا يرجع الماضي إلـ ي ولا من الباقيـ غابر أيقنت أنّي لا محـا لة حيث صار القوم صائر	قس بن ساعة	٣٣٧ - ٣٣٨
١٨٥	وتقول كيف يميل مثلك للصبا وعليك من سمة الكبير عذار والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار	الفرزدق	٣٤٧
١٨٦	قالت سليمي وقد كانت على مقة لا خير في المرء بعد الشيب والكبر	ابن مقبل	٣٤٧
١٨٧	فاسمع أنبئك بآيات الكبر تقارب الخطو وضعف في البصر وقلة الطعم إذا الزاد حضر وكثرة النسيان ما بي مذكر وقلة النوم إذا الليل اعتكر أوله نوم وتلثاه سهر وسعة تعتادني مع السحر وتركي الحساء في حين الطهر	أبي العريان الهيثم	٣٤٩ - ٣٥٠

		وحذراً ازداده إلى حذر والناس يبلون كما يبلى الشجر	
٣٥١	محمود الوراق	خذ من زمانك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر أقصر من معا تبه الزمان على الغير	١٨٨
٣٥٥	أبي العتاهية	إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما زوت عنه فليس بضائر فما تعدل الدنيا جناح بعوضة لدى الله أو مقدار زغبة طائر فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمن ولا رضي الدنيا عقاباً لكافر	١٨٩
٣٦٤	مجهول	لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر	١٩٠
٣٦٥	عدي بن زيد	فهل من خالد أمّا هلكن وهل بالموت يا للناس عار	١٩١
قافية الزاي			
١٣٩	الخنساء	ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب بألاً يصاب فقد ظنّ عجزاً	١٩٢
١٥١	علي بن العباس الرومي	وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرّر إن طال لم يمل وإن هي أوجزت ودّ المحدث إنّها لم توجز	١٩٣

قافية السين			
١٩٤	وما الفيل تحمله ميتاً بأثقل من بعض جلاّسنا	الأعمش	١٠٥
١٩٥	إنّ الجليس يقول القول تحسبه خيراً وهيهات فانظر ما به التمساً	الخنساء	١١١
١٩٦	من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس	الخطيئة	١٣٣
١٩٧	الله أصدق والآمال كاذبة وجلّ هذي المنى في القلب وسواس	أبي العتاهية	١٧٤
١٩٨	أقول له حين ودّعته وكلّ بعشرته مبلّس لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس	أبي الطيّامير	١٩٨ - ١٩٩
١٩٩	من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس	الخطيئة	٢١٣
٢٠٠	وإذا أحبّ الله يوماً عبده ألقي عليه محبة في الناس	ابن عبد ربه	٢٧٩
٢٠١	أخو البشر محمود على كلّ حالة ولن يعدم البغضاء من كان عابسا ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للعرض حارسا	محمود الوراق	٢٧٩

٢٠٢	يا حبّذا الوحشة من أنيس إذا خشيت من أذى الجليس	الحسن بن عبد الرحمن	٢٨١
٢٠٣	لولا محبتكم لما عاتبتكم ولكنتم عندي كبعض الناس	العباس بن الأحنف	٢٨٧
٢٠٤	استغن عن كلّ ذي قربي وذي رحم إنّ الغني من استغنى عن الناس	أحيحة بن الجلاح	٣٥٦
قافية الشين			
٢٠٥	ظللت في البصرة في مراش وفي براغيث أزاها فاش من ناقر منها وذي خراش يرفع جنبي عن الفراش فأنا في حرب وفي تخراش	أعرابي	٣٢٣
قافية الصاد			
٢٠٦	سطر من اللوز في البستان قابلي ما زاد شيء على شيء ولا نقصا كأنما كل غصن كمّ جارية إذا النسيم تثنى أعطافه رقصا	ابن بقي	٥٠
٢٠٧	غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً وليس بمغنيك الكثير مع الحرص وإن اعتقاد الهمّ للخير جامع وقلّة همّ المرء تدعو إلى النقص	محمود الوراق	١٢١ - ١٢٢

قافية الضاد			
٢٠٨	كأنما ياسميننا الغضّ كواكب في السماء تبيضّ والطرق الحمر في جوانبه كخدّ حساء مسّه عضّ	المعتضد بالله	٤٨
٢٠٩	إنّ البراغيث لهنّ عضّ وحكّة وألم ممض كأنما تتبتهنّ الأرض	أعرابي	٣٢٤
قافية العين			
٢١٠	علام سؤال الناس والرزق واسع وأنت صحيح لم تخنك الأصابع وفي العيش أوطار وفي الأرض مذهب عريض وباب الرزق في الأرض واسع فكن طالباً للرزق من رازق الغنى وخلّ سؤال الناس فالله صانع	أعرابي	١٢٣
٢١١	وما البرّ إلا مضمرات من التقى وما المال إلا مضمرات ودائع	لبيد	١٢٧
٢١٢	أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي فإنّك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع	قطري بن الفجاءة	١٣٨

٢١٣	إن تلق يوماً على علاته هرما تلق السماحة منه والندی خلقا أغرّ أبيض فيّاض يفكك عن أيدي العقاة وعن أعناقها الربعا	زهير ١٤١ - ١٤٢
٢١٤	لهنّ حديث فاتر يترك الفتى خفوق الحشا مستهلك اللب طامعا	الراعي النميري ١٤٩
٢١٥	وما زلت أسمع إنّ النفوس مصارعها بين أيدي الطمع	محمود الوراق ١٨١
٢١٦	حسبي بعلمي إن نفع ما الذلّ إلّا في الطمع من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع ما طار طير وارتفع إلّا كما طار وقع	إسماعيل بن قطري القراطيسي ١٨١ - ١٨٢
٢١٧	حدثت باليأس عنك النفس فانصرفت واليأس أحمد مرجو من الطمع فكن على ثقة إنّي على ثقة ألّا أعلل نفسي منك بالخدع	محمود الوراق ١٨٢
٢١٨	هوّن عليك فكلّ الأمر ينقطع وخلّ عنك عنان الهمّ يندفع فكلّ همّ له من بعده فرج وكلّ أمر إذا ما ضاق يتّسع إنّ البلاء وإن طال الزمان به فالموت يقطعه أو سوف ينقطع	محمد بن حازم الباهلي ١٨٥

٢١٩	وللحق بين الناس راض وجازع وللأذنب فيه للرعوس توابع وليس الذنابي كالقدامى وريشه وما تستوي في الراحتين الأصابع	الصلتان العبدى	٢٦٥ - ٢٦٦
٢٢٠	فصل حبال البعيد إن وصل الـ حبل وأقص القريب إن قطعه	الأضبط بن قريع	٢٩٧
٢٢١	لهنّ حديث فاطر يترك الفتى خفوق الحشا مستهلك اللب طامعا	الراعى	٣٠٩
٢٢٢	قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع	ابن هرمة	٣١٥
٢٢٣	ما واجه الشيب من عين وإن ومقت إلا لها نبوة عنه ومرتدع أبكي شباباً سلبناه وكان وما توفى بقيمته الدنيا ولا تسع قد كدت تقضي على فوت الشباب أسى لولا يعزّيك إن العيش منقطع ما كدت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع	منصور النمرى	٣٤٦
٢٢٤	والنفس راغبة إذا رغبتّها وإذا تردّ إلى قليل تقنع	أبي ذؤيب الهذلي	٣٥٧
٢٢٥	هو الموت لا منجى من الموت والذي أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع	مجهول	٣٦٤

قافية الفاء			
٢٢٦	يا باقة في يميني بالردى بزلت أذاب قلب عليك الحزن والأسف ألم تكوني لتاج الحسن جوهرة لما غرقت فهلا صانك الصدف	ابن حمديس	٤٦
٢٢٧	لم أر شيئاً صادقاً نفعه للمرء كالدرهم والسيف يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف	ابن الرومي	٨٠ - ٨١
٢٢٨	ولا تسأل الناس ما يملكون ولكن سل الله واستكفه ولا تخضعن إلى سفيه وإن كانت الأرض في كفه	ربيعه الرقبي	١٨٤
٢٢٩	قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم ودّ فيزرعه التسليم واللف	مجهول	٢٠٢
٢٣٠	يستأنس الضيف في أبياتنا أبدأ فليس يعلم خلق أيّنا الضيف	العلوي صاحب الزنج	٢١١
٢٣١	أنت امرؤ أوليتني نعماً أوهت قوى شكري فقد ضعفا لا تحدثن إليّ عرفة حتى أقوم بشكر ما سلفا	الحسن بن هاني	٢١٤

٢٣٢	قولوا لذواء الكنف و المنشئين من نطف يا جيفاً من الجيف ما لكم وللصلف	منصور الفقيه	٢٣٨ - ٢٣٩
٢٣٣	آخ الكرام المنصفين وصلهم وأقطع مودة كل من لا ينصف	مجهول	٢٤١
٢٣٤	ذهب الذين أحبهم سلفاً وبقيت كالمفقود في خلف من كل مطوي على حنق متصنع يكفى ولا يكفي	الأحوص	٣٠٣
٢٣٥	يقولون يستغني ووالله ما الغنى من المال إلا ما يكف وما يكفي	الحطيئة	٣٥٧
قافية القاف			
٢٣٦	كل أهل الدنيا تعوم على الغفـ ـلة منها في غمر بحر عميق يتبارون في السباح فهم من بين ناج منهم وبين غريق	أبي العتاهية	٣٣
٢٣٧	وما روضة بالحزن حاك لها الندى بروداً من الموشى حمر الشقائق يقيم الدجى أعناقها ويميلها شعاع الضحى المستن في كل شارق	أحمد بن عبد ربه	٣٧

		إذا ضاحكتها الشمس تبكي بأعين مكللة الأجفان صفـر الحمالق حكـت أرضها لون السماء وزانها نجوم كأمثال النجوم الخوافق يا طيب نشرأ من خلائـك التي لها خضعت في الحسن زهر الخلائق	
٢٣٨	يا ربّ أعجم صامت لقنـته طرف الحديث فصار أفصح ناطق جون الإهاب أعير فوه صفرة كالليل طـرـرزه وميض البارق حكم من التدبير أعجزت الورى ورأى بها المخلوق لطف الخالق	أبي الحسن بن الحاج	٤٥
٢٣٩	يا من تأزّر بالمكارم وارتدى بالمجد والفضل الرفيع الفائق انظر إلى خدّ الربيع مركباً في وجه هذا المهرجان الرائق ورد تقدّم إذ تأخّر وارتدى في الحسن والإحسان أوّل سابق وافاك مشتملاً بثوب حيائه خجلاً لأنّ حياك آخر لاحق	إسماعيل بن حبيب	٤٧ - ٤٨
٢٤٠	يا حبذا والبرق يزحف بكرة جيشاً رحيق دونه وحريق حتى إذا ولّى وأسلم عنوة ما شئت من سهل وزروة نيق	ابن خفاجة	٤٩

		أخذ الربيع عليه كل ثنية فبكل مرقبة لواء شقيق	
٢٤١	ومحمولة فوق المناكب عزّة لها نسب في روضة الحزن معرّق رأيت بمرآها المنى كيف تلتقي وشمل رياح الطيب وهي تفرق يضاحكها ثغر من الشمس واضح ويلحظها طرف من الماء أزرق وتجلى بها للماء والنار صورة تروق فطرفي حيث يغرق يحرق	ابن خفاجة	٥١ - ٥٢
٢٤٢	بعثت بها ولا ألوك حمداً هدية ذي اصطناع واعتلاق خدود أحبة وافين صباً وعدن على ارتماض واحتراق فحمر بعضها خجل التلاقي وصفر بعضها وجل الفراق	أبي الحسن الحاج	٥٢
٢٤٣	إنّي ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رقّ لي فاعتلّ اشفاقا والروض عن ماءه الفضي مبتسم كما شققت عن اللّبات أطواقا يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتتنا لها حين نام الدهر سراقا	ابن زيدون	٥٨ - ٥٩

		نلهو مما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقنا كأنّ أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بي فجال الدمع رقراقا وردّ تألّف في ضاحي منابته فازداد منه الضحى في العين إشراقا سرى ينافحه نيلوفر عبق وسنان نبّه منه الصبح أحداقا كلّ يهيج لنا ذكرى تشوقنا إليك لم يعد عنها الصدر إن ضاقا	
٢٤٤	مجهول	احفظ لسانك أن تقول فتبتلى إنّ البلاء موكل بالمنطق	٦٧
٢٤٥	مجهول	إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق	٨٦
٢٤٦	أبـي العتاهية	وللناس خوض في الكلام والسن وأقربها من كل خير صدوقها	١٦١
٢٤٧	صالح بن عبد القدوس	احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إنّ البلاء موكل بالمنطق	١٦٧
٢٤٨	صالح بن عبد القدوس	إنّ الترفّق للمقيم موافق وإذا يسافر فالترفّق أوفق لو سار ألف مدجج في حاجة لم يلقها إلّا الذي يتّرفّق	١٩٥

٢٤٩	لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق	ابن الهيثم	١٩٧
٢٥٠	إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق	مجهول	٢٤٣
٢٥١	عدوك ذو العقل أبقي عليك من الصاحب الجاهل الأحمق وذو العقل يأتي حسان الأمور ويعمد للأرشد الأوفق	مجهول	٢٥٧
٢٥٢	عداوة العاقل خير إذا حصلتها من خلّة الأحمق لأنّ ذا العقل إذا لم يرع عن حلمه استحيا فلم يخرق ولن ترى الأحمق يبقى على دين ولا ودّ ولا يتقي	دعبل بن علي	٢٥٧
٢٥٣	وما أنا إلّا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق	بشار بن برد	٢٥٨
٢٥٤	يلومون في حمقه باقلاً كأنّ الحماقة لم تخلق فلا تكثرُوا العزل في عيّه فالعيّ أجمل بالأحمق خروج اللسان وفتح البنان أحبّ إلينا من المنطق	باقل	٢٥٩
٢٥٥	الباطل الدهر يلقي لا ضياء له والحق أبلج فيه النور يأتلق	أبي العتاهية	٢٦٥

٢٥٦	عامل الناس برأي رقيق والق من تلقى بوجه طليق فاذاً أنت جميل الثنا وإذاً أنت كثير الصديق	أبـي العتاهية	٢٦٩
٢٥٧	إذا ما صديقي ساعني بفعاله ولم يك عمّا ساعني بمفيق صبرت على الضراء من سوء فعله مخافة أن أبقى بغير صديق	ابـن الأنباري	٢٧٩
٢٥٨	ما إن تخلّقت إلّا شيمتي خلّقاً إنّ الخلائق تأبى دونها الخلق	مجهول	٣٢٧
٢٥٩	إن القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره همّاً يورّقه	العطوي	٣٥٧
قافية الكاف			
٢٦٠	ألست ترى الناس مثل الظباء يسدّ سبيلهم بالشرك فبيننا تفارق خلاً فواقاً أتيت فقيـل فلان هلك	يوسف بن هارون	٣٣ - ٣٤
٢٦١	يا حبّ والرحمن إنّ فاكا أهلكني فولني قفاكا إذا غدوت فاتخذ مسواكا من عرفط إن لم تجد أراكا لا تقرّني بالذي سوّاكا إنّي أراك ماضغاً خراكا	مجهول	٢٢٨

٢٦٢	إذا أعجبتك طباع امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك فليس على الجود والمكرمات حجاب إذا جنّته يحجبك	أبي العيناء ٣٠١
٢٦٣	لا تكثرن تأملاً واملك عليك عنان طرفك فلربما أرسلته فرماك في ميدان حتفك	ابن عبد البر القرطبي ٣١٢
قافية اللام		
٢٦٤	فإذا ما نظرت في عرض النّا س كأنّي أراهم في الظلام وكانّ الذي أصيب على الأيا م شيءٌ أصبته في المنام	يحيى بن حكم الغزال ٣٣
٢٦٥	تبذّت لنا وسط الرصافة نخلة تناعت بأرض الغرب عن بلد النخل فقلت شبيهي في التغرّب والنوى وطول التناهي عن بنيّ وعن أهلي نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الأقصاء والمنتأى مثلي	عبد الرحمن الداخل ٣٦ - ٣٧
٢٦٦	أدرها فالسما بدت عروساً مضمخة الملابس بالغوالي وخذّ الروض حمرة أصيل وجفن النهر كحلّ بالظلال	أبي جعفر أحمد ٤٢

		وجيد الغصن يشرق من لآل تضيء بهن أكناف الليالي	
٢٦٧	لئن قمت ما في ذاك منها غضاضة عليّ وإنّي للكرام مذل على أنّها مني لغيرك هجنة ولكنّها بيني وبينك تجمال	ثعلب النحوي	١٠٩
٢٦٨	خير الكلام قليل على كثير دليل والعي معنى قصير يحويه لفظ طويل	أحمد بن إسماعيل	١١٤
٢٦٩	وما العي إلّا منطق متتابع سواء عليه حقّ أمر وباطله	الخشني	١١٥
٢٧٠	وإن مقال المرء في غير كنهه لكالنبيل تهوي ليس فيها نصالها	هبيرة بن أبي وهب	١١٦
٢٧١	ألا إنّ بعد الذخر ذخراً تتيله وشرّ كلام القائلين فضوله عليك بما يعينك من كل ما ترى وبالصمت إلّا عن جميل تقوله	أبي العتاهية	١١٦
٢٧٢	وإنّ لسان المرء ما لم تكن له حصة على عوراته لدليل	طرفة بن العبد	١١٧
٢٧٣	أرزاقنا مقسومة وهكذا آجالنا فما تحول بيننا وبينها أحوال	منصور الفقيه	١٢١
٢٧٤	الحرص من شرّ أذاة الفتى لا خير في الحرص على حال	الخليل بن أحمد	١٢١

		من بات محتاجاً إلى أهله هان على ابن العم والخال	
٢٧٥	لا تحمدنّ أخا حرص على سعة وانظر إليه بعين الماقت القالي إنّ الحريص لمشغول بشقوته على السرور بما يحوي من المال	محمود الوراق	١٢٢
٢٧٦	تعالى الله يا سلم بن عمرو أزلّ الحرص أعناق الرجال	أبي العتاهية	١٢٢
٢٧٧	بلوت مرارة الأشياء طراً فما شيء أمرّ من السؤال ولم أر في الخطوب هولاً وأصعب من معاداة الرجال	أبي دلف العجلي	١٢٣
٢٧٨	أتدري أيّ ذلّ في السؤال وفي بذل الوجوه إلى الرجال يعزّ على التنزّه من دعاه ويستغني العفيف بغير مال إذا كان السؤال ببذل وجه فلا قربت من ذاك النوال معاذ الله من خلق دنيء يكون الفضل فيه عليّ لا لي	أبي العتاهية	١٢٤
٢٧٩	أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال احتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال	حسان بن ثابت	١٢٧

٢٨٠	ولم أرَ مثلَ الفقرِ أَوْضعَ للفتى ولم أرَ مثلَ المالِ أرفعَ للنزل	محمود الوراق	١٢٩
٢٨١	أرى دهرنا فيه عجائب جمّة إذا استعرضت بالعقل ضلّ لها العقل أرى كل ذي مال يسود بماله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل وما الفضل في هذا الزمان لأهله ولكنّ ذا المال الكثير له الفضل فشرّف ذوي الأموال حيث لقيتهم فقولهم قول وفعلهم فعل	محمود الوراق	١٢٩ - ١٣٠
٢٨٢	يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل	حسان بن ثابت	١٣٠
٢٨٣	وقد عرفت كلابهم ثيابي كأنّي منهم ونسيت أهلي	أبو الطمحان القيني	١٣٠
٢٨٤	ولو بغى جبل يوماً على جبل لذاك منه أعاليه وأسفله	مجهول	١٣٦
٢٨٥	الحرب أول ما تكون فنيّة تسعى بزينتها لكل جهول حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل شمطاء جزّت رأسها وتكرّرت مكروّة للشّم والتقبيل	امرئ القيس	١٣٨

٢٨٦	يقرّب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول	السمؤال بن عادياء	١٤٠
٢٨٧	يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل بيض الوجوه أعفّة أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأوّل	حسان بن ثابت	١٤١
٢٨٨	أخو ثقة لا تذيب الخمر ماله ولكن قد يذهب المال نائله تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله	زهير	١٤٢
٢٨٩	أرى الحلم في بعض المواطن ذلّة وفي بعضها عزّاً يسودّ فاعله	الجرهمي	١٤٦
٢٩٠	إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل	أوس بن حجر	١٤٧
٢٩١	أرى الحلم بؤساً في المعيشة للفتى ولا عيش إلاّ ما حباك به الجهل	البحثري	١٤٨
٢٩٢	تعالوا أعينوني على الليل إنّه على كل عين لا تنام طويل	أبي جندب الهذلي	١٥٤
٢٩٣	إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمنطلقات لا ترى بينها فصلاً شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلاً	حسان بن ثابت	١٦٠ - ١٦١

٢٩٤	لسان الفتى سبع عليه مراقب فإن لم يذع من غربه فهو آكله	مجهول	١٦٧
٢٩٥	إذا ما لسان المرء أكثر هزره فذاك لسان بالبلاء موكل إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً فدبر وميز ما تقول وتفعل	نصر بن أحمد	١٦٨
٢٩٦	إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله	سلم الخاسر	١٨٣ - ١٨٤
٢٩٧	المرء يحمد سعيه من جدّه حتى يزين بالذي لم يعمل وترى الشقي إذا تكامل حدّه يرمي ويقذف بالذي لم يفعل	أبي الأسود الدؤلي	١٨٧
٢٩٨	إنّ الدراهم في المواطن كلّها تكسو الرجال مهابة وجمالاً فهى اللسان لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالاً	مجهول	١٨٨
٢٩٩	هاك الدليل لمن أرا د غنى يدوم بغير مال وأراد عزّاً لم توط ده العشائر بالقتال ومهابة من غير سل طان وجاهاً في الرجال	محمود الوراق	١٨٩ - ١٩٠

		فاليغتصم بدخوله في عزّ طاعة ذي الجلال وخروجه من ذلّ الـ معاصي له في كل حالي	
١٩١	أبي تمام	لا تتكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي	٣٠٠
١٩٦	محمود الوراق	فلم أر عزّ المرء إلاّ عشيرة ولم أر ذلاً مثلاً ناي عن الأهل	٣٠١
٢٠٥	مجهول	إذا ما كنت متخذاً رسولاً فلا ترسل سوى حرّ نبيل فإن النجح في الحاجات يأتي لطالبها على قدر الرسول	٣٠٢
٢٠٦	أبي العتاهية	هدايا الناس بعضهم لبعض تولّد في قلوبهم الوصالا وتزرع في الضمير هوى ووداً ويكسوهم إذا حضروا جمالا	٣٠٣
٢٠٩	أبي الهندي غالب	نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن محل فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي	٣٠٤
٢١١	مجهول	يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل	٣٠٥
٢١٢	زهير	ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم	٣٠٦

٣٠٧	أبل من شئت ثقله عن قليل لفعله ضاع معروف واضع الـ عرف في غير أهله	أبي العتاهية	٢١٢ - ٢١٣
٣٠٨	والحمد شهد لا يرى مشواره يجنيه إلا من نقيع الحنظل	أبي تمام	٢١٤
٣٠٩	قد يدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الذلل	القطامي	٢١٥
٣١٠	فإذا رأيت أبا البليّة فاستعذ بالله من شرّ البلاء النازل	مجهول	٢٢٧
٣١١	ومن أمن الآفات عجباً برأيه أحاطت به الآفات من حيث يجهل	نصر بن أحمد	٢٣٩
٣١٢	إذا اصطحب الأقبام كان أدلّهم لأصحابه نفساً أبرّ وأفضلاً وما الفضل في أن يؤثر المرء نفسه ولكنّ فضل المرء أن يتفضّل	أبي العتاهية	٢٤٠
٣١٣	إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل	معن بن أوس	٢٤١
٣١٤	كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل	كعب بن زهير	٢٤٩
٣١٥	لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول لا خير في كذب الجوا د وحبذا صدق البخيل	زياد الأعجم	٢٥٠

٢٥٠	صالح بن جناح	وإن جمع الآفات فالبخل شرّها وشرّ من البخل المواعيد والمطل	٣١٦
٢٥٣	حسان بن ثابت	يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل بيض الوجوه أعفّة أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأوّل	٣١٧
٢٥٣	زهير	أخو ثقة لا تذهب الخمر ماله ولكنّه قد يذهب المال نائله تراه إذ ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله	٣١٨
٢٥٦	مجهول	ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقول	٣١٩
٢٦٢	ابن سيرين	نبئت أنّ فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول	٣٢٠
٢٦٥	ليبيد	ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل	٣٢١
٢٦٦	منصور الفقيه	إنّ بين الحقّ والبا طل فرقاً لا يحيل وعلى نيّة ذي القو ل من القول دليل فقل الحقّ وإنّ قيب ل لك الحقّ ثقيل فاتق الله إذا شوورت وانظر ما تقول	٣٢٢

		لا يضرّتك إن قا ل من الناس جهول إن قول المرء فيما لم يسئل عنه فضول	
٢٧٠	كعب بن زهير	إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل	٣٢٣
٢٧١	صالح بن جناح	إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً وخيّرت أنى شئت فالحلم أفضل ولكن إذا انصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل	٣٢٤
٢٧٤	الأحنف بن قيس	فلو مدّ سروي بمال كثير لجدت وكنت له باذلاً فإنّ المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلاً	٣٢٥
٢٨٦	معن بن أوس	إذا أنت لم تتصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أيّ كفّ تبدّل	٣٢٦
٢٨٩	طفيلي	نحن قوم إذا دعينا أجبنا ومتى ننسى يدعنا التطفيل فنقل علّنا دعينا فغبنا أو أتانا فلم يجدنا الرسول	٣٢٧
٢٩٠	الشعبي	إنّي أجالس معشراً نوکی أخفهم ثقیل	٣٢٨

		قوم إذا جالستهم صدئت بقربهم العقول لا يفقهون مقالتي ويدقّ عنهم ما أقول	
٣٠٤	هشام بن عبد الملك	إذا أنت لم تعص الهوى قاذك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال	٣٢٩
٣١١	العرجي	أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً من اللائي لم يحجبن يبيغين حسبة ولكن ليقتلن البرئ المغفلاً وترمي بعينيهما القلوب ولحظها إذا ما رمت لم تخط منهنّ مقتلاً	٣٣٠
٣١٦	ابن عباس	أحبو الخيل واصطبروا عليها فإنّ العزّ فيها والجمالاً إذا ما الخيل ضيّعها رجال ربطناها فشاركت العيالا نقاسمها المعيشة كلّ يوم ونكسوها البراقع والجلالا	٣٣١
٣٢٩	مجهول	علم النجوم على العقول وبال وطلاب شيء لا ينال وبال هيهات ما أحد مضى ذو فطنة يدري متى الأرزاق والآجال إلاّ الذي هو فوق سبع سماءه ولوجهه الإعظام والإجلال	٣٣٢

٣٤١	محمود الوراق	أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا فَلَقَدْ أُوتِيتَ جَهْلًا كَمْ إِلَى كَمْ تَحْسِنُ الْقَوَ لَ وَلَا تَحْسِنُ فَعَلًا ظَاهِرٌ يَجْمَلُ وَالْبَاطِنُ لَا يَخْفَى عَلَى رَبِّكَ كَلَّا	٣٣٣
٣٤٦	أَبِي حَازِمٍ الْبَاهِلِي	اذهب إليك فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل	٣٣٤
٣٥٥	المتنبئ	تفاني الرجال على حبِّها وما يحصلون على طائل	٣٣٥
٣٥٥	المتنبئ	ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال	٣٣٦
٣٥٩	عدي بن زيد	رَبِّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَانْقَرَضُوا وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ	٣٣٧
٣٦١	الأوزاعي	وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل	٣٣٨
قافية الميم			
٣٤	علي بن أحمد	رعى الله أياماً خلون كأنما خلقن لساعات السرور مواسما	٣٣٩
٦٥ - ٦٦	المتلمس	لذي الحلم قبل النوم ما تقرر العصا وما علم الإنسان إلا ليعلمها	٣٤٠

٦٦	لجيم بن صعب	إذا قالت حزام فصدّقوها فإن القول ما قالت حزام	٣٤١
٦٧	مجهول	وأنت كجرو الذئب ليس بآلف أبى الذئب إلا أن يخون ويظلما	٣٤٢
١١٦	أبـي العتاهية	من لزم الصمت نجا من قال بالخير غنم	٣٤٣
١١٨	عمّار الكلبي	وقل الحق وإلا فاصمتن إنه من لزم الصمت سلم إن طول الصمت زين للفتى من مقال فيه عي وبكم	٣٤٤
١١٨	الحسن بن هاني	إنما العاقل من أـ جم فاه بلجام مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام	٣٤٥
١١٩	ابن أبي الدنيا	ومن ظنّ إن الرزق يأتي بحيلة فقد كذّبته نفسه وهو آثم يفوت الغنى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم فما الفقر في ضعف احتيال ولا الغنى بكـد ولأرزاق في الناس قاسم سأصبر إن دهر أناخ بكل كل وأرضى بحكم الله ما الله حاكم لقد عشت في ضيق من الدهر مدّة وفي سعة والعرض مني سالم	٣٤٦

٣٤٧	تكلّفني اذلال نفسي لعزّها وهان عليها أن أهان لتكرما تقول سل المعروف يحيى بن أكثم فقلت سليه ربّ يحيى بن أكثما	عبد الصمد بن المعزّل	١٢٤ - ١٢٥
٣٤٨	ربّ حلم أضاعه عدم المال وجهل غطّى عليه النعيم	حسان بن ثابت	١٢٩
٣٤٩	ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم	زهير	١٣٢
٣٥٠	إنّ ابتداء العرف مجد باسق والمجد كل المجد في استتمامه إنّ الهلال يروق أبصار الورى حسناً وليس كحسنة لتمامه	أبي تمام	١٣٢
٣٥١	تصرّم عني ودّ بكر بن وائل وما خلت عني ودّهم يتصرّم قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم	الفرزدق	١٣٥
٣٥٢	إنّ الأمور دقيقها مما يهاج له العظيم والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم	يزيد بن الحكم	١٣٦
٣٥٣	فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم	عنتره	١٤٠
٣٥٤	لله درك أيما رجل يبني أبوك وشأنك الهدم	ثعلب	١٤٤

		لو كنت تصعد في السماء كما تتحطّ قصّر دونك النجم	
١٤٦	أبي العتاهية	فيا ربّ هب لي منك حلماً فإنّني أرى الحلم لم يندم عليه حليم ويا ربّ هب لي منك عزماً على التقى أقيم به ما عشت حيث أقيم ألا إنّ تقوى الله أكبرم نسبة تسامى بها عند الفخار كريم	٣٥٥
١٤٧	حسان بن ثابت	ربّ حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطّى عليه النعيم	٣٥٦
١٤٩	مروان بن الحكم	إذا أمن الجهّال جهلك مرّة فعرضك للجهّال غنم من الغنم وإن أنت باذيت السفیه إذا بذا فأنت سفیه مثله غير ذي حلم	٣٥٧
١٥٣ - ٣١٩	علي بن الجهم	أكثر ما يعرفه القوم الأكل والراحة والنوم نوكى مياسير إذا عدت الـ أيام لم يعرف لهم يوم	٣٥٨
١٥٣	بشار بن برد	لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم	٣٥٩
١٦٠	الأعور الشنئي	لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم	٣٦٠
١٦٢	الحسن بن جعفر	عجبت لادلّال العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالحق أعلما	٣٦١

		وفي الصمت ستر للعي وإنما صحيفة لبّ المرء أن يتكلما	
١٨٠	عبد الصمد بن المعزّل	ولي أمل قطعت به الليالي أراني قد فنيت به وداما	٣٦٢
١٨٧	صالح بن عبد القدوس	وليس رزق الفتى من حسن حيلته لكن جدود بأرزاق وأقسام كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمي فيرزقه من ليس بالرامي	٣٦٣
١٩٢	مجهول	ألا ليت النهار يعود ليلاً فإنّ الصبح يأتي بالهموم حوائج ما نطبق لها قضاء ولا دفعاً وروعات الغريم	٣٦٤
١٩٦	زهير	ومن يغترّب يحسب عدوّاً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم	٣٦٥
٢٠٢	بشار بن برد	يزدحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام	٣٦٦
٢٢١	زهير	ومن لم يزد عن حوضه بصلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم	٣٦٧
٢٢١	دريد	من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعزّ عنه جانباه واحتمى	٣٦٨

٢٢١	المتنبئ	والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلّ لا يظلم	٣٦٩
٢٢٥	مجهول	خف الله وأرجوه لكل عزيمة ولا تطع النفس اللجوج فتندما وكن بين هاتين من الخوف والرجاء وأبشر بعفو الله إن كنت مسلماً	٣٧٠
٢٣٦	المتنبئ	إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم	٣٧١
٢٥٠	المثقب العبدى	لا تقولنّ إذا ما لم ترد أن يتمّ الوعد في شيء نعم وإذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح الوعد إنّ الخلف ذمّ	٣٧٢
٢٦٨	ليلى الأخيلية	ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيماً	٣٧٣
٢٧٠	أبى العتاهية	فيا رب هب لي منك حلماً فإنني أرى الحلم لم يندم عليه حلیم	٣٧٤
٢٧٣	زهير	ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم	٣٧٥
٢٨٣	مجهول	إذا والى صديقك من تعادي فقد عاداك وانقطع الكلام	٣٧٦
٢٨٧ - ٢٨٨	نصر بن أحمد	وتعانتب الأخوان فيما بينهم بعث على الإجلال والإكرام لولا اعترافي باعترافك في الذي تأتى وتترك ما أتاك ملامي	٣٧٧

٢٩١	مجهول	أبلغ أبا بكر إذا ما جئته إنّ البغايا رمنّ شرّ مرام أظهرن من موت النبي شماتة وخضبن أيديهنّ بالنعناع فاقطع هديت أكفهنّ بصارم كالبرق أومض في متون غمام	٣٧٨
٢٩٩	يزيد بن مفرغ	العبد يزجر بالعصا والحرّ تكفيه الملامة	٣٧٩
٣٠٣	أبـي العتاهية	لله أزمنة عهدت رجالها في النائبات وإنهم لكرام	٣٨٠
٣٠٩	حميد بن ثور	منعمة لو يصبح الذرّ سارياً على جلدها بضّة مدارجه دماً	٣٨١
٣١٩	المنتصر بالله	رأيتك في المنام أقلّ بخلاً وأطوع منك في غير المنام فليت الصبح زال فلا تراه وليت الليل آخر ألف عام فلو أنّ النعاس يباع بيعاً لأغليت النعاس على النيام	٣٨٢
٣٢٦	مجهول	أسجن وقيد واغتراب وعبرة وفقد حبيب إنّ ذاك عظيم وإن امرءاً تبقى موثيق عهده على كلّ هذا إنّهُ لكرـيم	٣٨٣
٣٢٦	سجان	ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلّا قال مظلوم	٣٨٤

٣٨٥	وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ذا عفاف وحياء وكرم قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم	عبد الله بن معاوية	٣٢٧
٣٨٦	ولو دام لي هذا الخضاب حمدته وكان بديلاً من خليل قد انصرم تمتعت منه والحياة قصيرة ولا بدّ من موت نبيلة أو هرم	سيف بن ذي يزن	٣٤٥
٣٨٧	يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم إن كان لا يرجوك إلّا محسن فمن الذي يدعو إليه المجرم أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم	الحسن بن هاني	٣٦٥
قافية النون			
٣٨٨	سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناظرين والعاشق الغيران من ذاك في حران يبدئ الأنين في البوح والكتمان والسر والإعلان في العالمين أمّا هو الديان يا عابد الأوثان أنت الضنين	ابن عربي	٣٥
٣٨٩	الروض مخضر الربى متجمل للناظرين بأجمل الألوان وكأنما بسطت هناك شوارها خود زهت بقلائد العقيان	عبد الله بن سماك	٤١ - ٤٢

		وكأنما فتقت هناك نوافج من مسكة عجنت بصرف البان والطير تسجع في الغصون كأنما نقر القيان حنت على العيدان والماء مطرز يسيل لعبه كسلاسل من فضة وجمان بهجات حسن أكملت فكأنها حسن اليقين وبهجة الإيمان	
٥٦	أبي الحجاج المنصفي	وسابح بان لا تنثنى قوائمه كالصقر ينحط مذعوراً لعقبان كأنه مقلة للجو شاخصة ومن مجاديفه أهداب وأجفان	٣٩٠
٦٠ - ٦١	ابن الزقاق	ألا عظة إن الزمان خوون وإن ملّات الزمان فنون لقد آن أن تجلي الخطوب عن العمى وتلقى شكوك للمنى وظنون فكم قد مضت من أمة إثر أمة وقرن يليه بعد ذاك قرون	٣٩١
٦١	ابن الزقاق	وبالأمس قد روّعت ملء جوانحي بنعي يسدّ الأفق منه طنين أتاني فلم يمهل لأفزع عنده إلى كذب حتى استفاض يقين ووافي كمثل الصبح عريان كلما تكذبه عين البصير يبين	٣٩٢

٨٤	مجهول	وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنان يمين	٣٩٣
١١٢	جـرـر بـن عطية	وليس لسيفي في العظام بقيّة ولا السيف أشوى وقعة من لسانيا	٣٩٤
١١٤	ابن أبي حازم	أوجع من وقعة السنان لذي الحجا وخزة اللسان	٣٩٥
١١٥	أبـي العتاهية	الصمت أليق بالفتى من منطق في غير حينه لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه	٣٩٦
١١٧	منصور الفقيه	عليك السكوت فإن لم يكن من القول بدّ فقل أحسنه فربّما فارقت بالذي تقو ل أماكنها الألسنه	٣٩٧
١١٧	أحيحة بـن الجلاح	الصمت أكرم بالفتى ما لم يكن عي يشينه والقول ذو خطر إذا ما لم يكن لبّ يعينه	٣٩٨
١١٨	امرئ القيس	إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان	٣٩٩
١٢٠	عروة بن أذينة	إنّي لأعلم والأقدار نافذة إنّ الذي هو رزقي سوف يأتيّني	٤٠٠

		أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطْلِبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي	
٤٠١	وضيقك قابله ببشرك وليكن له منك أبكار الحديث وعونه	سهل الوراق	١٣١
٤٠٢	هَبْنِي تَحَرَّزْتُ مَمَّنْ يَنِمُّ بِالكَتْمَانِ فَكَيْفَ لِي بِاحْتِرَاسِ مَنْ قَائِلُ الْبَهْتَانِ	منصور الفقيه	١٣٥ - ١٣٦
٤٠٣	تَدَاوُوا يَا لِبَهْتَةِ يَوْمِ صَبَرِ فَقَلْنَا احْسَنِي ضَرْباً جَهِينَا سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبِ فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوِينَا فَلَمَّا إِنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَخْنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمِينَا	عبد الشارق بن عبد العزيز	١٣٩
٤٠٤	تَحْيَ فَاقْعِدِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاكِ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا أَلَمْ أَوْضَحْ لَكَ الْبَغْضَاءَ مِنِّي وَلَكِنْ لَا أَخَالُكَ تَعْقِلِينَا أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا جَزَاكِ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزِ وَلَقَّاكَ الْعَقُوقُ مِنَ الْبَنِينَا	الخطيئة	١٤٥
٤٠٥	أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا	عمرو بن كلثوم	١٤٨

٤٠٦	إنّ النساء رياحين خلقن لنا فكلّنا يشتهي شمّ الرياحين	مجهول	١٥١
٤٠٧	الصمت أليق بالفتى من منطق في غير حينه لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه	أبي العتاهية	١٦٢
٤٠٨	النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن والنحو مثل الملح إن ألقيته في كل ضدّ من طعامك يحسن وإذا طلبت من العلوم أجلّها فأجلّها منها مقيم الألسن	إبراهيم بن خلف	١٦٣
٤٠٩	احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلدغَنَّك إنّه ثعبان	الإمام الشافعي	١٦٧
٤١٠	أيّها المرء لا تقولنّ قولاً لست تدري ماذا يجيئك منه وأخزن القول إنّ في الصمت حكماً وإذا أنت قلت قولاً فزنه وإذا القوم أكثرُوا في كلام ليس تعنى بشأنه فاله عنه	عبد الله بن معاوية	١٦٧
٤١١	كم من فقير غني النفس نعرفه ومن غني فقير النفس مسكين	بكر بن أذينة	١٩١

٢١٣	كلثوم بن عمرو العتابي	فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لعزّة ملك أو علوّ مكان لما ندب الله العباد لشكره فقال اشكروني أيّها الثقلان	٤١٢
٢١٧	الغزال	وإن أعطيت سلطاناً فحاذر صولة الزمن أخو السلطان موصوف بحسن الرأي والفطن فساعة ما يزاوله رماه الناس باللعن	٤١٣
٢١٧ - ٢١٨	عبد الله بن محمد بن يوسف	ما يشتهي قرب السلاطين غير ضعيف العقل مجنون لا تكذب عنهم فما صحبتهم منهم على دنيا ولا دين	٤١٤
٢٢٠	عبيد بن أيوب العنبري	ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي فتبت فازمعو أن يظلموني فلست بصابر إلا قليلاً فإن لم يرعوا راجعت ديني	٤١٥
٢٥٥	الحطيئة	تتحى فاقعدي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا ألم أوضح لك البغضاء مني ولكن لا أخالك تعقلينا	٤١٦

		أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا جزاك الله شرّاً من عجوز ولقّاك العقوق من البنينا	
٢٧٦	الفضل بن عباس	إذا أردت وداد امرئ فسل كيف كان لأخوانه فإمّا رضيت فأحبيته وإمّا ترغبت عن شأنه	٤١٧
٢٧٧	أبي الأصبع العدواني	كلّ امرئ راجع يوماً لشيئته وإنّ تخلق أخلاقاً إلى حين	٤١٨
٢٨١	الحسن بن عبد الرحمن	توحّشت ولكنّي أسرّ بالوحشة أحياناً وفي الوحشة ما يؤ نس من صحبة من خانا	٤١٩
٢٨٥ - ٢٨٦	سهل الوراق	تخير قريناً لا يعاب فإنّه يقاس لعمرى بالقرين قرينه وشرّ خدين قاطع لخدينه إذا حاد يوماً عن هواه خدينه	٤٢٠
٢٨٨	الأعمش	وما الفيل تحمله ميّناً بأثقل من بعض جلاسنا	٤٢١
٢٩١ - ٢٩٢	العلاء بن	إذا ما الدهر جرّ على أناس حوادثه أناخ بآخرينا	٤٢٢

	قرظة	فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا	
٣٠١	أبي عمرو بن العلاء	وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحوثة تكون فكنها	٤٢٣
٣٢٤	مجهول	مثل السفاة دائم طنينها ركب في خرطومها سكينها	٤٢٤
٣٢٥	صالح بن عبد القدوس	ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين وفي الباب مكتوب على صفحاته بأنك تتزو ثم سوف تلين	٤٢٥
٣٢٧	مجهول	كل امرئ صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين	٤٢٦
٣٤١	محمود الوراق	تصنع كي يقال له أمين وما يغني التصنع للأمانة ولم يرد الإله به ولكن أراد به الطريق إلى الخيانة	٤٢٧
٣٤٤	محمود الوراق	يا خاضب الشبية نح فقدها فإنما تدرجها في كفن أما تراها منذ عاينتها تزيد في الرأس بنقص البدن	٤٢٨
٣٤٤ - ٣٤٥	مجهول	يا أيها الرجل المسود شبيهه كيما يعد به من الشبان	٤٢٩

		أَقْصِرْ فُلُو سَوْدَتِ كُلِّ حَمَامَةٍ بِيضَاءَ مَا عَدَّتْ مِنَ الْغُرَبَانِ	
٤٣٠	أَبِي الْعَتَاهِيَةِ	كُنْ فِي أُمُورِكَ سَاكِنًا فَالْمَرْءُ يَدْرِكُ فِي سَكُونِهِ وَأَلَنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدُ فِي النَّاسِ مُحَمَّدَةٌ بَلِينُهُ وَاعْمَدْ إِلَى صَدَقِ الْحَدِيدِ— لَسْتُ فَإِنَّهُ أَزْكَى فَنُونِهِ	٣٥١
٤٣١	عَدِي بْنُ زَيْدٍ	أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَخْبُوتُونَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُونِ كَمَا أَنْتُمْ كُنَّا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ	٣٥٩ - ٣٦٠
قَافِيَةُ الْهَاءِ			
٤٣٢	ابْنُ أَبِي زَمْنِينٍ	أَيُّهَا الْمَرْءُ دُنْيَاكَ بَحْرٌ طَامَحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَأْمَنُهَا وَسَبِيلُ النِّجَاةِ فِيهَا مَبِينٌ وَهُوَ أَخَذَ الْكَفَافَ وَالْقَوْتَ مِنْهَا	٣٢
٤٣٣	ابْنُ زَمْرَكٍ	كَأَنَّمَا الزَّهْرُ فِي حَاقَاتِهَا سَحْرًا دِرَاهِمٌ وَالنَّسِيمُ اللَّدْنُ يَجْبِيهَا وَانْظُرْ إِلَى الدُّوْحِ وَالْأَنْهَارِ تَكْنِفُهَا مِثْلَ النَّدَامَى سَوَاقِيهَا سَوَاقِيهَا كَمْ حَوْلَهَا مِنْ بَدُورٍ تَجْتَنِي زَهْرًا فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ قَدْ قَبَّلْنَ أَيْدِيهَا	٥٩

		حسباؤها لؤلؤ قد شفّ جوهرها والنهر قد سال ذوباً من لآليها	
٤٣٤	كشاجم ١٠٩ - ١١٠	وجليس لي أخي ثقة كأنّ حديثه خبره يسرّك حسن ظاهره وتحمد منه مختصره ويستر عيب صاحبه ويستر أنه ستره	
٤٣٥	أبي العتاهية ١٢٤	لو رأى الناس نبياً سائلاً ما وصلوه	
٤٣٦	أبي العتاهية ١٣٣	أبلّ من شئت ثقّله عن قليل لفعله ضاع معروف واضع العرف في غير أهله	
٤٣٧	الحسن بن هاني ١٣٣	فامض لا تمن عليّ يداً منك المعروف من كدره	
٤٣٨	ابن عباد الصاحب ١٣٤	احذر الغيبة فهي الفسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالا كل من لحم أخيه	
٤٣٩	محمود الوراق ١٣٤	تحرّ من الطرق أوساطها وعدّ عن الجانب المشتبه وسمّعك صن عن سماع القـ بيح كصون اللسان عن النطق به	

		فإنَّكَ عند استماع القبيـ ح شريك لقائله فانته	
١٣٥	زياد الأعجم	إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن أغب فأنت الهامز اللمزه ما كنت أخشى وإن طال الزمان به حيف على الناس أن يغتابني غمزه	٤٤٠
١٤٨	ابن المعتز	ولكل عقل غفوة أو سهوة والحرّ محتاج إلى التنبيه والعاقل التحرير محتاج إلى أن يستعين بجاهل معنوه	٤٤١
١٧٩	مجهول	إذا طاوعت حرصك كنت عبداً لكلّ دنيئة تدعى إليها	٤٤٢
١٨٨	مجهول	واطلب المال بحرص وأسرع المشي إليه كلّ من كان غنياً سَلَمَ الناس عليه وإذا كان فقيراً فقد البرّ لديه	٤٤٣
٢٠٥	الزبير بن عبد المطلب	إذا كنت في حاجة مرسلأ فارسل حكيمأ ولا توصه وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبأ ولا تعصه	٤٤٤
٣٣٣ - ٣٣٤	مجهول	أربعة يعجب منها النهى يجهلها ذو مرّة حاسده	٤٤٥

		فواحد دنياه قدّامه ليست له خلقه آخره وأخر دنياه منقوصة من خلفه آخرة وآخره وثالث فاز بكتليهما قد جمع الدنيا مع الآخره ورابع مطّرح بينهم ليست له دنيا ولا آخره	
قافية الواو			
١٠٦	عبد الرزاق	ليتني كنت ساعة ملك المو ت فافني النقال حتّى يبيدوا	٤٤٦
٣٠٧	أبي العتاهية	أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوّتي فلم يبق إلاّ الروح والجسد النضو رأيت الهوى حجر الغضا غير أنّه على كلّ حال عند صاحبه حلو	٤٤٧
قافية الياء			
١١٣	الخليل بن أحمد	أيّ شيء من اللباس على ذي السرو أبهى من اللسان البهي	٤٤٨
١١٤	منصور الفقيه	تعمّد لحذف فضول الكلام إذا ما نأيت وعند التداني ولا تكثرن فخير الكلام الـ قليل الحروف الكثير المعاني	٤٤٩

١٤٩	الأخطل	قد تكون بها سلمى تحدثني تساقط الحلي حاجاتي وأسراري	٤٥٠
١٧٨	علي بن أبي طالب	لو كان في صخرة في البحر راسية صمّاء ملمومة ملبس نواحيها رزق لعبد يراه الله لانفلقت حتى يؤدّي إليه كلّ ما فيها أو كان تحت طباق السبع مطلبها لسهّل الله في المرقى مراقبها حتى تؤدّي الذي في اللوح خطّ له إن هي أنته وإلاّ سوف يأتيها	٤٥١
١٨٩	ابن الأعرابي	المال يغشى رجالاً لا طباخ لهم كالسيل يغشى أصول الدندن البالي	٤٥٢
١٩٠	الحطيئة	يقولون يستغني ووالله ما الغنى من المال إلاّ ما يعفّ وما يكفي	٤٥٣
٢١٦	الصلتان العبدى	نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي	٤٥٤
٢٤٣	الصلتان العبدى	وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي	٤٥٥
٢٦٠ - ٢٨٥ - ٢٩٣	عدي بن زيد	عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن مقتدي وصاحب أولي التقوى تتل من تقاهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي	٤٥٦

٢٩٢	عبد الله بن المبارك	لولا شَمَاتَةُ أَعْدَاءِ ذَوِي حَسَدٍ أَوْ أَنْ أُنَالَ بِنَفْعِي مَنْ يُرَجِّئُنِي لَمَّا خَطَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا مَطَالِبَهَا وَلَا بَذَلْتُ لَهَا عِرْضِي وَلَا دِينِي	٤٥٧
٣٠٠ - ٣٠١	الحسن بن هاني	إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نَنْتَهِ وَفَوْقَ الَّذِي نَنْتَهِ وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي	٤٥٨
٣٠٥	عبد الله بن معاوية	فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا	٤٥٩
٣٢٥	الزبرقان بن بدر	دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيِهَا وَاقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي	٤٦٠
٣٥٣	منصور الفقيه	يَا سَمِيعَ الدَّعَاءِ كُنْ عِنْدَ ظَنِّي وَكَفْنِي مِنْ كَفَيْتِهِ الشَّرَّ مَنْيَّ وَأَعْنِي عَلَى رِضَاكَ وَخِرْ لِي فِي أُمُورِي وَعَافْنِي وَاعْفَ عَنِّي	٤٦١

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم .

❖ الحديث النبوي الشريف

الرقم	المرجع
١	صحيح البخاري ، شرح ابن أبطال ، تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢	صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث ، القاهرة .
٣	مسند الإمام أحمد ، تأليف الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، شرح محمد شاكر ، ودار المعارف ، ١٣٧٥هـ ، مصر .
٣	الموطأ ، للإمام مالك بن أنس بن مالك ، شرح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت .
٤	سنن الترمذي ، تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة .
٥	سنن أبي داود ، تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث .
٦	سنن النسائي ، ، تأليف أحمد بن شعيب بن علي .
٧	سنن ابن ماجة ، تأليف أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ابن ماجة) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ ، القاهرة .

الرقم	المصادر والمراجع
١	أخبار الأذكياء لأبي الفرج ابن الجوزي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط القاهرة ١٩٧٠م .
٢	الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط ١ ١٩٧٩م بيروت .
٣	الأصمعيات ، اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٦٤م مصر .
٤	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي ط ١٠ ، ١٩٩٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٥	الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، شرح الأستاذ عبد أ - علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ط ٢ .
٦	البصائر والزخائر ، أبي حيّان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني .
٧	البصائر والزخائر ، طبعة مكتبة أطلس ، مطبعة الإنشاء دمشق .
٨	كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٩	البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، أبي العباس بن عذارى المراكشي اعتنى بنشره إ - لافي بروفنسال ، ط سنة ١٩٣٠م .
١٠	البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس .
١١	تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس ، ط ٢ ، دار الثقافة بيروت ، لبنان .

١٢	التمثيل والمحاضرة ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
١٣	جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تأليف الحميدي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط سنة ١٩٦٦م .
١٤	الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ودار الفكر دمشق ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩١م .
١٥	خريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الأصفهاني ، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
١٦	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت .
١٧	ديوان ، أبي نواس ، دار صادر ، بيروت .
١٨	ديوان ، حسان بن ثابت ، ضبط وتصحيح ، عبد الرحمن البرقوني ، دار الأندلس ١٩٧٨م .
١٩	ديوان ابن الرومي ، شرح أنطوان نعيم ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م بيروت .
٢٠	ديوان ، علي بن أبي طالب عليه السلام ، طبعة محققة ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة .
٢١	ديوان ابن حمديس ، تصحيح د. إحسان عباس ، دار صادر (د - ت) ، (د - ط) بيروت .
٢٢	ديوان ابن خفاجة ، تحقيق د. السيد مصطفى غازي (د - ت) ، (د - ط) .
٢٣	ديوان ابن زيدون ، تأليف كرم البستاني ، ط١ ، (د - ت) .
٢٤	ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٧م سوريا .

٢٥	ديوان أبي العتاهية ، تأليف كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤م .
٢٦	ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزّام ، دار المعارف ١٩٦٤م ، مصر .
٢٧	ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت .
٢٨	ديوان البحري ، تحقيق وشرح وتعليق ، حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ١٩٦٣م ، مصر ، القاهرة .
٢٩	ديوان البحري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٥٠م .
٣٠	ديوان الحطيئة ، شرح نعمان أمين ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط ١٩٥٨م القاهرة .
٣١	ديوان الخنساء ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ، بيروت .
٣٢	ديوان صاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ط ١ ١٩٦٥م .
٣٣	ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر .
٣٤	ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
٣٥	ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ، ضبط وتصحيح ، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٣٦	ديوان المعاني ، للإمام أبي هلال العسكري ، عنيت بنشره مكتبة القدس ١٣٥٢هـ — القاهرة .
٣٧	ديوان الموشحات الأندلسية ، تحقيق د. سيد غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٩م .
٣٨	ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط ١ .
٣٩	ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٤ ، مصر .

٤٠	ديوان بشار ، شرح حسين حموي ، دار الجيل ، ١٩٩٦م ، ط١ ، بيروت .
٤١	ديوان جرير ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر .
٤٢	ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت .
٤٣	ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٥١م ، القاهرة .
٤٤	ديوان دعل بن علي الخزاعي ، شرح مجيد طراد ، دار الجيل ، ط١ ، ١٩٨١م بيروت .
٤٥	ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر ، بيروت .
٤٦	ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، سلسلة كتب التراث شركة دار الجمهورية للطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٥م
٤٧	ديوان عروة بن الورد ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٤م ، بيروت .
٤٨	ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت .
٤٩	ديوان عنتر بن شداد ، شرح د. يوسف عيد ، دار الجيل .
٥٠	ديوان قيس بن الخطيم ، عن ابن السكيت وغيره ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد مطبعة المدني ، ط١ ، ١٩٦٢م .
٥١	لبيد بن ربيعة العامري ، د يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ، طبع مطابع التعاونية اللبنانية ، بيروت ، بغداد .
٥٢	ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، ١٩٦٦م ، بيروت .
٥٣	ديوانا عروة بن الورد ، والسمؤال ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤م .
٥٤	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حيّان البستي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية (د - ط) (د - ت) ، مصر .
٥٥	زهر الآداب وثمر الألباب ، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، شرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي ط القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

٥٦	سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، الذهبي تقديم محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث ، القاهرة .
٥٧	شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان (د - ت) .
٥٨	شرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد القيرزوني .
٥٩	شرح ديوان أبي تمام ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة علي صبيح وأولاده ، ط١ ١٩٦٧م ، القاهرة .
٦٠	شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوني ، مطبعة السعادة .
٦١	شرح ديوان جرير ، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
٦٢	شرح ديوان زهير ، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، ثعلب المكتبة العربية ، ١٩٤٤م .
٦٣	شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، ثعلب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م ، القاهرة .
٦٤	شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني ، ط٣ ، ١٩٦٥م ، القاهرة .
٦٥	شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري المكتبة العربية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
٦٦	الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .
٦٧	الصاحح ، (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق ، أحمد عبد الغفار عطا ، ط١ ، ١٣٦٧هـ ، دار العلم للملايين .
٦٨	الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٥٢م ، ط١ ، القاهرة .
٦٩	العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، للشيخ ناصف اليازجي .
٧٠	العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، شرحه وضبطه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ، ط٢ ، ١٩٥٢م .

٧١	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت .
٧٢	عيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الدينوري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، طبعة دار الكتب ، مصر .
٧٣	الفاخر ، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، تحقيق عبد الحليم الطحاوي مراجعة محمد علي النجار ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط١ .
٧٤	فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري الأوبني ، تحقيق د. عبد المجيد عابدين ، ود. إحسان عباس ، (د - ط) ، (د - ت) .
٧٥	في الأدب الأندلسي ، تأليف د. جودة الركابي ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٦٦م .
٧٦	الكامل ، للمبرد ، للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرد ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع .
٧٧	كتاب الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، مطبعة السعادة ، ط١ ١٩٥٣م ، دار النشر مطبعة بولاق ، مصر .
٧٨	كتاب الإمتاع والمؤانسة ، تأليف أبي حيان التوحيدي ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
٧٩	كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتّاني الطبيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، (د - ط) (د - ت) .
٨٠	كتاب الحماسة البصرية ، تأليف العلامة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، تحقيق د عادل جمال سليمان .
٨١	كتاب الحيوان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
٨٢	كتاب جمهرة الأمثال ، تأليف الشيخ الأديب أبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، ط١ ، ١٩٦٤م ، المؤسسة العربية الحديثة القاهرة .

٨٣	كتاب عدي بن زيد العبادي الشاعر المبتكر ، تأليف محمد علي الهاشمي ، ط ١ .
٨٤	كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ، حياته وشعره ، تأليف أحمد الربيعي ، دار المعارف مصر .
٨٥	لباب الآداب ، تأليف الأمير أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٥م ، مصر .
٨٦	لباب الآداب تأليف أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٨٧	لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، بيروت .
٨٨	المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تأليف عبد الواحد المراكشي ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، الكتاب الثالث ، ط ، القاهرة ١٩٦٣م .
٨٩	المؤتلف والمختلف ، تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار إحياء التراث العربي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط ، القاهرة .
٩٠	مجمع الأمثال ، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري "الميداني" ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م ، بيروت .
٩١	مجمع الأمثال ، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم "الميداني" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٩٢	مجمع الأمثال العربية ، تأليف خير الدين شمسي باشا ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
٩٣	المحاسن والمساوي ، لإبراهيم البيهقي ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ ، بيروت .
٩٤	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، تأليف أبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م ، بيروت .
٩٥	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي الياضي اليمني ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، لبنان .

٩٦	المستطرف في كل فن مستظرف ، تأليف بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٩٧م ، بيروت .
٩٧	معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف ياقوت الحموي الرومي تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٣م ، بيروت ، لبنان .
٩٨	المفضليات ، المفضل الضبي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر .
٩٩	موسوعة أمثال العرب، إعداد د. إميل بديع يعقوب ، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الجيل بيروت.
١٠٠	موشحات ابن بقي الطليطلي ، تأليف عدنان محمد آل طعمة ، جمهورية العراق وزارة الثقافة والفنون ، (د - ت) ، (د - ط) .
١٠١	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٣٠م ، القاهرة .
١٠٢	نهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويري ، ط٢ دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥ ، القاهرة .
١٠٣	هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، ط وكالة المعارف الجلييلة ، استانبول ، ١٩٥٥م .
١٠٤	الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، بيروت ، لبنان .
١٠٥	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. يوسف على طويل ، ود. مريم قاسم طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٠٦	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٣م لبنان .

فهرس موضوعات البحث

الصفحة	الموضوع
أ	استهلال
ب	آية
ج	إهداء
د	شكر
هـ - ي	المقدمة
١ - ٢١	الفصل الأول : الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري القرطبي . عصره وحياته وفكرة كتابه " بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس " ويشمل ثلاثة مباحث :
٢ - ٩	المبحث الأول : عصر القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣هـ) - (٩٧٨ - ١٠٧١م) .
١٠ - ١٧	المبحث الثاني : حياة القرطبي .
١٨ - ٢١	المبحث الثالث : فكرة كتاب القرطبي
٢٢ - ٦١	الفصل الثاني دراسة تطوّر الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجري ويشمل أربعة مباحث :
٢٣ - ٢٨	المبحث الأول : الكتب وألوان الثقافة التي وصلت للأندلس .
٢٩ - ٣١	المبحث الثاني : غلبة الثقافة المشرقية في الأندلس .
٣٢ - ٣٥	المبحث الثالث : طابع الزهد والتصوّف في الأندلس .
٣٦ - ٦١	المبحث الرابع : وصف الطبيعة في الأندلس .

٦٢ - ١٥٤	الفصل الثالث : محتوى كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " ويشمل أربعة مباحث :
٦٣ - ٧٧	المبحث الأول : الأمثال السائرة .
٧٨ - ٨٧	المبحث الثاني : الحكم البالغة .
٨٨ - ١٠٧	المبحث الثالث : الحكايات الممتعة .
١٠٨ - ١٥٤	المبحث الرابع : الأبيات النادرة .
١٥٥ - ٣٦٥	الفصل الرابع : تحليل الأبواب في كتاب " بهجة المجالس وأنس المجالس " ويشمل تمهيد وخمسة مباحث :
١٥٦	تمهيد
١٥٧ - ١٩٣	المبحث الأول
١٩٤ - ٢٣٠	المبحث الثاني
٢٣١ - ٢٧٤	المبحث الثالث
٢٧٥ - ٣٢١	المبحث الرابع
٣٢٢ - ٣٦٥	المبحث الخامس
٣٦٦ - ٣٧٠	الخاتمة .
٣٧١ - ٤٨٢	فهارس عامة : تشمل :
٣٧٢ - ٣٧٤	فهرس الآيات القرآنية .
٣٧٥ - ٣٨٤	فهرس الأحاديث النبوية .
٣٨٥ - ٣٩٢	فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث .
٣٩٣ - ٤٧٠	فهرس الأبيات الشعرية .
٤٧١ - ٤٧٩	فهرس المصادر والمراجع .
٤٨٠ - ٤٨٢	فهرس موضوعات البحث .